
ماري
هيغينز
كلارك
مطلوب فتاة
تهوى الموسيقى،
تهوى الرقص
مكتبة الرمحي أحمد
الكتاب ٤٤
نوفل

مطلوب فتاة
تهوى الموسيقى،
تهوى الرقص

ماري هيغينز كلارك

مطلوب فتاة تهوى الموسيقى، تهوى الرقص

نقلته من الإنكليزيّة رانيا سعد

مكتبة الرمحي أحمد ٤٤

نوفل

إلى لوك وكريس هيغنز،
ابنَي أخي جوني
وإلى حفيدته لورا.
مع خالص محبّتي.

ما الصديق؟
روح واحدة في جسدين.

أرسطو

الإثنين 18 فبراير

الغرفةُ غارقة في العتمة. جلس في مقعده وضمّ رجليه إلى صدره. السُبحة تَكُرّ من جديد. تشارلي يأبى البقاءَ مُتخفّيًا. تشارلي يريد التفكير في إيرين. همس تشارلي: إثنتان بعدُ وأضع حدًّا لهذا كلّه.

أدرك أنّهُ عبثًا يعارضه. لكنَّ المُخاطرة تتعاظم وصبر تشارلي بدأ يَنْفَد. لن يتراجع عن قراره، وستكون له الكلمة الفصل في النهاية.

أرجـوكَ، تشارلي، إرحـل عنّي. أرجـوكَ دعني وشأني. لم يعبأ تشارلي بتوسّله بل أطلقَ ضِحكةً ساخرةً ردّدت صداها جنباتُ الغرفة.

كم تمنّى لو بادلَته نان الحُبّ. ليتَها دعته إلى عيد ميلادها، منذ خمسَ عشرةَ سنة. كان مُتيّمًا بها في تلك الآونة. لَحِق بها إلى داريين ومعهُ هديّةٌ متواضعة: حذاءٌ للرقص وضعهُ في علبة بسيطة كلَّفَ نفسه عناءَ زخرفتها، فَخطَّط على الغطاء رسمَ حذاء.

في تلك السنة، احتفلت نان بعيد ميلادها في 12 مارس خلال عُطلة الربيع. المناسبة تستحقّ أن يقطع المسافة إلى هناك بسيّارته. أراد أن يفاجئها. عندما وصل، طالعته أضواءُ منزلها ساطعةً للمناسبة، والخَدم يركنون سيّارات الضيوف. مَرَّ ببطء أمام المنزل فأخذته

@ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد ٤٤

الدهشة واضطرب. كيف لا، وقد لَمَح بين المدعوّين مجموعةً من زملائه الطلّاب.

آه، كم بكى يومها! ما زال يذكر، بمرارة وغَصّة، أنّه بكى بُكاءَ الأطفال، وهو يعودُ على أعقابه. مع ذلك، عدَل عن قرار العودة ما إن فكّر في هديّة عيد الميلاد. سبق وأخبرته نان أنّها معتادة، في تمام السابعة من صباح كلّ يوم، الهرولة في الغابة المجاورة لمنزلها، أممطرًا كان الطقسُ أم مشمسًا. لذا، سبقها إلى هناك، في صباح اليوم التالي، ووقف ينتظرها.

خمسَ عشرةَ سنة مرّت، لكنّها لم تمحُ من ذاكرته علامات الذهول التي ارتسمت على وجهها لدى رؤيته. الذهول، لا السرور. توقّفت لاهثةً. كانت ترتدي بزّة الركض وفوقها سُترة طُبع عليها اسم مدرستها. أمّا شعرها الأشقر الناعم، فاختفى تحت قبّعة فيما انتعلت حذاء رياضيًّا.

تمنّى لها عيدًا سعيدًا ووقف يتأمّلها وهي تفتح العلبة وتُتحِفه بعبارات الشُكر المتكلّفة. طوّقها بذراعيه وقال لها: «نان، أنا مُغرم بك. إنتعلي هذا الحذاء، فقدماك ستبدوان رائعتين فيه. أنا أعقد لك الرباط. يمكننا أن نرقص، ههنا، في هذا المكان.»

«لا شكّ في أنّك فقدتَ صوابكَ!» دفعتهُ، ورمتهُ بالعلبة، وعاودت الهرولة.

تشارلي كان مَن لَحِق بها وأدركَها وطرحها أرضًا. تشارلي كان من ضغط بيديه على عنقها إلى أن استسلمت ذراعاها وتوقّفتا عن الحراك. تشارلي كان مَن ألبسها الحذاء وراقصها، فيما رأسها يتأرجح على كتفه. مدّدها أرضًا وترك قدمها اليمنى في «فردة» من حذاء الرقص واليسرى في «فردة» من حذاء الرياضة.

سنواتٌ طوال انقضت، تحوّل خلالها تشارلي إلى ذكرى مُشوّشة وإلى شكل ضاعت معالمه وربض في خفايا ذهنه، إلى أن عاد وظهر منذ سنتين. راح تشارلي يذكّره بِنان، بقدميها الدقيقتين المتقوّستين، بجمالها ورشاقتها، وهي ترقص معه. «قلمي الأزرق يرسم زورقًا وسماء فيها شمس تشرق...» أنشودة الألوان. لطالما غنّتها له أمّه، طفلًا. «قلمي الأحمر أخذ منظر لون كلّ الورد الأحمر.»

أمّا هو، فكان يقول لها كلّما توقّفتْ عن الغناء: «غنّي لي بعد يا أمّي. غنّي لي مرّةً لكلّ لون...».

كم كانت أمّه لطيفة! لكنّها تغيّرت، بين ليلة وضحاها. إلى اليوم يرنّ صوتها في أذنيه وهي تصرخ: «لِمَ تُكدّس تلك المجلّات في غرفة نومي؟ لِم أخرجتَ زوج الأحذية ذاك من خزانتي؟ أتُراكَ تناسيتَ تضحيتنا وسهرنا على تنشئتك؟ لقد خيّبتَ أملنا!»

عندما ظهر تشارلي من جديد منذ سنتين، أمره بنشر إعلاناتٍ في زاوية الإعلانات الشخصيّة في الصفحات المُخصّصة من المجلات. مجموعةٌ كبيرة من الإعلانات. وكان تشارلي يُملي عليه بنفسه نصّ الإعلان.

اليوم يأوي منزلُه سبعَ جُثثٍ لفتيات تنتعل القدم اليمنى لكلّ منهنّ حذاء سهرة، واليسرى حذاءها الخاصّ الّذي يكون رسميًّا أو حذاء رياضة.

توسّل تشارلي أن يتركه بسلام لبعض الوقت. فهو لا يريد البدء من جديد. لذا خرج إليه بذريعة الصقيع. لم يكن ممكنًا دفنُهما، أمّا أن يترك جُثّتيهما في الثلّاجة فتلك مخاطرة كبيرة.

غير أنّ تشارلي صاح غاضبًا: «أريد أن يعثر الناس على هاتين الجثّتين، مثلما عثروا على جثّة نان من قبل.»

لقد اعتمد تشارلي في انتقاء ضحيّتيه الأخيرتين الطريقة نفسها التي درج عليها في اصطياد الفتيات اللواتي عَرِفهنّ بعد نان. إيرين كيلي ودارسي سكوت. فتاتان اهتمّتا بالردّ على إثنين من الإعلانات التي وضعها.

من بين الردود التي تلقّاها تشارلي، وحدها رسائلهما وصورهما أثارت اهتمامه للحال. فقد كانت مُسلّية ومشوّقة. أيقظت فيه ذكرى نان، لكأنّه يسمع صوتها تنتقد ذاتها. لكأنّه يستشفّ منها روح الدعابة الذكيّة التي ميّزتها؛ ناهيك عن الصور. في الحقيقة، كانتا جذّابتين، كلّ على طريقتها.

إيرين كيلي أرسلت صورةً لها وهي تجلس على طاولة مكتبها. كانت مُنحنية بعض الشيء إلى الأمام، وقد فتحت فمها قليلًا فيما برقت عيناها، واستوت في جلستها بِقدّ نحيل متوازن كأنّها تنتظر من يدعوها إلى الرقص.

أمّا صورة دارسي سكوت، فتُظهرها واقفة بالقرب من مقعد وضع تحت نافذة فيما أمسكت الستائر بيدها. إستدارت نصف استدارة ونظرت إلى الكاميرا. يبدو أنّ المصوّر قد باغتها في تلك الوضعيّة. لا شكَّ في أنّها كانت منشغلة بفكرة ما. هذا ما نمّت عنه تعابير وجهها المبتسم. أمّا وجنتاها فَعاليتان، وقدّها أهيف وساقاها طويلتان تنتهيان بقدمين نحيلتين وحذاء غوتشي.

قال في نفسه: «لا ريب في أنّ قدميها ستزدادان جمالًا في حذاء الرقص.»

قام من مكانه وتمطّى. لم يكن يخشى الظلال القاتمة التي انتشرت في الغرفة. حتّى أنّه رحّب بحضور تشارلي. فالصوت الذي حثّه على مقاومة ندائه قد تلاشى واضمحلّ.

عاد تشارلي إلى المغارة المظلمة التي خرج منها وراح يقرأ مرّة أخرى رسالة إيرين ويمرّر أنامله على صورتها.

تذكّر الإعلان الذي حثّ إيرين على الردّ فقهقه عاليًا. كان الإعلان يبدأ بعبارة: «مطلوبٌ فتاة تهوى الموسيقى، تهوى الرقص».

الثلاثاء 19 فبراير

بردٌ قارس. رياحٌ عاصفة. شوارع تراكمت فيها الثلوج الذائبة واختنقت السيارات أرتالًا. أمّا هي، فلم تهتمّ. يكفيها أنّها عادت إلى نيويورك، وكم طابت لها العودة!

نفضت دارسي معطفها بسرور ومرّرت أصابعها في شعرها. نظرت إلى بريدها الذي فُرز بعناية ووُضع على مكتبها. إلى جانبها وقفت بيف روثهاوس، سكرتيرتها، تُعيّن لها أكوام البريد بحسب الأهمّية. لقد كانت بيف فتاةً ذكيّة تتابعُ الدروس المسائيّة في مدرسة بارسونز للتصميم. إنّها مِثال السكرتيرة التي لا غنى عنها.

«إليك الفواتير، وههنا تجدين إيصالات ببعض الدفعات المسبقة.»

«آمل أنّها دفعاتٌ كبيرة.»

«إلى حدّ ما. لقد رتّبتُ الرسائل هنا وفرزتُها. لديك شِقّتان للفرش. أؤكّد لك، عزيزتي، أنّك أصبتِ يوم افتتحتِ شركة بيع الأثاث المستعمل.»

ملاحظةٌ أضحكت دارسي فعلّقت قائلة: «سانفورد وأبناؤه. إنّها شركتي».

«زاوية دارسي. نؤمّن الهندسة الداخليّة لأصحاب الميزانيّات الصغيرة»: ذاك نصُّ اللافتة التي وُضعت على باب المكتب في مبنى فلات أيرون في الشارع الثالث والعشرين.

سألتها بيف: «ما هي أحوال كاليفورنيا؟»

لم تخلُ نبرة صوتها من خجل مشوب بشيء من الإعجاب، ما رسم ابتسامة على ثغر دارسي. في الحقيقة، لقد أرادت بيف السؤال: «كيف حال والديكِ؟ وهل استمتعتِ بالإقامة عندهما؟ هل هما عظيمان في الواقع مثلما يبدوان في أدوارهما التمثيليّة؟».

أمّا الجواب فردّدته دارسي في نفسها «والدايَ عظيمان حقًّا، ممثّلان لامعان. أنا أحبّهما وأفتخر بهما. غير أنّني لم أشعر يومًا بالراحة في عالمهما».

«متى يغادران إلى أستراليا؟»

أرادت بيف أن يبدو سؤالها مُرتجلًا.

«لقد غادرا منذ بعض الوقت. أمّا أنا فعدتُ إلى نيويورك حزينة بعد أن أوصلتهما إلى الطائرة.»

كانت دارسي قد استغلّت رحلة العمل إلى لايك تاهو، بغرض هندسة إحدى الشاليهات، لتُمضي بضعة أيام مع والديها. من ناحيتهما، كان والداها يتأهّبان لبدء جولة حول العالم لعرض مسرحيّتهما. لن تراهما من جديد، أقلّه ليس قبل ستّة أشهر.

رفعت دارسي غطاء فنجان القهوة وجلست إلى مكتبها. أمّا بيف فقالت: «أنتِ رائعة الجمال اليوم. يُعجبني لباسك.»

كانت دارسي ترتدي فستانًا من الصوف أحمر ومعطفًا يتناسق معه كانت والدتها قد أصرّت على شرائهما لها من رودیو درایف.

لن تنسى دارسي جولة التسوّق تلك وتعليقات والدتها: «يا ابنتي، أنتِ رائعة الجمال، لذا عليكِ أن تُبدي عناية كبرى بملابسك. عليك أن تُبرزي هذه الرقّة الاستثنائيّة التي تتميّزين بها». أمّا والدها فلطالما كرّر على مسمعها أنّها شَبَهُ جدّتها. أوَلم تُسمّى دارسي تيمّنًا بها؟

كانت الجدّة قد تركت إرلندا بعد حرب الثوّار لتوافي خطيبها الفرنسي الذي كان ضابطًا في صفوف جيش لافاييت.

ورِثت دارسي عن جدّتها العينين العريضتين المائلتين إلى الخُضرة. كما وَرِثت عنها الأنف المستقيم والشعر البُنّي الناعم المتموّج ببعض الخُصل الذهبيّة.

لطالما استمتعت دارسي بالتعليق قائلة: «مع الوقت، إزدادت قامتي طولًا بعض الشيء. فطولي اليوم مترٌ واثنان وسبعون سنتيمترًا. دارسي الجدّة كانت قصيرة القامة. هذا ما يُساهم في الطلّة الرقيقة».

عادت بها الذكرى إلى سِنّ السادسة، عندما سمعت، بالصدفة، في يوم من الأيّام، أحدَ المخرجين يقول: «كيف لشخصين بجمالهما أن يُنجبا هذه الطفلة القصيرة؟» ما زالت تذكر أنّها تسمّرت في مكانها محاولةً استيعاب الصدمة. وعندما أرادت أمّها، بعد دقائق من ذلك، أن تعرّفها بأحد الممثّلين قائلة: «هذه هي ابنتي الصغيرة دارسي»، صرخت بأعلى صوتها: «لا، لا تقولي هذا!» ولاذت بالفرار. غير أنّها عادت لتعتذر عن ردّة فعلها الفظّة.

هذا الصباح، ترجّلت من الطائرة في مطار كينيدي، ومرّت بشقّتها فقط لوضع حقائبها، فلم يتسنّ لها الوقت لارتداء زيّ العمل: سروال الجينز والكنزة. تريّثت بيف قليلًا، مُفسِحةً لها المجال لارتشاف قهوتها، ثمّ تناولت الرسائل وسألتها: «هل أتّصل بهؤلاء الأشخاص؟».

«في البداية، أودّ إجراء اتّصال سريع بإيرين.»

رفعت إيرين سمّاعة الهاتف عند الرنّة الأولى. غير أنّها ردّت بشيء من التشنّج. ففهمت دارسي أنّها قد بدأت هي أيضًا بالعمل. دارسي وإيرين كانتا زميلتي دراسة في ماونت هوليوك. تخصّصت إيرين في تصميم المجوهرات، وقد حصدت مؤخّرًا جائزة مصمّمي المجوهرات للشباب.

من ناحيتها، شقّت دارسي طريقها في الحياة المهنيّة. فبعد أربع سنوات من العمل في وكالة لتصميم الإعلانات، انتقلت من إدارة شؤون الزبائن إلى هندسة شقق أصحاب الميزانيّات المحدودة. الشابّتان هما اليوم في الثامنة والعشرين من العمر، تربطهما العلاقة الحميمة نفسها التي جمعتهما على مقاعد الدراسة.

كان بوسع إيرين أن تتخيّل دارسي جالسة إلى طاولة العمل، وقد عقصت شعرها الأصهب وارتدت الجينز والكنزة الفضفاضة. لا شكّ في أنّها كانت مستغرقة في العمل، غافلة عن أيّ مصدر إلهاء خارجيّ.

غير أنّها ما لبثت أن أطلقت صيحة ابتهاج عندما سمعت صوت دارسي عبر الهاتف.

«أنتِ مشغولة. لن ألهيَكِ عن العمل. كلّ ما في الأمر أنّني أردتُ إعلامكِ بوصولي والاطمئنان إلى صحّة بيلي.»

بيلي هو والد إيرين. لقد كان عاجِزًا لا يقوى على السير، ويعيش في أحد مصحّات ماساتشوستس منذ ثلاث سنوات.

«على حاله، لا جديد يُذكر.»

«وما جديدُ العمل على القلادة؟ بدوتِ لي مشغولة البال عندما اتّصلتُ بك يوم الجمعة.»

كانت إيرين، بُعيد مغادرة دارسي نيويورك الشهر الماضي، قد حصلت على عرض من مجموعة برتوليني لتصميم المجوهرات من أجل تصميم قلادة باستخدام الأحجار الكريمة الخاصّة بعائلة الزبون. وكان برتوليني يُضاهي كارتيه وتيفاني أهمّية.

«لقد كانت صناعتها معقّدة. غير أنّني أنجزتُها والحمد للّه. سوف أسلّمها غدًا. إنّها رائعة. حدّثيني عن إقامتكِ في بيل إير.»

«ساحرة فاتنة.» وقهقهتا ضحكًا، ثمّ أردفت دارسي: «ما جديد الإعلانات الشخصيّة؟»

كانت الفتاتان قد تعرّفتا، في النادي الرياضي، بنونا روبرتس، وهي منتجة برامج تلفزيونية تعمل على إعداد وثائقي عن الإعلانات الشخصيّة، وعن نوع الأشخاص الذين يضعونها، وأولئك الذين يردّون عليها، كما عن التجارب التي يخوضونها. وقد سألت دارسي وإيرين مساعدتها في البحث من خلال الردّ على بعض الإعلانات المذكورة.

«لن تُضطرّا إلى مقابلة الشخص أكثر من مرّة. فمعظم زملائي العازبين يخوضون التجربة ويستمتعون بها. ومَن يدري؟ فقد تلتقيان فارس الأحلام. على كلّ حال، خذا وقتكما في التفكير.»

قابلت إيرين عرض نونا بشيء من التردّد، هي الجريئة عادة. غير أنّ دارسي أقنعتها بأنّ التجربة قد تكون مسلّية فقالت لها: «لا عليكِ، سنحصر ردّنا بالإعلانات التي تبدو لنا مُثيرة للاهتمام. لن نعطي أحدًا عنوان المنزل، بل نكتفي برقم الهاتف. أمّا اللقاءات، فتتمّ في الأماكن العامّة. ليس لدينا ما نخسره.»

بالفعل، بدأتا العمل منذ ستّة أسابيع وقد اقتصرت لقاءات دارسي على رجل واحد، قبل مغادرتها إلى لايك تاهو وبيل إير. رجل ذكر في الإعلان أنّ طوله متر وخمسة وثمانون سنتيمترًا. بعد لقائه

علّقت دارسي قائلة: «لا بدّ أنّه كان يقف على سُلّم، عندما قاس نفسه». من أكاذيبه أيضًا تولّيه إدارة شؤون الزبائن في وكالة لتصميم الإعلانات. فما كان من دارسي إلّا أن ذكرت في حضرته بعض أسماء وكالات الإعلانات والزبائن، فبقي واجمًا ولم ينبس ببنت شفة. «كاذبٌ بائس.» هكذا وصفته لنونا وإيرين. أمّا اليوم، فطلبت من إيرين أن تخبرها عن لقاءاتها الأخيرة وراحت تبتسم سلفًا لِما ستسمعه.

«سأتركُ ذلك لمساء الغد، عندما نجتمع بنونا. فأنا أدوّن تفاصيل اللقاءات على الدفتر الذي أهديتِني إيّاه في عيد الميلاد. منذ حديثنا الأخير عبر الهاتف، لم أخرج سوى مع شخصين. ما يرفع مجموع اللقاءات إلى ثمانية في الأسابيع الثلاثة المنصرمة. معظمُ من خرجتُ معهم كانوا رجالًا تافهين. ومن بينهم واحد سبق لي أن التقيته، وآخر جذّاب وسيم، لكنّه لم يعاود الاتّصال بي. الليلةَ أخرج مع رجل يبدو لي مثيرًا للاهتمام. مع ذلك، من المبكر أن نحكم عليه. فلننتظر.»

إبتسمت دارسي وعلّقت: «حسنًا. لم أفوّت أحداثًا هامّة على ما يبدو. ماذا عن الإعلانات الخاصّة بي؟ هل رددتِ على أحدها باسمي؟»

«نعم، صديقتي. رددتُ على حوالى اثني عشر إعلانًا. حتّى أنّني ارتأيتُ أن أردّ على عدد من الإعلانات نفسها بالنبذة الخاصّة بكلّ منّا. سوف نستمتعُ بمقارنة الملاحظات في حال اتّصل بنا أصحاب الشأن.»

«فكرةٌ عظيمة. أين تلتقين رجلًا هذه الأمسية؟»

«في إحدى حانات واشنطن سكوير.»

«ما مهنته؟»

«إنّه محامٍ من فيلادلفيا. إنتقل إلى نيويورك منذ بعض الوقت. هل ستنضمّين إلينا مساء الغد؟»

«طبعًا، لن أفوّت اللقاء.» كانتا قد اتّفقتا على تناول العشاء مع نونا.

تغيّرت نبرة صوت إيرين وقالت لصديقتها: «سعيدةٌ أنا بعودتك إلى المدينة، دارس، فقد اشتقت إليك.»

«وأنا أيضًا. إتّفقنا، إلى الملتقى غدًا.» همّت بتوديعها، لكنّها لم تستطع أن تكتم السؤال: «ما اسمُ سعيد الحظّ الذي تقابلينه الليلة؟»

«تشارلز نورث.»

«إسمٌ يوحي بالأناقة والأصل الرفيع. أتمنّى لك ليلة ممتعة، صديقتي.» وأقفلت دارسي الخطّ.

وقفت بيف، من ناحيتها، تنتظر بصبر انتهاء دارسي من مكالمتها لتُطلعها على الرسائل. مع ذلك، بادرتها بالقول: «أنا أحسدكِ، عزيزتي. فعندما أسمع حديثكما يُخيّل إليّ أنّكما تلميذتان بعدُ. يا لها من علاقة حميمة تجمعكما. أكثر حميميّة من علاقة الأُخت بأُختها.»

أجابتها دارسي بهدوء: «أنتِ محقّة في ما تقولين.»

كانت دارُ شيريدان، الكائنة في الشارع الثامن والسبعين شرق جادّة ماديسون، تشهد مزادًا علنيًّا. فأثاثُ المنزل الريفي العائد لمايسون غايتس، ملك النفط الراحل، قد جذب جمهورًا غفيرًا من التجّار ومن هواة جمع التُحف.

وقف كريس شيريدان يراقب المشهد من قاع الغرفة، مهنّئًا نفسه بالصفقة الرابحة التي أنجزها. فقد انتزع من داري سوثيبيز وكريستيز إمتياز عرض تلك المجموعة بالمزاد العلني. فالأثاثُ رائع الطراز، يعود إلى حقبة الملكة آن. أمّا اللوحات فمميَّزة بتقنيّة رسمها، كما بِندْرتِها. مجموعة من الفضّيّات الرائعة، كان واثقًا من أنّها ستكون موضوع مزايدة حامية.

كان كريس شيريدان في الثالثة والثلاثين من عمره، صاحب طلّة توحي بأنّه ما زال لاعب الهجوم الذي كانه أيّام الدراسة الجامعيّة، لا الخبير المتمرّس بالتحف الفنّية القديمة. كان طوله مترًا وتسعين سنتيمترًا، وطلّته مهيبة: كَتِفان عريضتان وقامة رشيقة. أمّا شعره الأشقر، فإطارٌ لوجه حادّ الملامح ولنظرة زرقاء ساحرة وودّية، سرعان ما تتحوّل، بحسب مُنافسيه، إلى نظرة «شرسة» لا ترحم.

وقف كريس يُتابع المزايدة النهائيّة على خزانة من طراز دومينيكو كوتشي. كانت مرصّعة بالأحجار الكريمة، أصغر حجمًا وأقلّ زخرفة من تلك التي ابتكرها كوتشي للويس الرابع عشر. مع ذلك، قد أجمعت الآراء على كونها قطعة فنّية رائعة، لا يشوبها عيب.

توقّف الهرج والمرج في الصالة، فيما استمرّت المزايدة بين المزايدين الكبيرين، متحف الميت وممثّل المصرف الياباني. أحسّ كريس بيدٍ تهزّه برفق، فاستدار عاقدًا حاجبيه. كانت تلك مساعدته ساره جونسون، الخبيرة في الأعمال الفنّية والتي اصطادها من أحد المتاحف الخاصّة في بوسطن. بادرتهُ بشيء من القلق: «كريس، أخشى أن تكون والدتك تواجه مشكلة. فقد اتّصلت بي، وهي تودّ التحدّث إليك. تقول إنّ المسألة طارئة. لقد بدت لي مضطربة.»

«تبًّا لهذا البرنامج التلفزيوني. إنّه سبب المشاكل!»

توجّه كريس نحو الباب بِخُطًى سريعة وفتحه بقوّة. تجاهلَ المصعد وارتقى السلالم مسرعًا.

وكانت السلسلة التلفزيونيّة الشعبيّة «جرائم واقعيّة» قد بثّت خلال الشهر الماضي حلقة عن عمليّة القتل الغامضة التي راحت ضحيّتها نان، أخته التوأم. فقد وُجدت هذه الأخيرة، التي لم تتجاوز

ربيعها التاسع عشر، مقتولة خنقًا، في أثناء ممارستها رياضة الهرولة بالقرب من منزلهما في منطقة داريين، كونيكتيكوت.

عبثًا، إعترض كريس. فهو لم يستطع منع فِرَق التصوير من أخذ لقطات مطوّلة للمنزل ولمسرح الجريمة، ولا من إعادة تمثيل مقتل نان بالقرب من الغابة حيث وجدت جثّتها.

ناشد والدتَه الامتناع عن مشاهدة البرنامج، لكنّها أصرّت على أن يشاهداه معًا، هو وهي. وكان المنتجون قد تدبّروا ممثّلة شابّة تشبه نان إلى حدّ كبير، فصوّروها وهي تهرول فيما المجرم مختبئ وراء الأشجار يرصد حركتها... ثمّ تتسارع الأحداث، فنرى المواجهة بينهما، ومحاولة نان الإفلات من المجرم، فإمساكه بها، ثمّ خنقها، وأخيرًا سحب قدمها اليمنى من حذاء الرياضة واستبداله بآخر عالي الكعب.

أمّا التعليق على المَشاهد، فكان من أحد المذيعين الذي تحدّث بلهجة شابها الذعر.

«أرَجلٌ مجهولٌ يا تُرى اعتدى على الشابة الجميلة اللامعة، نان شيريدان؟ فقد احتفلت وأخاها التوأم عشيّة الحادث بعيد ميلادهما التاسع عشر في قصر العائلة. أيكون قاتلها أحد المدعوّين الذين شاركوها نخب المناسبة؟ خمس عشرة سنة مرّت ولم تتقدّم التحقيقات بشأن تلك الجريمة المروّعة. لا معلومات عنها إلى هذه الساعة. ويبقى السؤال: هل كانت نان شيريدان ضحيّة عابر سبيل مختلّ، أو ضحية جريمة اقترفها أحد معارفها بدافع الانتقام؟»

تلى التعليق مونتاج لبعض اللقطات القريبة: المنزل ومسرح الجريمة من زاوية مختلفة ثمّ جملة لمن لديه معلومات عن الجريمة الاتّصال على رقم الهاتف الذي يُعرض على الشاشة. أمّا اللقطة الأخيرة

فكانت لِجثّة نان كما عرضتها الشرطة لدى العثور عليها، وقد مُدِّدتْ أرضًا بإتقان، ولُفّت ذراعاها على صدرها، فيما تبدو قدمها اليسرى في حذاء الرياضة، والأخرى في حذاء السهرة.

إنتهتِ الحلقة بعبارة: «ماذا حلّ «بالفردة الثانية» من حذاء السهرة الرائع ذاك؟ هل ما زال القاتل يحتفظ بها، يا تُرى؟»

شاهدت غريتا شيريدان البرنامج من دون أن تذرف دمعة واحدة. ولدى انتهائه، بادرت كريس بالقول: «كريس، لقد استعدتُ الأحداث في ذهني مرارًا وتكرارًا. لهذا السبب أردتُ أن أشاهد هذه الحلقة. فبعد وفاة نان كُنتُ منهارةً ومشوّشة الفكر. لطالما حدّثتني نان عن زملاء الدراسة كلّهم. حسبتُ أنّني، إذا ما شاهدت البرنامج، قد أتذكّر معلومة هامّة. أتذكر يوم الجنازة؟ الجمع الغفير الذي حضر؟ أولئك الشبّان من الجامعة. أتذكُر كلام المحقّق هاريمان وهو يؤكّد أنّ القاتل كان يجلسُ بين المعزّين؟ أتذكُر الكاميرات، وقد نُصبت لالتقاط صور الحاضرين في الجنازة؟»

بعدما أفرغت غريتا شيريدان ما في جعبتها، أجهشت بالبكاء. لقد كان بكاؤها يفطر القلب. «تلك الفتاة، تُشبهُ نان تمامًا، ألا ترى ذلك؟ كريس، لقد اشتقت إليها طوال هذه السنوات. لكانَ والدكَ ما زال حيًّا إلى اليوم لولا قضاؤه بسكتة قلبيّة متأثّرًا بموتها.»

رثى كريس لحال أمّه وقال في نفسه: «ليتني حطّمت أجهزة التلفاز كلّها في هذا المنزل قبل أن تشاهد أمّي هذا البرنامج اللعين.» وعَبَر الرواق إلى مكتبه. إلتقط سمّاعة الهاتف وقال: «أمّي، ما الخطب؟»

أجابته غريتا شيريدان بصوت متوتّر مرتجف: «كريس، بُنيّ، آسفة لإزعاجك في أثناء المزاد، لكنّني تلقّيت للتوّ أغرب رسالة.»

إستشاط كريس غضبًا وفكّر: لا شكّ في أنّها واحدةٌ من مخلّفات البرنامج الكريه. رسائل يبعثها أناس بلهاء. منهم الوسطاء الروحانيّون الذين يعرضون خدماتهم لحلّ لغز الجريمة، ومنهم الدجّالون الذين يطلبون المال لقاء رفع الصلوات للعثور على القاتل.

«أمّي، أتمنّى عليك ألّا تقرأي تلك التفاهات والأكاذيب. فهي تزيدك يأسًا وإحباطًا.»

«بُنيّ كريس. إنّ الرسالة التي بين يديّ مختلفة عمّا سبقها. فكاتبها يؤكّد أنّ مساء التاسع عشر من فبراير سوف يشهد وفاة شابّة من منهاتن تهوى الرقص بالطريقة نفسها التي توفّيت بها نان.» ثمّ أضافت بصوت مرتفع: «كريس، ماذا لو لم تكن الرسالة مزحة؟ هل بوسعنا التصرّف؟ هل من جهة نبلغها بالأمر؟»

عقد دوغ فوكس ربطة عنقه بعناية ووقف يتفحّص شكله في المرآة. لقد خضع بالأمس لتدليك للوجه. وكانت بشرته متورّدة تلمع. شعره الناعم يبدو اليوم أفضل حالًا بعد تجعيده. أمّا خُصل الشيب على صدغيه فاختفت تمامًا، بفضل الغسول الملوّن.

«أنت وسيمٌ، دوغ.» قالها مزهوًّا بنفسه، فيما وقف يتأمّل بإعجاب مظهره بالقميص الأبيض. تناول سترته، مستمتعًا بملمس صوفها الناعم. لقد كانت كحليّة اللون مقلّمة، تُبرز كلمة هيرميس التي طُبعت بخطّ أحمر خفيف على ربطة العنق. في شخصه، التقى المصرفي الناجح والمواطن الصالح بالزوج المخلص لسوزان فراولي فوكس، والوالد لأربعة أولاد رائعين ومفعمين بالحياة.

مستحيلٌ أن يشكّ أحد في أنّه يعيش حياة أخرى: حياة الرسّام العازب الذي يقطن في إحدى شقق لندن تيراس، ويتوارى، من وقت لآخر، في باولنغ، ويقود سيّارة فولفو بِبابين.

ألقى على هندامه النظرة الأخيرة في المرآة، وسوّى منديل الجيب. ثمّ جال بنظره في أنحاء الغرفة للتأكّد من أنّه لم ينسَ شيئًا، ومشى نحو الباب. كانت غرفة النوم تُثير غيظه. صحيح أنّ المهندس الذي صمّمها هو مهندس فرنسيّ لامع، وقد أضفى عليها لمسة جميلة بأثاثها الفرنسيّ الريفيّ الطراز، غير أنّ سوزان قد حوّلتها إلى ما يُشبه السوق الخيريّة. فقد كانت الملابس مُكدّسة على الكنبة، فيما أدوات التبرّج المصنوعة من الفضّة مُبعثرة على المزينة والرسوم التي نفّذها الأولاد تتصدّر الجدران. أخذته رغبة جامحة في مغادرة الغرفة بدون تأخير.

لم يكن المطبخ أحسن حالًا. هرجٌ ومرج. دوني، الابن الأصغر سنًّا (ثلاثة عشر عامًا) يتناول الإفطار مع أخته بيث (إثنا عشر عامًا) بينما وقفت سوزان تعلن عن وصول باص المدرسة. يا لها من فوضى! الطفل الرضيع يتهادى، بحفاض مبلّل ويدين قذرتين. تريش ترفض الذهاب إلى روضة الأطفال وتفضّل البقاء في المنزل ومشاهدة برنامج «أولادي» مع أمّها.

سوزان ترتدي ثوبًا قديمًا من الفلانيل فوق قميص النوم. لقد كانت فتاة جميلة في بداية زواجهما. فتاة جميلة لم تعتنِ بمظهرها. إبتسمت لدوغ، وسكبت له القهوة وسألت:

«ألا ترغب بالفطائر المحلّاة؟»

«كلّا».

متى ستمتنع عن فرض الطعام عليه كلّ صباح؟ رجع دوغ إلى الوراء، في محاولة لتجنّب الطفل الذي أراد إمساكه بساقه.

«سوزان، إن كنتِ عاجزة عن إبقائه نظيفًا، على الأقلّ أبعديه عنّي. فهل أذهب إلى المكتب متّسخًا؟»

وسط الضجّة، تعالت صرخة بيث: «لقد حضر الباص. إلى اللقاء، أمّي. إلى اللقاء، أبي.»

إلتقط دوني كتبه، وسأل والده: «أبي، هل تحضر مباراة كرة السلّة التي سأشارك فيها الليلة؟»

«بُنيّ، سأتأخّر في العودة إلى المنزل الليلة. لديّ اجتماع هامّ. أعدك بأني سأكون أوّل المشجّعين في مباراتك المقبلة.»

«لا أشكّ في ذلك البتّة.» قالها دوني، وخرج مغلقًا الباب بقوّة.

بعد ثلاث دقائق، كان دوغ يقود سيّارته المرسيدس إلى محطّة القطار، فيما ترنّ في أذنيه نصيحة سوزان: «لا تتأخّر في العودة». لكنّ استياءَه ما لبث أن تلاشى. إنّه اليوم في السادسة والثلاثين من عمره مرتبط بزوجة سمينة وأربعة أولاد، ويعيش مع عائلته في منزل في ضواحي نيويورك. لقد كان في الثانية والعشرين من عمره عند زواجه بسوزان. يومها حَسِب أنّه اتّخذ القرار الصائب.

لكنّ الزواج بابنة رجل ثريّ لا يعني الزواج بالثروة. فوالد سوزان كان بخيلًا، شعاره الإقراض، لا العطاء.

أحسّ بالندم، ليس لأنّه لا يُحبّ الأولاد أو لا يشعر بعاطفة تجاه سوزان، بل لأنّه بكّر في دخول معترك الحياة الزوجيّة والعائليّة. لقد ضيّع سنوات شبابه. ها هو اليوم يعيش حياة مملّة، هو دوغلاس فوكس رجل الأعمال الثريّ والمواطن المشرّف لبلدته سكارسدايل.

ركن سيّارته واستقلّ القطار في الدقيقة الأخيرة. عزاؤه الوحيد هو الحياة السرّية والمثيرة التي يعيشها بشخصيّة دوغ فيلدز، الفنّان العازب، وهاوي الإعلانات الشخصيّة. دوغ فيلدز، القادر على إشباع رغباته الخفيّة، متى ظهرتْ.

الأربعاء 20 فبراير

يوم الأربعاء، وصلت دارسي إلى مكتب نونا روبرتس في تمام السادسة والنصف مساء. كانت قد أنهت لتوّها اجتماعًا مع أحد الزبائن في ريفر سايد درايف، واتّصلت بنونا لتعرض عليها أن تقصدا المطعم معًا بسيّارة أجرة.

كان مكتبُ نونا واحدًا من تلك المكاتب الصغيرة المزدحمة الكائنة في الطابق التاسع عشر من مبنى هادسون كايبل. أمّا أثاثُه، فطاولةٌ عتيقةٌ من خشب السنديان، تكدّست فوقها أكوامٌ من الورق؛ خزائن لحفظ الملفّات، قديمةٌ لا تُغلَق أدراجها، ورفوف مُثقلةٌ بالمراجع وأشرطة الفيديو، بالإضافة إلى كَنَبة لشخصين وكرسيّ دوّار أكل الدهر عليهما وشرب. على حافّة النافذة نبتةٌ ذابلةٌ حزينة أهملت نونا رعايتها.

مكتبٌ أحبّته نونا بعيوبه، وتعجّبت دارسي في سرّها من أنّه قد نجا، إلى تلك الساعة، من حريق يلتهمُ محتوياته. عندما بلغت دارسي المكتب، وجدت نونا منهمكة في مكالمة هاتفيّة، فخرجت تجلبُ بعض الماء لتسقي النبتة.

«المسكينة. تموت عطشًا.»

أنهت نونا مكالمتها وهبّت تقبّل صديقتها. «عزيزتي، أنتِ أدرى الناس بافتقاري إلى موهبة رعاية النبات.»

كانت نونا ترتدي فُستانًا من الصوف، بلون الكاكي، أبرزَ قامتها الرقيقة. أمّا خصرها، فلفّه حزامٌ أسود، أمسكت بطرفيه يدان من الذهب الأبيض. وكانت قد قصّت شعرها الأشقر المتموّج ببعض خُصل الشيب ليصل إلى مستوى ذقنها. وجهٌ ملامحه مثيرة، تنبض بالحياة.

لاحظت دارسي انسحاب الحزن من نظرة صديقتها وحلول شيء من السخرية مكانه. فنونا كانت تُعاني الأمرّين من طلاقها الجديد. برأيها، «يكفي أن تكون قد بلغت سنّ الأربعين. فكيف لها أن تتحمّل بالإضافة إلى ذلك، تخلّي زوجها عنها واستبدالها بفتاة في العشرين من عمرها؟»

بادرت نونا دارسي معتذرة: «لقد تأخّرت. أليس موعدنا مع إيرين عند السابعة؟»

«بين السابعة والسابعة والنصف»، قالت دارسي، وهي تكبح رغبتها في نزع الأوراق الميتة عن النبتة المسكينة.

«يلزمنا خمس عشرة دقيقة للوصول إلى هناك. رائع. ثمّة ما أودّ القيام به قبل ذهابنا. هلا رافقتني في جولة تتعرّفين فيها إلى الجانب الإنسانيّ من العمل التلفزيونيّ؟»

«لم أعلم أنّ للعمل التلفزيونيّ جانبًا إنسانيًّا.»

وتناولت دارسي حقيبتها.

كانت المكاتب تُطلّ كلّها على بهوٍ واسع غَصّ بالمحرّرين والموظّفين الجالسين كلٌّ أمام جهازه. طنين أجهزة الكمبيوتر ملأ المكان على إيقاع طقطقة آلات الفاكس. في مؤخّرة القاعة صحفيّ ينقل نشرة الأخبار مباشرة على الهواء. ألقت نونا التحيّة على الجميع.

«أوكّد لك، صديقتي، أنّه ما من عازب ههنا لا يردّ على الإعلانات التي أضعها. حتّى أنّني أشكّ في أنّ بعض الموظّفين المتزوّجين أو الخطّاب يستمتع أيضًا بالردّ عليها.»

رافقت دارسي إلى صالة حيث عرّفتها بجوان ناي، الفتاة الشقراء التي لا تتعدّى العشرين من العمر.

«جوان مسؤولة عن أخبار الوفيّات. لقد أعدّت تقريرًا منذ قليل وسألتني الاطّلاع عليه.» إلتفتت إلى جوان وأردفت: «أنا متأكّدةٌ من أنّك قد أبليتِ حسنًا.»

تنهّدت جوان وقالت: «آمل ذلك.» ثمّ أدارت الفيلم.

وإذ بوجه سينمائيّ معروف يملأ الشاشة. لقد كانت الممثّلة آن بوشار التي عرّف بها غاري فينش، مقدّم هادسون كايبل، بصوته العذب: «حصدت آن بوشار جائزة الأوسكار للمرّة الأولى، في عمر التاسعة عشرة، عن دورها كبديلة لليليان ماركر في الفيلم الذي صُوّر في العام 1928...»

تعاقبت صورٌ للممثّلة الكبيرة في أدوارها البارزة ومحطّات من حياتها الشخصيّة: أزواجها السبعة، ومنازلها، وخلافاتها مع المنتجين، بالإضافة إلى مقتطفات من المقابلات التي أجرتها، سحابة مسيرتها الفنّيّة الطويلة. وعرض التقرير أيضًا لقطات مؤثّرة من تسلّمها جائزة عن مجموع أفلامها: «لقد كنتُ سعيدة ومحبوبة. وأنا أحبّكم».

إنتهى التقرير.

قالت دارسي بتعجّب: «لم أكن أعرف أنّ آن بوشار قد توفّيت. لقد اتّصلت بأمّي الأسبوع الماضي. ماذا حصل لها؟»

«لم تمُت، عزيزتي. نحن نُعدّ أخبار وفيّات المشاهير سلفًا، على غرار الصحف، ونقوم بتحديثها بانتظام. فوداع جورج بيرنز، مثلًا، قد

أعدنا تنقيحه إثنتين وعشرين مرّة. عندما تقع الكارثة ليس علينا إلّا أن نضيف العنوان. أمّا اسم البرنامج فقد أردناه وقحًا بعض الشيء: «الوداع، يا أولاد.»

«الوداع، يا أولاد؟»

«نعم. نضيف القسم الأخير ونقول للراحل الوداع.» ثمّ التفتت إلى ناي: «التقرير رائع. لقد أدمعت عيناي. بالمناسبة، هل رددتِ على الإعلانات؟»

إبتسمت ناي وأجابت: «قد يكلّفك الأمر غاليًا، نونا. منذ بضعة أيّام، حدّدتُ موعدًا لواحد من أولئك البُلهاء. كالعادة، وجدت نفسي عالقة في زحمة السير، فركنتُ السيّارة في الصفّ الثاني وترجّلت منها لأبلغه بأنّني لن أتاخّر في العودة إليه. لدى خروجي من الحانة، وجدتُ الشرطيّ يُسطّر مخالفة سير بحقّي، وعندما عدتُ من الموقف حيث تركت سيّارتي، على بعد ستّة مبان...»

قالت نونا: «كان قد رحل.»

جحظت عينا ناي وسألت:

«كيف عرفتِ؟»

«لستِ أوّل من يخبرني هذه القصّة. لا تعتبري المسألة إهانة شخصيّة. أمّا الآن فيجدر بنا الاستعجال في المغادرة.»

عند الباب، قالت نونا لناي: «أعطيني ورقة المخالفة. سأهتمّ بها.»

في سيّارة الأجرة التي أقلّتهما إلى موعدهما، تساءلت دارسي عن السبب الذي يحدو بالناس إلى التصرّف بغرابة. فناي كانت جذّابة. هل تخوّف ذاك الشاب من سنّها الصغيرة؟ لكنّها حتمًا صرّحت عن

عمرها في ردّها على الإعلان. هل رسم في ذهنه، يا تُرى، صورة لفتاة مغايرة لصورة ناي؟

شغلت الفكرة بالها. وفيما كانت سيّارة الأجرة تشقّ طريقها بين السيّارات المزدحمة، في الشارع الثاني والسبعين، قالت لنونا:

«نونا، عندما بدأنا الردّ على الإعلانات، اعتبرتُ الأمر مزحة. لكنّني اليوم لست متأكّدة من أنّه كذلك. فاللقاء أشبه بلقاء مدبّر يجهل من يحضر إليه إذا كان سيقابل واحدًا من معارفه أم أخ أحد أصدقائه. هل يمكنك أن تتخيّلي رجلًا من معارفك يتصرّف بتلك الطريقة؟ حتّى لو لم يرق للرجل الذي تواعد مع ناي لباسُها أو تسريحتُها، فقد كان بإمكانه تناول كأس معها والانصراف بعد ذلك بحجّة أنّه مسافرٌ. بالتالي، يكون قد تخلّص منها من دون أن يتركها بلا تفسير.»

«دارسي، يجدر بنا تحليل الأمور بواقعيّة. فمن خلال التقارير كلّها التي اطّلعتُ عليها، تبيّنتُ أنّ معظم الأشخاص الذين يضعون الإعلانات أو يردّون عليها مصابون بنوع من الاضطراب والقلق. لكنّي تلقّيت اليوم رسالة من أحد عملاء الأف. بي. أي. أثارت في نفسي بعض المخاوف. فهذا الأخير قد سمع عن البرنامج ويودّ مقابلتي. برأيه، يجدر بنا أن ننبّه الجمهور إلى خطورة تلك الإعلانات، كونها من اختصاص المصابين بالاضطرابات الجنسيّة.»

«تحليل مذهل!»

كالعادة، كان الاستقبال حارًّا ووديًّا في مطعم بيلا فيتا. رائحة الأطباق الشهيّة تفوح من المطبخ وتملأ المكان. أحاديث روّاد المطعم وضحكاتهم تُحدث جلبة لطيفة مُحبّبة. تَقَدّم منهما آدم، مالك المطعم، وبادرهما مرحّبًا: «أهلًا وسهلًا بِسيدتيَّ الجميلتين. لقد

حجزتُ لكما الطاولة المعتادة»، قال، وهو يشير إلى الطاولة في الزاوية بالقرب من النافذة.

جلستا إلى الطاولة وقالت دارسي: «لن تتأخّر إيرين في الوصول. غريب أنّها لم تحضر بعد. فهي دقيقة في مواعيدها. وهذا ما يُثير فيّ القلق اليوم.»

«قد تكون عالقة في زحمة السير. لنطلب النبيذ.»

إنقضت ساعة في انتظار إيرين، فقامت دارسي عن مقعدها وقالت: «سوف أتّصل بها. لا أجد مبرّرًا لتأخّرها غير اضطرارها إلى إجراء بعض التعديلات على القلادة بعد أن سلّمتها إلى برتولييني. فهي تنسى الوقت عندما تكون مستغرقةً في عملها».

إتّصلت دارسي بإيرين، غير أنّها لم تلقَ سوى ردّ آلة تسجيل المكالمات. فعادت إلى الطاولة حيث انتظرتها نونا وقد ارتسمت على وجهها هي أيضًا علامات القلق.

«لقد تركتُ لها رسالة قلتُ فيها أنّنا ننتظرها هنا وسألتها الاتّصال بنا في حال استجدّ ما يمنعها من الحضور.»

طلبتا العشاء. ومع أنّ دارسي كانت تعشق ذلك المطعم ومأكولاته، غير أنّها في تلك الأمسية لم تكترث لِما تأكل. أمضت السهرة تلتفت نحو الباب، كلّ خمس دقائق، علّها ترى إيرين، وهي تصل كالإعصار، وفي جعبتها تفسير منطقيّ لتأخّرها عن الحضور.

غير أنّ إيرين لم تأتِ.

إنتهى العشاء، وغادرت دارسي ونونا المطعم، كلٌّ منهما في سيّارة أجرة، بما أنّ الأولى كانت تقطن في الطابق الأخير من أحد مباني الشارع التاسع والأربعين، والثانية في سنترال بارك.

بلغت دارسي شقّتها واتّصلت بإيرين. عاودت الكرّة بعد ساعة قبل أن تخلد إلى النوم، وتركت لها الرسالة التالية: «إيرين، أنا قلقة. إنّها الحادية عشرة والربع من ليلة الاربعاء. إتّصلي بي، حتّى لو عدتِ في ساعة متأخّرة من الليل».

غفت دارسي وكان نومها متقطّعًا. إستفاقت في السادسة من صباح اليوم التالي. كان أوّل ما خطر ببالها أنّ إيرين لم تتّصل.

وقف جاي ستراتون إلى نافذة شقّته، في الطابق الثلاثين من أحد مباني واترسايد بلازا، ينظر إلى الشارع الممتدّ على جانبي نهر إيست ريفر. أخذته روعة المنظر: جسرا بروكلين ووليامسبورغ يشكّلان قوسًا طبيعيًّا فوق النهر، إلى يمينهما البرجان التوأمان، وخلفهما مبنى هادسون كايبل. أمّا حركة السير، فطبيعيّة، وقد انقضت ساعة الذروة. لقد كانت السابعة والنصف مساء.

عبس جاي فاختفت عيناه الصغيرتان. لقد كان شابًّا وسيمًا. شعرٌ داكن، متموّج ببعض خُصل الشيب، أضفى على مظهره لمسةً من الأناقة العصريّة. كان يُدرك ميله إلى اكتساب الوزن، فثابر على ممارسة التمارين الرياضيّة. صحيحٌ أنّه بدا أكبر سنًّا؛ فهو في السابعة والثلاثين. مع ذلك رأى بعض الناس في مظهره وسامة استثنائيّة.

لا شكّ في أنّ أرملة ذلك الإعلامي اللامع التي رافقها إلى كازينو تاج محال في أتلانتيك سيتي الأسبوع الماضي قد أُعجبت به. لكنّها ما لبثت أن انتفضت عندما أبدى لها رغبته في تصميم بعض المجوهرات لها. قالت له بلهجة حازمة: «هلا وفّرت على نفسك عناء إقناعي بالامر! لستُ بالزبونة المنشودة. وليكن ذلك واضحًا!» مذّاك،

لم يعاود الاتّصال بها. فالوقت عنده ثمين، ولا فائدة من إضاعته مع مثيلاتها. اليوم قصد نادي الخيول لتناول الغداء. وفيما كان ينتظر النادل ليدبّر له طاولة يجلس إليها، بدأ حديثًا مع زوجين مُسنّين، بدت عليهما مظاهر الثراء. لقد استغربا الجوّ، بعيدًا عن مسقط رأسهما في كارولينا الشمالية، فطاب لهما التحدّث إليه.

سأل جاي الزوج عن الهديّة التي ينوي تقديمها إلى زوجته بمناسبة ذكرى زواجهما الأربعين. فهل اختار لها، يا تُرى، قطعة من المجوهرات؟ أجابه الزوج وقد راقه السؤال: «لطالما أقنعتُ فرانس بأن أهديها قطعة من المجوهرات، لكنّها كانت تُجيبني دومًا بضرورة توفير المال لحفيدتنا فرانس».

ردّ عليه جاي بأنّ فرانس الحفيدة قد تستمتع، في يوم من الأيّام، بوضع عقد أو سوار جميلين، وهي حتمًا ستُخبر ابنتها أو حفيدتها بأنّ العقد كان هديّة مميّزة من جدّها إلى جدّتها.

«هذا ما تدأب العائلات الملكيّة على القيام به منذ قرون عدّة»، قالها ومرّر إليهما بطاقته.

قطعت رنّة الهاتف حبل أفكاره، فسارع إلى الردّ. لربّما كان الاتّصال من الزوجين آشتون.

لقد كان ألدو ماركو، مدير برتوليني.

«ألدو، لقد كنت أنوي الاتّصال بك. هل كلّ شيء على ما يرام؟»

ردّ عليه ماركو بشيء من البرودة.

«لا، عزيزي، يؤسفني أن أقول لك أنّنا نواجه بعض المشاكل. عندما عرّفتني بإيرين كيلي، أُعجبتُ بشخصها وبأعمالها. فالتصميم الذي قدّمته كان رائعًا، وكما تعرف، لقد أعطيناها قِطعًا من المجوهرات

الخاصّة بالزبون لتعيد تصميمها. كان من المفترض أن تُسلّم القلادة هذا الصباح. غير أنّ الآنسة كيلي لم تفِ بالتزامها، ولم ترُدّ على رسائلنا المتكرّرة. سيّد ستراتون، إمّا أن تُسلّمني القلادة أو تعيد إليّ مجوهرات الزبون، فورًا.»

مرّر جاي لسانه على شفتيه مرتبكًا. فقد نسي أمر القلادة. حاول ضبط أعصابه وانتقى كلماته بعناية: «لقد قابلتُ الآنسة كيلي الأسبوع الماضي وأرَتني القلادة. إنّها تُحفة رائعة. لا بدّ أنّ في الأمر سوء تفاهم.»

«سوء التفاهم هو أنّها لم تلتزم بموعد تسليم القلادة، والزبون يريدها لحفلة خطوبة، مساء الجمعة. أكرّر لك، إمّا القلادة أو مجوهرات الزبون، في الحال. أُحمّلكَ مسؤولية تنفيذ أحد الخيارين. واضح؟»

وأقفل الخطّ في وجه ستراتون.

عاين مايكل ناش مريضه الأخير، جيرار رانكويست، في الخامسة من عصر الأربعاء. كان رانكويست قد تقاعد منذ فترة وجيزة من منصب المدير العام لشركة أدوية عالميّة. وهو اليوم يعاني الأمرّين من ذلك. فبعد أن ارتبط اسمه بسياسات مجالس الإدارة وخفاياها، بات اليوم متفرّجًا بالرغم منه.

إعترف لمايكل بحسرة: «يجدر بي أن أعتبر نفسي محظوظًا، لكنّني، للأسف، أراني عديم الفائدة. حتّى زوجتي تذكّرني بالمثل القديم ذاك: لقد تزوّجتك في السرّاء والضرّاء، ولكن ليس لتناول الغداء معك.»

أجابه مايكل بلطف: «لكنّك، بلا شكّ، قد استبقت التقاعد بتصوّر ما.»

ضحك رانكويست وقال: «بالفعل. كان تصوّري الوحيد أن أتجنّب التقاعد.»

الرجل كان يُعاني إنهيارًا عصبيًّا. ذاك كان تشخيص ناش لحالته. ولا يخفى على أحد أنّ الإنهيار العصبيّ هو من الحالات النفسيّة الأكثر شيوعًا. أدرك ناش أنّهُ متعَب وأنّه فقد التركيز. راح يُفكّر «تصّرفي غير مقبول. فالرجل يدفع لي لقاء أن أصغي إليه، أمّا أنا فَمُشتَّت الفكر شارد». أحسّ بالارتياح عندما أنهى الجلسة في تمام السادسة إلّا عشر دقائق. غادر رانكويست فأقفل ناش العيادة الكائنة في أحد مباني بارك أفينيو. لقد كانت شقّته في الطابق التاسع عشر من المبنى نفسه.

خرج إلى الردهة ينتظر المصعد. هناكَ، لَقيَ المستأجرة الجديدة، وقد كانت فتاة شقراء في أوائل الثلاثينات. لم ترقه فكرة الصعود معها لكنّه حاول إخفاء استيائه. لطالما أزعجته نظرات الإعجاب التي كانت ترمقه بها، ودعواتها المتكرّرة إيّاه لتناول كأس في شقّتها.

لقد واجه مايكل المشكلة نفسها مع عدد من النساء اللواتي يرتدن عيادته. فقد كان بوسعه أن يقرأ فكر كلّ واحدة منهنّ، ويعرف رأيهنّ فيه: «شابّ وسيم، مُطلّق، بدون أولاد، في الثلاثين من العمر، وغير مرتبط». لهذا السبب، إلتزمَ الحذر في تصرّفاته معهنّ.

لحسن الحظّ، لم تُكرّر الجارة الجديدة دعوتها، في تلك الأمسية. لربّما اتّعظت، فعدلت عن فكرة مواعدته. خرجا من المصعد، فقال لها همسًا: «طابت ليلتك.»

ولج شقّته، التي عكست دقّته واحترامه التفاصيل في كلّ شيء في حياته. في غرفة الجلوس كنبتان منجّدتان بكتّان عاجيّ، غطّى أيضًا الكراسي التي أحاطت بطاولة الطعام المستديرة المصنوعة من

خشب السنديان. طاولة اصطادها من أحد مزادات الأثاث القديم. أمّا قطع السجّاد، فمُزيّنة برسوم هندسيّة على خلفيّة عاجيّة. رفوفٌ غطّت حائطًا بأكمله، شتولٌ على حوافّ النوافذ، بار، ومجموعة من الرسوم الجميلة ومن التحف التي جمعها من رحلاته إلى الخارج. غرفة جميلة مريحة.

إلى يسار غرفة الجلوس، كان المطبخ والمكتب، وإلى يمينها غرفة النوم والحمّام. شقّة لطيفة تُكمّل منزل العائلة الكبير في بريدج واتر، الذي لطالما كان مدعاة فخر وسرور لوالديه. غالبًا ما راودت ناش فكرة بيع ذاك المنزل، غير أنّه عدل عنها حبًّا بركوب الخيل هناك خلال عطلة نهاية الأسبوع.

نزع سترته واحتار ما بين مشاهدة نهاية نشرة أخبار السادسة أو الاستماع إلى سمفونية لموزار. فكان لهذا الأخير الأفضلية.

دقّ الباب.

كان ناش يعرف هويّة الطارق، ففتح الباب. لقد كانت الجارة الجديدة تحمل دلوًا من الثلج. لحسن الحظ، لم يكن قد أخرج بعد كأسًا أو زجاجة مشروب، فأعطاها مكعّبات الثلج وأبلغها بأنّه لا يستطيع الانضمام إليها لأنّه كان على وشك الخروج، ورافقها إلى الباب. خرجت وهي تقول: «حسنًا ربّما المرّة المقبلة». أمّا هو، فتوجّه إلى البار، وحضّر كأسًا، وهزّ برأسه. جلس على الكنبة بالقرب من النافذة، وارتشف المشروب، مستمتعًا بمذاقه السلس العذب، وتساءل عن المرأة التي كان سيقابلها عند الثامنة. فقد كان ردّها على الإعلان الذي وضعه مثيرًا للاهتمام.

كان ناش يعمل على كتاب بعنوان «الإعلانات الشخصيّة: هل هي طلب للرفقة أم هروب من الواقع؟». لقد أنهى لتوّه النصف الثاني من الكتاب الذي لقي استحسان الناشر. فيه تحليل للأشخاص الذين يضعون تلك الإعلانات ولأولئك الذين يردّون عليها لاحتياجاتهم النفسيّة، ولغوصهم في الخيال والوهم وهم يصفون أنفسهم.

الخميس 21 فبراير

جلسَت دارسي إلى طاولة الطعام ترتشف قهوتها وتنظرُ من النافذة إلى الأشجار في الحديقة، من دون أن تراها. الأشجارُ اليوم حزينةٌ يكسو أغصانها العارية بعض الثلج الذائب، بعد أن كانت في الصيف مُزهرةً وفي أحسن حال.

كَم أحبّت إيرين زيارة المكان في موسم طلوع الزهر. ولطالما قالت لدارسي: «لا يلاحظ مَن يمرّ في الشارع وجود تلك الحدائق. فهو لا يراها عن بُعد. لقد كنتِ، يا صديقتي، محظوظةً، يوم وجدتِ هذا المنزل.»

إيرين. أين اختفت، يا تُرى؟ عندما استفاقت دارسي وأيقنت أنّ إيرين لم تتّصل، اتّصلت هي بالمصحّ في ماساتشوستس. لقد كان السيّد كيلي على حاله. شبهُ غيبوبة قد تطول، وَوَهنٌ ظاهر. علمت دارسي أنّ أحدًا من المصحّ لم يُخابر إيرين لإبلاغها بأيّ مستجدّات طارئة عن حالة والدها. أمّا ممرّضة النهار فلم تجزم ما إذا كانت إيرين قد اتّصلت للاطمئنان إلى صحّة والدها، كما اعتادت أن تفعل مساء كلّ يوم.

تساءلت دارسي بصوتٍ عال: ماذا أفعل؟ هل أبلّغ عن اختفائها؟ هل أتّصل بالشرطة وأستعلم عن الحوادث التي وقعت مؤخّرًا؟

فجأةً راودتها خاطرةٌ مخيفة. ماذا لو تعرّضت إيرين لحادث ما داخل شقّتها؟ لقد كانت معتادة التأرجح في كرسيّها، وهي مستغرقة في عملها. ماذا لو سقطت أرضًا وأغميَ عليها؟

إرتدت ثيابها بسرعة قياسيّة، ولم تنسَ المعطف والقفّازين. وقفت تنتظر سيّارة الأجرة عند الجادّة الثانية. خُيّل إليها أنّ دقائق الانتظار دهرٌ.

بادرت السائق بالقول: «كريستوفر ستريت، 101. من فضلك، استعجل.»

أجابها السائق: «الاستعجال... الاستعجال مطلبُ الكلّ. لِمَ الاستعجال؟ إستفيدوا من الوقت فالحياة قصيرة.»، قالها وغمز دارسي.

لكنّ هذه الأخيرة لم تكن ترغب في المزاح، فأدارت رأسها. لِمَ فاتها التفكير في احتمال تعرّض إيرين لحادث؟ راحت تتذكّر تلك الأمسية من الشهر الماضي، قبل مغادرتها إلى كاليفورنيا، عندما مرّت بها إيرين لتناول العشاء، ثمّ جلستا تشاهدان التلفزيون. من الإعلانات التي لفتت انتباه الفتاتين يومها إعلان يُظهر سيّدة طاعنة في السنّ، ضعيفة، تقع أرضًا وتطلب النجدة بالضغط على سلسلة كانت تضعها حول عنقها. تعليقًا على الإعلان، قالت إيرين: «هذا ما سنؤول إليه، بعد خمسين سنة». وراحت تستعيد الإعلان، وهي تنتحب وتقول، بصوت متقطّع: «النجدة، النجدة! لقد وقعتُ أرضًا ولا أستطيع النهوض».

كان غاس بوكسر، مُراقب مبنى كريستوفر ستريت، يهوى النساء الحسناوات. لذا، بدت عليه علامات السرور وهو يُسرع إلى ردهة المبنى لفتح الباب.

لقد أعجبته الزائرة. شعرٌ بُنّي بَعثَرهُ الهواء فتدلّى على وجهها، ما ذكّره بأفلام فيرونيكا لايك، التي كان يسهر حتّى ساعة متأخرّة ليشاهدها. سترة من الجلد طويلة وقديمة، لكنّها أضفت على صاحبتها لمسة من الأناقة لم تعد تخفى على غاس، منذ أن بدأ عمله في غرينويش فيلاج.

رمق ساقيها النحيلتين الممشوقتين بنظرة مطوّلة، لكنّه ما لبث أن تعرّف إليها. فقد سبق له ورآها بضع مرّات، برفقة إيرين كيلي المقيمة في الشقة 3b. تقدّم نحو باب الردهة يفتحه، ثمّ رجع إلى الوراء، مُفسحًا لدارسي المجال لتدخل. أمّا هي فمرّت من أمامه محاولة كبت نفورها. كان، في الستيّن من عمره، زير نساء مقرفًا؛ لطالما شكت لها إيرين تصرّفاته. «تنتابني القشعريرة لدى رؤية ذاك الرجل بوكسر. لا يُعجبني أنّه يملك مفتاحًا لشقّتي. في إحدى المرّات، دخلتُ الشقّة وفاجأتُه هناك، فتذرّع لي بأنّه حضرَ لإصلاح تسرّب للماء في الحائط. قصّة لم أصدّقها.»

في تلك المرّة، سألتها دارسي: «هل لاحظت يومًا اختفاء شيء من أغراضك؟»

«لا. فأنا أضع المجوهرات في الخزنة. ليس من شيء ثمين غيرها. ما يثير نفوري منه هو تلك النظرات المقرفة التي يرمق بها النساء. إطمئنّي، عزيزتي، لديّ قفلٌ داخلي للأمان، والمكان يخلو من الأثاث الفاخر. لا أظنّه رجلًا مؤذيًا.»

قطعت دارسي حبل الذكريات وعادت إلى الواقع. لم تُضيّع الوقت، بل بادرت الرجل بدون مقدّمات قائلة: «أنا قلقة بشأن إيرين. لقد اتّفقنا على اللقاء البارحة، لكنّها لم تحضر. إنّها لا تردّ على الاتّصالات الهاتفيّة. أودّ إلقاء نظرة على شقّتها. لربّما أصابها مكروه.»

أغمض بوكسر عينيه نصف إغماضة وقال: «لقد بدَت البارحة بأحسن حال.»

«البارحة؟»

أثار سؤالها ارتباكه، فمرّر لسانه على شفتيه وأطرق يُفكّر: «سيّدتي، اختلطت عليّ الأمور. فأنا قد رأيتها بعد الظهر من يوم الثلاثاء. كانت عائدة من المتجر ببعض المؤن. حتّى أنّني عرضت عليها المساعدة في حملها».

«لقد حصل ذلك بعد الظهر من يوم الثلاثاء. قل لي، هل رأيتها تخرج بعد ذلك من الشقّة أو تعود إليها ليلًا؟»

«لا يسعني جزم الأمر، فأنا لستُ بوّابًا. والمستأجرون لديهم مفاتيح شققهم. أمّا شبّان تسليم الوجبات السريعة فعليهم استخدام جهاز الاتّصال الداخليّ لولوج المبنى.»

هزّت دارسي رأسها وسارعت إلى دقّ جرس الشقّة. نادت المُراقب قائلة: «أخشى إصابتها بمكروه ما. من فضلك، هلا مرّرت لي مفتاحك الخاصّ؟ عليّ دخول الشقّة.»

إبتسم الرجل وأجاب: «آنستي، أنا لا أسمح عادة للناس بدخول الشقق لمجرّد أنّهم يريدون ذلك. لكنّني رأيتكِ برفقة كيلي وأعرف أنّكما صديقتان. أنت مثلها. أنيقة وجميلة.»

تجاهلت دارسي الإطراء، وبدأت ارتقاء السلالم التي كانت بحالة مُزرية، وقد اهتزّت درجاتها. أمّا الجدران فبهُت لون طلائها

الرمادي الغامق. في الحقيقة، كان ولوج شقّة إيرين أشبه بالخروج من أحد الكهوف إلى ضوء النهار. عندما انتقلت إيرين إليها، منذ ثلاث سنوات، ساعدتها دارسي في طلائها. واستأجرت الفتاتان مقطورة جابتا بها ولايتي كونيكتيكوت ونيو جيرسي بحثًا عن أثاث مستعمل.

إختارت الصديقتان لجدران الشقّة طلاء أبيض صارخًا، وللأرضيّة الخشبيّة القديمة سجّادًا هنديًّا زاهي الألوان. عدد من اللوحات عُلّق فوق الكنبة المُنجّدة بالمخمل الأحمر، والتي توزّعت عليها أرائك منسّقة.

أمّا نوافد الشقّة، فقد كانت تطلّ على الشارع وتسمح بدخول الضوء. تحتها طاولة رتّبت عليها إيرين مستلزمات العمل: مشعل كهربائيّ، مثقب يدويّ، مبارد وملاقط وأشياء أخرى. لطالما راقبت دارسي صديقتها بإعجاب، وهي تعمل وتُعالج الأحجار، بأصابع نحيفة، إنّما تدلّ على مهارة استثنائيّة.

إلى جانب الطاولة، وُضعت خزانة طويلة فيها عشرات الأدراج الضيّقة. لقد كانت خزانة عطّار من القرن التاسع عشر، أخفت أدراجها السفليّة خزنة. كنبة محشوّة، جهازا تلفزيون وستيريو أكملت الأثاث.

أحسّت دارسي بالارتياح، فلا آثار للفوضى في الشقّة. دخلت المطبخ الصغير يتبعها بوكسر. لقد كان المطبخ ضيّقًا، لا نافذة له. كانت الفتاتان قد اختارتا له طلاء أصفر فاقعًا ومحارم منسّقة.

أمّا غرفة النوم، فكانت في آخر الرواق الضيّق. سريرٌ نحاسيّ وخزانة من دُرجين شكّلا أثاثها. كان السرير مرتّبًا. وكلّ شيء في مكانه.

في الحمّام، وجدت دارسي المناشف مطويّة في مكانها. فتحت الخزانة الصغيرة، فلاحظت وجود فرشاة الأسنان الخاصّة بإيرين فيها، كما المساحيق ومستحضرات التبرّج.

قال بوكسر، وقد عيل صبره: «الشقّة في حالة طبيعيّة لا تدعو إلى القلق. هل اكتفيتِ؟»

«لا»، قالت دارسي، وعادت إلى غرفة الجلوس، واقتربت من طاولة العمل. تنبّهت إلى تسجيل اثني عشر اتّصالًا. فشغّلت آلة تسجيل المكالمات لاسترجاعها.

اعترض بوكسر قائلًا: «مهلًا آنستي، لا أعرف...»

غير أنّ دارسي تجاهلت اعتراضه، وردّت عليه: «لقد اختفت إيرين ولا نعرف عنها شيئًا. هل تُدرك فظاعة الموقف؟ سوف أستمع إلى الرسائل المسجّلة، علّها تُرشدني إلى مكانها. من ثمّ سأتصّل بالشرطة للاستعلام عن الحوادث التي حصلت مؤخّرًا. لا شكّ في أنّها ترقد فاقدة الوعي في أحد المستشفيات. يمكنك البقاء معي هنا أو الرحيل إن كنت مشغولًا. ماذا تُفضّل؟»

هزّ بوكسر كتفيه استهجانًا وقال: «لا مانع عندي لبقائك في الشقّة.»

أدارت له دارسي ظهرها، وأخرجت دفترًا وقلمًا من حقيبتها. لم تلاحظ أنّه غادر الشقّة لانهماكها بسماع الرسائل المسجّلة. الرسالة الأولى تركها شخص يُدعى توم سوارتز عند السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء الثلاثاء. كان يشكر فيها إيرين على الاستجابة للإعلان الذي وضعه، ويدعوها لتناول العشاء في مطعم صغير متواضع. أبلغها بأنّه سيعاود الاتّصال بها.

راحت دارسي تُحلّل مسار الأحداث. لقد كانت إيرين على موعد مع تشارلز نورث في السابعة من مساء الثلاثاء، في إحدى الحانات القريبة من واشنطن سكوير. لا بدّ أنّها قد تركت المنزل عند السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين.

الاتّصال التالي سُجّل في السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين. كان من مايكل ناش.

«إيرين، لقد سرّني التعرّف إليك، وأودّ دعوتك لتناول العشاء الأسبوع المقبل. هلا عاودتِ الاتّصال بي في المساء لتأكيد إمكانيّة حضورك؟» وترك لها ناش أرقام المنزل والمكتب.

صباح الأربعاء، بدأت الاتّصالات في التاسعة. أوّلها كان للعمل. أمّا الاتّصال الذي أزعج دارسي، فكان من شخص يُدعى ألدو ماركو، من محلّ برتوليني للمجوهرات. «آنسة كيلي، يؤسفني أنّك لم تلتزمي بموعدنا المقرّر عند العاشرة. من الضروري أن أرى القلادة للتأكّد من أيّ تعديل أخير، قبل تسليمها. هلا عاودتِ الاتّصال بي، من فضلك؟»

تمّ ذاك الاتّصال عند الحادية عشرة. تلاهُ ثلاثة اتّصالات من الشخص نفسه، يكرّر فيها مطلبه المُلحّ بضرورة تسليم القلادة. بالإضافة الى الرسائل التي تركتها دارسي، كانت رسالة أخرى تتعلّق بمشروع برتوليني.

«إيرين، أنا جاي ستراتون. ما الخطب؟ ماركو يُمطرني باتّصالاته. إنّه يُحمّلني مسؤوليّة تسليم القلادة.»

كانت دارسي على علم بأنّ ستراتون هو تاجر المجوهرات الذي تدبّر لإيرين مشروع برتوليني. لقد ترك رسالته قرابة السابعة من مساء الأربعاء. ضغطت دارسي على زرّ استرجاع الرسائل، ومن ثمّ توقّفت. من الأفضل ألا تمحوها. نظرت في دليل الهاتف بحثًا عن أرقام أقرب مركز للشرطة. إتّصلت وقالت: «أودّ الإبلاغ عن اختفاء فتاة.»

كان الردّ بضرورة حضورها شخصيًّا إلى المركز. فالإبلاغ عن اختفاء شخص راشد لا يُقبل عبر الهاتف.

قرّرت دارسي التوقّف عند مركز الشرطة في طريق العودة إلى المنزل. دخلت المطبخ وحضّرت القهوة. لاحظت أن عبوّة الحليب لم تُفتح بعد. إعتادت إيرين، صباح كل يوم، شرب القهوة مع الحليب. لقد رآها بوكسر تعود الثلاثاء بعد الظهر ببعض المؤن. ألقت دارسي نظرة على سطل النفايات تحت المغسلة، لكنّها لم تجد فيه أي عبوّة حليب فارغة. لم تكن إيرين في شقّتها صباح الأمس. ولم تعد إليها ليلة الثلاثاء.

عادت إلى طاولة العمل وفي يدها فنجان القهوة. فتحت الدرج العلويّ من الطاولة وأخرجت منه مُفكّرة المواعيد اليوميّة. راحت تتصفّحها، بدءًا بيوم الخميس. لم تسجّل إيرين أي مواعيد لهذا اليوم، باستثناء موعدين ليوم الأربعاء: الأوّل عند العاشرة في محلّ برتوليني للمجوهرات، والثاني عند السابعة مساء في مطعم بيلا فيتا، مع دارسي ونونا.

أمّا مواعيد الأسابيع السابقة، فكانت مع رجال لا تعرفهم دارسي. كانت مُقرّرة ما بين الخامسة والسابعة، في عدد من الحانات الشعبية والفنادق.

رنّ جرس الهاتف.

رفعت دارسي السمّاعة آملة سماع صوت إيرين وقالت: «ألو».

«إيرين؟» كان المتّصل رجلًا.

«لا. أنا دارسي سكوت صديقة إيرين.»

«هل تعرفين شيئًا عنها؟ عن مكان وجودها؟»

أجابته دارسي، بخيبة أمل عارمة: «مَن المُتّصل؟»

«جاي ستراتون.»

تذكّرت دارسي أن جاي ستراتون قد ترك رسالة بشأن القلادة. ماذا قال فيها؟

«...لِمن يعرف مكان إيرين، الرجاء إبلاغها بأنّ محلّ برتوليني سوف يقدّم شكوى بِحقّها في حال لم يستلم القلادة.»

إلتفتت دارسي نحو الخزانة الصغيرة في الحمّام. كانت تعرف أن إيرين قد دوّنت أرقام الخزنة السرّية في دفتر عناوينها ووضعته في الخزانة. بادرت ستراتون بالقول:

«إنتظر قليلًا من فضلك.» وضعت يدها على مكبّر الصوت لكنّها ما لبثت أن سخرت ممّا فعلت. فليس من أحد معها في الشقّة لتسأله. مع ذلك، خُيّل إليها أنّها كانت تسأل إيرين، بطريقة ما. في حال لم تكن القلادة في الخزنة، فإنّ إيرين قد تعرّضت للسرقة قبل تسليمها. أمّا إذا كانت القلادة هناك، فهذا دليل على أنّ مكروهًا قد أصابها. ليس من أمر يمنع إيرين من تسليم القلادة في الوقت المتّفق عليه.

فتحت دارسي دفتر العناوين الخاصّ بإيرين، عند الحرف دال، فوجدت سلسلة من الأرقام. قالت لستراتون: «لقد وجدتُ أرقام الخزنة السرّيّة. أنا في انتظارك هنا. لا أريد فتح خزنة إيرين من دون شاهد. في حال كانت القلادة في الخزنة، أسلّمك إياها لقاء إقرار خطّي منك بذلك.»

أجابها ستراتون بأنّه لن يتأخّر في المجيء. بعد إقفال الخطّ، إرتأت دارسي أن تطلب من المُراقب الحضور أيضًا. فهي لم تعرف عن جاي ستراتون سوى أنّه تاجر المجوهرات الذي تدبّر لإيرين المشروع مع برتوليني.

في فترة الانتظار، تصفحّت دارسي ملفّات إيرين فوجدت تحت عنوان «مشروع خاص» قُصاصات من بعض المجلّات والجرائد، وتحديدًا، من إعلاناتٍ كانت إيرين قد وضعت إشارة على عدد منها.

هل تكون تلك الإعلانات نفسها التي ردّت عليها إيرين، أو فكّرت في الردّ عليها؟ تبيّنت دارسي وجود عشرات منها. أيٌّ منها يا تُرى وضعه تشارلز نورث، الرجل الذي تواعدت إيرين على لقائه مساء الثلاثاء؟

عندما قَبِلت دارسي وإيرين الردّ على الإعلانات، أولتا الأمر إهتمامًا خاصًا وتنظيمًا مدروسًا. فقامت كلّ منهما بطباعة أوراق رسائل حملت اسمها في الأعلى. كما اختارت لقطة فوتوغرافيّة مفضّلة لها، لإرسالها عند الطلب. أمضت الصديقتان أمسيات مُسلّية في صياغة رسائل وهميّة. فكتبت إيرين: «أنا أحبّ التنظيف. هوايتي المفضّلة غسل الملابس باليد. خلال الدورة الشهريّة أكون سيّئة المزاج، لكنّني فتاة طيّبة. الرجاء الاتّصال بي في وقت قريب».

حرصت الفتاتان على إعداد ردودٍ مغرية. قبل أن تغادر دارسي إلى كاليفورنيا، قالت لها إيرين: «دارس، سوف أرسل الردّ الخاصّ بك قبل موعد عودتك بأسبوعين. سأكتفي بتغيير جملة أو أكثر، بحسب الإعلان المعنيّ».

لم تكن إيرين تملك جهاز كمبيوتر. عرفت دارسي أنّها كانت تطبع الردود على آلة الطباعة الكهربائية، من دون أن تنسخها. وكانت تحفظ البيانات كافّة في الدفتر الذي اعتادت حمله في حقيبتها: العناوين البريديّة المرفقة بالإعلانات، أسماء الأشخاص الذين اتّصلت بهم، وانطباعاتها عن أولئك الذين واعدتهم.

إستوى جاي ستراتون في المقعد الخلفيّ من سيّارة الأجرة وقد أغمض عينيه نصف إغماضة. أزعجته موسيقى الروك التي انبعثت من مكبّر الصوت الخلفيّ، فقال للسائق: «هلا خفّضت الصوت، من فضلك؟»

كان السائق شابًّا في أوائل العشرينات، وقد أرخى شعره. إستاء لطلب ستراتون فأجابه: «يا رجل هل تودّ حرماني من سماع الموسيقى؟» رمق ستراتون بنظرة وخفّض الصوت على مضض.

أمّا ستراتون فكان مرتبكًا. عليه إنهاء المسألة لصالحه. ربّت على جيبه. تأكّد من أنّه يحمل الإيصالات التي أعطته إيّاها إيرين، والمتعلّقة بمجوهرات برتوليني.

بدت له دارسي سكوت ذكيّة. عليه أن يكسب ثقتها.

وصل إلى المبنى، فسارع المُراقب الفضوليّ ليفتح له الباب. من الواضح أنّه تعرّف إليه. قال له: «سأصحبك إلى الشقّة. أنا أيضًا ساكون شاهدًا على فتح الخزنة.» لم ترق الفكرة ستراتون. لا ضرورة لوجود شاهدين. إرتقى السلالم إلى الشقّة، وهو يُغمغم.

فتحت دارسي الباب لهما. بدا لها ستراتون ودودًا ومشغول البال إلى حدّ ما. فهو أراد طمأنتها، غير أنّ القلق الذي قرأه في عينيها منعه من قول التفاهات. ربّما كانت محقّة في أنّ مكروهًا ما قد أصاب صديقتها.

«إنّها فتاة ذكيّة.» لقد حفظت عن ظهر القلب أرقام الخزنة السرّية. لم تكن لتكشف عن مكان احتفاظ إيرين بالأرقام. كانت قد حضّرت دفترًا صغيرًا وقلمًا.

قالت لهما: «أريد وضع لائحة بمحتويات الخزنة كلّها.»

أدار ستراتون ظهره، فيما دقّت دارسي الأرقام. ثمّ اقترب منها، وهي تفتح باب الخزنة. كانت هذه الأخيرة عميقة، فيها رفوف وضعت عليها العُلب والأكياس.

إقترح عليها ستراتون قائلًا: «دعيني أُخرج الأغراض منها. أصِفُها لك وأنتِ تقومين بالتسجيل.»

تردّدت دارسي بعض الشيء، لكنّها أدركت أنّ اقتراحه منطقيّ. فهو، في نهاية الأمر، تاجر المجوهرات. إلتفت ستراتون إلى الوراء فرأى بوكسر يُشعل سيجارة، ويجول بنظره في الغرفة بحثًا عن منفضة.

لقد كانت فرصة ستراتون الوحيدة. قال لدارسي: «أظنّ أن إيرين قد وضعت القلادة في كيس المخمل هذا.» مدّ يده ليأخذه فأوقع علبة صغيرة على الأرض.

إنتفضت دارسي في مكانها لدى رؤية الأحجار اللمّاعة مبعثرة من حولها، وقرفصت لتجمعها. راح ستراتون يلعن رعونته، فيما انحنى هو أيضًا ليساعدها. قاما بمسح دقيق للغرفة. في النهاية، قال لها ستراتون: «أنا واثق من أنّنا قد جمعنا الأحجار كلّها. إنّها شبهُ كريمة. لكنّ الأهمّ هنا في هذا الكيس.» فتح كيس المخمل وقال: «ها هي القلادة المشغولة لبرتوليني.»

تأمّلت دارسي القلادة الرائعة. أحجار الزمرّد والألماس واللازورد وحجر القمر والأوبال والياقوت، شُغلت بتصميم مُتقن، ذكّرها بالمجوهرات العائدة إلى القرون الوسطى التي كانت تراها في الصور المعروضة في المتاحف الفنّية.

بادرها ستراتون قائلًا: «القلادة رائعة، أليست كذلك؟ الآن تتفهّمين سبب قلق المدير في برتوليني. الحقيقة أنّ إيرين فتاة موهوبة. لم تنجح في تصميم قلادة أبرزت قيمة الأحجار فحسب، بل اشتغلتها بحسب الطراز البيزنطيّ. العائلة التي طلبت القلادة تتحدّر من روسيا. هذه الأحجار هي كلّ ما استطاعت أخذه معها عندما تركت البلاد في العام 1917.»

كان بإمكان دارسي تخيّل إيرين جالسة إلى طاولة العمل، وقد طوّقت قضبان الكرسي بقدميها، مثلما كانت تفعل أيّام الدراسة

الجامعية. إنتابها شعور بأنّ مصيبة ما قد حلّت بصديقتها. فإلى أين تذهب إيرين طوعًا، غافلة عن تسليم القلادة في الوقت المُحدّد؟

لم تكن لتذهب إلى أيّ مكان، طوعًا.

راحت دارسي تعضّ شفتها، وأمسكت بالقلم لتُسجّل محتويات الخزنة. «هلا وصفت لي هذه القطعة، من فضلك. علينا أن نذكر كلّ حجر كريم فيها، للتأكّد من وجودها كلّها.» راح ستراتون يُخرج من الخزنة علبًا أخرى من المخمل، فتنبّهت دارسي إلى اضطرابه. أخيرًا قال لها: «سوف أفتح العلب المتبقية كلّها، ونُسجّل محتوياتها. قلادة برتوليني هنا لكنّني لا أجد محفظة فيها أحجار من الألماس بقيمة ربع مليون دولار كنت قد عهدت بها إلى إيرين.»

تركت دارسي الشقّة برفقة ستراتون. قالت له: «سوف أقصد مركز الشرطة وأقدّم بلاغًا عن اختفاء إيرين.»

أجابها: «حسنًا تفعلين. أمّا أنا فسأتدبّر تسليم القلادة إلى برتوليني في الحال. وفي حال لم تردنا أيّ أخبار عن إيرين، في الأسبوع المقبل، سوف أتّصل بشركة التأمين للإبلاغ عن أحجار الألماس المختفية.»

كانت الساعة الثانية عشرة ظهرًا عندما دخلت دارسي مركز الشرطة في تشارلز ستريت. أمام إصرارها على أنّ مكروهًا ما أصاب صديقتها، خرج أحد التحرّيين لمقابلتها. كان طويل القامة، في الأربعين من عمره. عرّف بنفسه، تحت اسم دين تومسون، وراح يُصغي إلى روايتها بتعاطف، محاولًا أن يهدّئ من روعها.

«لا يمكننا، آنستي، كتابة بلاغ عن اختفاء سيّدة راشدة، لمجرّد أنّ أحدًا لم يعرف عنها شيئًا، منذ يوم أو يومين. في ذلك انتهاك لحرّية الحركة. ما يسعني القيام به هو مراجعة تقارير الحوادث، بعد أن تعطيني أوصافها.»

بدأت دارسي تتلو عليه أوصاف إيرين، من دون أن تخفي قلقها. الطول متر وسبعون سنتيمترًا، الوزن ثمانية وخمسون كيلوغرامًا، الشعر داكن، العينان زرقاوان والسنّ ثمانية وعشرون عامًا.

ثمّ أضافت: «مهلًا، سيّدي، لديّ صورة لها في محفظتي.»

تفحّص تومسون الصورة، ومن ثمّ أعادها لها، معلّقًا: «إمرأة جذّابة. سوف نبقى على اتّصال». وتبادلا البطاقات.

شدّت سوزان فراولي صغيرتها تريش إليها، وهي تقودها إلى باص المدرسة الذي وقف ينتظر. أمّا الصغيرة، البالغة من العمر خمس سنوات، فكانت تفضّل البقاء مع أمّها على الذهاب إلى روضة الأطفال بعد الظهر. مشت على مضض، والدموع في عينيها. سُرعان ما أجهشت بالبكاء عندما انحنى أخوها الأصغر الذي حملته سوزان، وشدّها بشعرها.

عضّت سوزان على شفتها، استياء من فعلة الصغير، وتعاطفًا مع تريش. لكنّها قالت لها: «لم يُلحق بك الأذى، ولن تبقي في المنزل.» أمّا سائقة الباص، وقد بدا عليها الوقار، فابتسمت للصغيرة بحرارة، وقالت لها مُشجّعة: «هيّا تريش. تعالي واجلسي هنا إلى جانبي.»

إنطلق الباص، فلوّحت سوزان بيدها إلى الصغيرة وتنفّست الصعداء. حملت الطفل على ذراعها الأخرى واستعجلت العودة إلى المنزل. في الحديقة، طالعتها بقايا من الثلج موزّعة هنا وهناك على العشب. أمّا الأشجار فكانت عارية، لا حياة فيها، وانتصبت تحت سماء رماديّة مكفهرّة. بعد أشهر تُزهر الشجيرات على السياج، وتنحني أشجار الصفصاف من ثقل أغصانها. تلك الأشجار

التي لطالما استمتعت سوزان، وهي طفلة، بالنظر إليها، ترتدي حُلّة الربيع.

دخلت المطبخ. قامت بتسخين زجاجة الحليب للطفل، ثمّ حملته إلى غرفته ووضعته في سريره. عليها أن تستغلّ فترة الهدوء القصيرة، قبل أن يستفيق. لديها ساعة ونصف الساعة لإنجاز الأعمال المنزليّة الكثيرة. فهي لم تُرتّب الأسرّة بعد، والمطبخ في حالة من الفوضى العارمة. هذا الصباح، أرادت تريش تحضير الفطائر، فتركت أكوامًا من العجين مبعثرة على الطاولة.

نظرت سوزان إلى المقلاة على المنضدة وابتسمت. بدت الفطائر شهيّة. ليت تريش تتقبّل الذهاب إلى روضة الأطفال. فشهر مارِس على الأبواب، وهي ما زالت تثير المشاكل كلّ مرّة تقصد فيها المدرسة. ماذا ستفعل، يا تُرى، عندما تُصبح في الصفّ الأوّل وتلازم المدرسة اليوم بطوله؟

بالنسبة إلى دوغ، كانت سوزان هي المسؤولة عن نفور تريش من المدرسة. لطالما ردّد على مسمعها: «لو كنتِ تُكثرين الخروج من المنزل، لتناول الغداء في النادي مثلًا، أو للتطوّع في إحدى الجمعيّات، لكانت تريش اعتادت الاختلاط بالآخرين.»

وضعت سوزان غلاية الشاي على النار، ونظّفت الطاولة. ثمّ أعدّت سندويشًا من الجبنة. فكّرت «ثمّة لحظات مباركة»، وجلست تستمتع بالسكون.

إحتست فنجانًا ثانيًا من الشاي، وقرّرت مواجهة الغضب الذي كان يتآكلها. لم يعد دوغ إلى المنزل الليلة. فهو عندما يتأخّر في اجتماعاته، يستخدم الجناح التابع للشركة في فندق غايت واي، القريب من مكتبه،

في مركز التجارة العالميّ. كان يستشيط غيظًا إذا ما اتّصلت به هناك، فيقول لها: «سوزان، دعيني وشأني. لا تُزعجيني إلّا في الحالات الطارئة. لا يمكنني مقاطعة الاجتماعات للردّ عليك. كما لا يُمكنني معاودة الاتّصال بك بعد منتصف الليل، عند انتهائي من العمل.»

حملت سوزان فنجان الشاي ومشت إلى غرفة النوم عبر الرواق الطويل. وقفت تتأمّل شكلها في المرآة القديمة. شعرٌ قصير بُنّيّ، معقوص، ترك فيه الطفل بصمته. لم تكن تتبرّج في النهار. في الحقيقة لا ضرورة لذلك. فبشرتها كانت صافية نضرة. أمّا طولها فمتر واثنان وستون سنتيمترًا يتيح لها أن تخسر سبعة كيلوغرامات. عند زواجها من دوغ، منذ أربعة عشر عامًا كانت تزين اثنين وخمسين كيلوغرامًا. لكنّ الكنزات الفضفاضة والأحذية الخفيفة أضحت من ملابسها اليوميّة، خصوصًا بعد ولادة تريش وكونير.

قالت لنفسها: «أنا في الخامسة والثلاثين من العمر. يمكنني أن أخسر بعض الوزن. لكن، خلافًا لرأي زوجي، لستُ بدينة. صحيح أنّني لست ربّة منزل عظيمة، غير أنّني أُمٌّ جيّدة. وطاهية بارعة أيضًا. لا أحبّذ تمضية الوقت خارج المنزل لأنّ أولادي الصغار بحاجة إلى رعايتي، سيما وأنّ والدهم لا يعطيهم ولو القليل من وقته.»

إبتلعت ما بقي في فنجان الشاي وأحسّت بموجة من الغضب تنتابها. مساء الثلاثاء، لدى عودة دوني من مباراة كرة السلّة، عبّر عن حماسته المشوبة بشيء من الحزن. فهو مَن سجّل الهدف الرابح.

«الكلّ وقف يُصفّق لي، أميّ. أبي كان الوالد الوحيد الغائب.»

إنفطر قلب سوزان للألم الذي رأته في عيني ولدها. هي أيضًا لم تستطع حضور المباراة. فالحاضنة اعتذرت عن المجيء في الدقيقة

الأخيرة. قالت سوزان لدوني بلهجة حازمة: «إنّها حالة طارئة. هيّا نحاول الاتّصال بوالدك ونزفّه الخبر.»

لم يكن دوغلاس فوكس قد حجز غرفة في الفندق. كما أنّه لم يستعمل إحدى صالات الاجتماعات. أمّا الجناح المُخصّص لموظّفي الشركة فكان شاغرًا.

حافظت سوزان على هدوئها وقالت لابنها: «لا شكّ في أنّ الموظّفة التي ردّت على الاتّصال جديدة.»

«أكيد أمّي.»

لكنّ الكذبة لم تنطلِ على دوني. فقد استفاقت سوزان، فجرًا، على صوت بكاء مخنوق، فوقفت عند باب غرفة دوني تستطلع الأمر. لم تدخلها احترامًا له. فهو كان يرفض أن تراه في تلك الحالة.

قالت سوزان لصورتها في المرآة: «زوجي لا يُحبّني ولا يُحبّ أولاده. وهو يكذب علينا. يبقى في نيويورك ليلتين في الأسبوع. يمنعني من الاتّصال به. يعاملني كما لو كنت سيّدة سمينة لا نفع منها.»

إستدارت وألقت نظرة على الغرفة الغارقة في الفوضى. قالت في نفسها: «لطالما كنت مرتّبة منظّمة. متى عدلتُ عن ذلك؟ متى أُصبت بالإحباط، فقرّرتُ أنّ لا جدوى من إرضائه؟»

كانت تعرف الجواب: منذ حوالى السنتين، عندما كانت حاملًا بطفلها الأصغر. في تلك الفترة، استخدما مُساعِدة سويديّة كانت سوزان أكيدة من أنّ دوغ قد ارتبط بعلاقة معها. تساءلت، وهي تُرتّب السرير: «لِماذا هربتُ من الحقيقة آنذاك؟ ألأنّني كنتُ مغرمة به، بالرغم من كلّ شيء؟ ألأنّني رفضت الإقرار بأنّ والدي كان على حقّ بشأنه؟»

@ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد ٤٤

لقد عقد دوغ وسوزان زواجهما في الأسبوع الذي تلى تخرّجها من الجامعة. وكان والدها قد عرض عليها رحلة حول العالم، في حال عدلت عن فكرة الزواج به، وحذّرها من طباع دوغ قائلًا: «هذا الشاب يُخفي وراء سحره البريء طباعًا سيّئة».

غير أنّ سوزان حزمت أمرها واقترنت به، وهي تعلم كلّ شيء عنه. وفيما دخلت المطبخ من جديد، تأسّفت في سرّها وقالت: «لو عرف والدي نصف ما أعرفه عن دوغ لكان أصيب بسكتة قلبيّة».

على المنضدة في المطبخ كانت رزمة من المجلّات. راحت تفتّش فيها، إلى أن وجدت المجلّة التي كانت تطلبها. عددٌ من مجلّة «بيبول»، وفيه مقال عن فتاة من منهاتن كانت تعمل كتحرٍّ خاصّ لحساب بعض النساء اللواتي أردن تقصّي أوضاع أزواج المستقبل. وكانت تهتمّ أيضًا بحالات الطلاق.

حصلت سوزان على رقم التحرّي من الاستعلامات وطلبتها. تحدّثت إليها واتّفقت معها على موعد يوم الإثنين، الواقع فيه 25 فبراير. فسّرت لها بهدوء: «أظنّ أن زوجي يواعد نساء أخريات. أفكّر في الطلاق، وأودّ أن أعرف تحرّكاته كلّها.»

أقفلت الخطّ وقاومت فكرة البقاء فريسة للغضب يتآكلها. عوضًا عن ذلك، انصرفت إلى تنظيف المطبخ. لقد حان الوقت لتجديد المنزل حتّى يسهل عرضه للبيع بحلول فصل الصيف.

أدركت سوزان صعوبة تربية أربعة أولاد وحيدة. لقد كانت واثقة من أنّ دوغ لن يهتمّ لأمر الأولاد البتّة، بعد الطلاق. صحيح أنّه كان مبذّرًا في كثير من الأمور، غير أنّه مال إلى الاقتصاد والتوفير في أمور أخرى. لن تعجبه فكرة إعالة الأولاد. مع ذلك، فضّلت أن تعيش بميزانيّة محدودة على أن تستمرّ في حياة الكذب تلك.

رنّ جرس الهاتف. كان دوغ يتذمّر، مرّة أخرى، من الاجتماعات المتأخّرة في الليلتين السابقتين. كان مُنهكًا، ولم يُنهِ عمله بعد. سوف يعود الليلة إلى المنزل ولكن في ساعة متأخّرة.

قالت له سوزان بلطف: «لا عليك، عزيزي. أتفهّم الأمر.»

الطريق الجبليّة التي سلكها تشارلي ضيّقة ومُعتمة. لم يصادف في أثناء مروره عليها أيّ سيّارة أخرى. أمّا الممرّ الخاصّ المؤدّي إلى منزله فحجبته بعض الشجيرات عند نقطة تقاطعه مع الطريق العام. ملاذ هادئ سرّي وبعيد عن عيون الفضوليّين. كان تشارلي قد اشترى المنزل منذ ستّ سنوات من رجل عازب غريب الأطوار استمتع بترميمه بنفسه.

يعود بناء المنزل إلى العام 1902. كانت واجهته الخارجيّة عاديّة. أمّا من الداخل فشمل الترميم تحويل الطابق الأوّل إلى مساحة كبيرة مفتوحة مع مطبخ وموقد. الأرضيّة كانت من خشب السنديان المصقول. الأثاث اختاره المالك من بنسلفانيا وكان هولنديّ الطراز، أنيقًا.

من ناحيته، أضاف تشارلي كنبة طويلة مُنجّدة بنسيج بُنّي ومقعدًا متناسقًا معها، وسجّادة بين الكنبة والموقد.

لم يُغيّر تشارلي شيئًا في الطابق الثاني بل أبقاه على حالته الأصليّة. غرفتان صغيرتان دُمجتا في غرفة واحدة. سريرٌ مقدّمته منحوتة وخزانة طويلة. كلاهما مصنوع من خشب الصنوبر. أمّا المغطس فلم يغيّره. إكتفى بإضفاء لمسة عصريّة على الحمّام.

وحده الطابق السفليّ كان مختلفًا. الثلّاجة لم تعد تحوي أيّ طعام يُذكر، بل جُثثَ الفتيات عند الضرورة. هناك كنّ ينتظرن أن

يُعدّ لهنّ المثوى الأخير تحت أشعّة شمس الربيع الدافئة. في الطابق السفليّ أيضًا، وضعت طاولة تكدّست عليها عشر علب للأحذية. لم يبق منها سوى واحدة تحتاج إلى زخرفة.

منزل رائع قابع في الغابة. لم يصحب أحدًا إليه إلّا، منذ سنتين، عندما بدأ يحلم بِنان. قبل ذلك، اكتفى بامتلاكه. لقد كان ملاذه في ساعات الضيق، يستمتع بالوحدة بين جدرانه، ويتخيّل أنه يراقص فتيات حسناوات. كان يشاهد أفلامًا قديمة ويبدأ بتقليد فريد أستير، وهو يراقص جينجر روجرز وريتا هايورث وليسلي كارون. كان يقلّده في رقصه وحركاته الرشيقة. وكان دومًا يشعر بشريكات أستير في الرقص، وهنّ بين ذراعيه، وقد فاضت عيونهنّ إعجابًا بالموسيقى وبالرقص.

لكن، في أحد الأيّام، قبل سنتين، انتهى كلّ شيء. ففي منتصف الرقصة، اختفت جينجر فجأة، وضمّ تشارلي من جديد نان بين ذراعيه، مثلما فعل بعد قتلها ومراقصتها، هناك، على الطريق، حيث كانت تهرول. ضمّ جسدها النحيل الليّن، وقد تدلّى رأسها على كتفه.

ما إن استرجع الذكرى تلك وصورة نان حتّى أسرع في النزول إلى الطابق السفليّ، وأخرج فردتي حذائي الرقص والرياضة اللذين ترك قدمي نان فيهما، وضمّهما إلى صدره، فيما راح يتمايل على أنغام الموسيقى. لكأنّه كان مع نان، من جديد. منذ تلك اللحظة أدرك ما عليه فعله.

سوف يبدأ بتركيب كاميرا خفيّة ليسترجع كلّ لحظة من الأحداث المقبلة. ومن ثمّ يدعو الفتيات الواحدة تلو الأخرى إلى منزله. كانت إيرين الفتاة الثامنة التي قضت نحبها هنا. لكنّها لن تنضمّ إلى الأخريات اللواتي دفنهنّ في الغابات المحيطة بالمنزل. الليلة سينقل جثّة إيرين. لقد اختار مكان دفنها.

دخلت السيّارة الممرّ إلى أن بلغت الباحة الخلفيّة للمنزل. توقّفت عند الأبواب التي كانت تؤدّي إلى الطابق السفليّ.

شعر تشارلي بالإثارة. فأمسك بمقبض الباب الخلفيّ للسيّارة، لكنّه جمد في مكانه. أدرك ضرورة الإسراع في إتمام العمليّة. عليه سحب جثّة إيرين من الثلّاجة، وحملها إلى السيّارة، والعودة إلى المدينة. هناك يتركها على أحد الأرصفة المقفرة من طريق ويست سايد. غير أنّه لم يستطع مقاومة فكرة مشاهدة شريط الفيديو الذي تظهر فيه إيرين، ومراقصتها مرّة أخرى.

أسرع تشارلي إلى باب المدخل وولج المنزل. أنار الضوء وسار نحو جهاز الفيديو، من دون أن يخلع معطفه. لقد كان الشريط الخاصّ بإيرين فوق الأشرطة الأخرى في الخزانة. أدخله في الجهاز، وجلس على الكنبة. راح يبتسم سلفًا لما سيشاهده.

بدأ الشريط. طالعته إيرين بجمالها وهي تبتسم عند الباب، وتقول بإعجاب: «أنا أحسدك على الجنّة التي تعيش فيها». رأى نفسه يحضّر لها كأسًا. جلست على الكنبة، وهو قبالتها. وقف ليشعل الموقد.

قالت له: «لا تكلّف نفسك عناء إشعال الموقد. عليّ العودة في الحال.»

«حتّى لو بقيتِ نصف ساعة. فالأمر يسرّني.»

ثمّ شغّل جهاز الستيريو، وملأت الأجواء أغانٍ هادئة وممتعة، من حقبة الأربعينات. قال لها: «سيكون موعدنا المقبل في راينبو روم. فأنت تهوين الرقص بقدر ما أهواه أنا.»

قهقهت إيرين. تغلغل ضوء المصباح في شعرها البُنّي وعكس وميض الخُصل الحمراء.

قالت: «لقد ذكرتُ، في ردّي على إعلانك، أنّني أهوى الرقص.»

وقف ومدّ لها ذراعيه. «ما رأيكِ لو رقصنا الآن؟» ثمّ أضاف: «مهلًا. أنا أحبّ إتقان الأمور. ما قياس الحذاء الذي تنتعلين؟ سبعة؟ سبعة ونصف؟ أم ثمانية؟»

«سبعة ونصف.»

«عظيم. قد لا تُصدّقين، لكنّني أحتفظ بحذاء للسهرة يناسبك. كانت أختي قد سألتني أن أجلبه لها. لبّيت طلبها، بمحبّة الأخ الأكبر، لكنّها عادت واتّصلت بي وطلبت منّي إعادة الحذاء إذ أعجبها حذاء آخر.»

ضحك وشاركته إيرين الضحك.

«تتمتّع بدلال الأخوات الصغيرات. لم أشأ أن أهدر وقتي في إعادة الحذاء.» بقيت الكاميرا مسلّطة على إيرين، وقد التقطت ابتسامتها ونظرتها الهادئة فيما كانت تجول بها في أرجاء الغرفة.

صعد إلى غرفة النوم، وفتح الخزانة حيث وضعت على أحد الرفوف مجموعة من أحذية السهرة الجديدة. كان قد اشترى من الحذاء نفسه مختلف الأرقام، بلوني الزهر والفضّي. مفتوح من الأمام والخلف. كعب عال ورفيع ورباط على الكاحل من القماش الرقيق. سَحَب زوج الحذاء، قياس سبعة ونصف، وحمله إلى الأسفل.

قال لها: «جرّبي هذا الزوج إيرين.» لم تشكّ إيرين في شيء بل بادرته بالقول: «إنّه حذاء رائع.»

ركع وسحب قدمها من جزمتها الجلديّة. فقالت: «مهلًا، لا أظنّ...» غير أنّه تجاهل اعتراضها وربط لها حذاء الرقص. سألها: «هل تعدينني بانتعاله، السبت المقبل، عندما نقصد راينبو روم؟» رفعت

قدمها اليمنى بضعة سنتيمترات وابتسمت، وهي تنظر إلى حذاء الرقص.

«آسفة، لكن لا يمكنني أن أقبل هذا الحذاء هديّة.»

«أرجوك، افعلي»، قالها مبتسمًا.

«حسنًا، سأشتريه منك. المسلّي في الأمر أنّه يناسب فستانًا جديدًا لم ألبسه سوى مرّة.»

أوشك أن يردّ عليها بالقول «لقد رأيتكِ في ذلك الفستان». عوضًا عن ذلك، همس لها: «سوف نتحدّث عن ثمن الحذاء في ما بعد».

مرّر يده مطوّلًا على كاحلها، ما أثار ريبتها. ثمّ وقف وتوجّه إلى الستيريو. كان قد أعدّ الشريط. شغّله، وملأ الغرفة صوت فرانك سيناترا الخالد.

عاد إلى حيث جلست إيرين. مدّ لها يده وقال: «هيّا نتمرّن على الرقص.»

لمح في عيني إيرين تلك الومضة التي لطالما انتظرها، ومضة الريبة التي بدأت تشعر بها. لم يخفَ عليها التغيّر في نبرة صوته وتصرّفه.

أتت ردّة فعل إيرين كردّة فعل الأخريات. راحت تتكلّم، بسرعة وتوتّر: «أظنّ أنّ عليّ الرحيل. أنا مرتبطة بموعد، صباح الغد.»

«رقصة واحدة.»

«حسنًا.» قالتها على مضض.

شرعا يرقصان، وبدت مسترخية. الفتيات جميعًا كنّ راقصات بارعات، لكنّ إيرين كانت أفضلهنّ، لا بل أفضل من نان. كانت خفيفة كالريشة بين ذراعيه. الرشاقة بحدّ ذاتها. لكن، ما إن صمتت الموسيقى حتّى رجعت إلى الوراء وقالت له: «حان وقت الرحيل.»

أجابها: «لن ترحلي إلى أيّ مكان.» فبدأت إيرين بالركض. وكما الفتيات الأخريات، زلّت قدمها، ووقعت أرضًا. لم يُسعفها حذاء الرقص، فيما حاولت بكلّ قواها الإفلات منه. سارعت نحو الباب فوجدته موصدًا. ضغطت على زرّ الطوارئ فاكتشفت أنّه وهميّ، لا بل أصدر ضحكة عميقةً مشوبة بشيء من الهوس والجنون.

أتت ردّة فعل إيرين مُرْضية، إلى حدّ ما. أدركت أنّها عبثًا تتوسّله. فقاومته وخدشت اليدين اللتين أحكمتا الإمساك بعنقها. لم تستسلم إلّا عندما لفّ قلادة الذهب حول عنقها ففقدت الوعي ببطء وهمست: «ربّاه خلّصني، أبي...»

لفظت أنفاسها الأخيرة. تأكّد من ذلك وراح يراقصها من جديد. لم يعد جسدها الجميل يبدي أيّ مقاومة. كانت جينجر وريتا وليسلي ونان والأخريات جميعًا. عندما صمتت الموسيقى، نزع قدمها اليسرى من حذاء الرقص وألبسها جزمتها.

إنتهى الشريط على صورته وهو يُنزل جثّتها إلى الطابق السفليّ، حيث مدّدها في الثلّاجة ووضع فردة كلّ من حذاء السهرة والجزمة في علبة الأحذية التي كانت تنتظرهما.

قام تشارلي عن الكنبة وتنهّد. أعاد شريط الفيديو إلى الوراء، ثمّ أخرجه من الجهاز، وأطفأ هذا الأخير. كان شريط الموسيقى الذي أعدّه لإيرين لا يزال في جهاز الستيريو. أدارَ الشريط.

صدحت الموسيقى في الغرفة. أسرع تشارلي إلى الأسفل، وفتح الثلّاجة. تنهّد عندما رأى الوجه الجامد والعروق الزرقاء التي خطّطت بشرة إيرين. جميلة كانت. مدّ ذراعيه برقّة وحنان.

كانت المرّة الأولى التي يراقص فيها جثّة مجمّدة. تجربة مختلفة، ولكن مثيرة. لم تعد أطراف إيرين تلوي. وكذلك ظهرها. أحسّ بخدّها

يضغط على عنقه، فيما لامس ذقنه شعرها البنّي. ذاك الشعر الذي كان ناعمًا في ما مضى، أضحى الآن قاسيًا متجمّدًا. مرّت الدقائق. مع انتهاء الأغنية الأخيرة، دار بها مرّة أخرى ثمّ توقّف برشاقة، وانحنى.

لقد بدأت فصول القصّة مع نان، منذ خمس عشرة سنة، في الثالث عشر من شهر مارِس. قبّل شفتي إيرين مثلما قبّل شفتي نان. لقد فصلته عن 13 مارس ثلاثة أسابيع. بحلول ذاك التاريخ، سيكون قد أحضر دارسي إلى المنزل، وأنهى كلّ شيء.

أحسّ بقميص إيرين رطبًا. عليه أخذها إلى المدينة. حملها على ذراع واحدة، وجرّها إلى الستيريو.

فيما كان يُوقف عمل الجهاز، لم يلاحظ أنّ خاتمًا من العقيق نُقش عليه حرف «إ» بالذهب قد انزلق من إصبعها المجمّد. كما أنّه لم يسمع وقع سقوطه أرضًا حيث توارى تحت ذؤابات السجّادة.

الجمعة 22 فبراير

نَظَرت دارسي إلى رسوم الشقّة التي كُلّفت تصميمها، لكنّها لم تَفقه شيئًا من تفاصيلها، فقد كانت شاردة الذهن.

إسترجعت في رأسها طلبات المالك الذي ترك البلاد إلى أوروبا لعام كامل. لقد كان واضحًا في ما أراده من تعديلات: «أودّ تأجير الشقّة مفروشة، لكنّني وضعتُ أغراضي الخاصّة في مستودع، تلافيًا لإفسادها. أطلبُ منكِ فرشَ الشقّة بذوق، ولكن بكلفة معقولة. لقد سمعتُ عنكِ الكثير في هذا المجال.»

بعد خروجها من مركز الشرطة بالأمس، قصدت دارسي مرغمةً أحد المزادات لبيع الأثاث في نيو جيرسي. فتمكّنت من شراء عددٍ من القطع الجميلة بثمن زهيد. سيكون بعضها مناسبًا للشقّة. أمّا البعض الآخر، فسوف تحتفظ به لِفرش شقق أخرى.

تناولت قلمها ودفتر الرسوم. سوف تضع الكنبة الطويلة على الحائط، بشكل نصف دائرة، قبالة النوافذ. أمّا... وضعت القلم جانبًا وأمسكت وجهها بين يديها. قالت في نفسها، وقد أخذ منها اليأس كلّ مأخذ: «عليّ إنجاز هذه المهمّة. يجدر بي التركيز.»

فجأةً راودتها ذكرى أسبوع الامتحانات النهائيّة، في السنة الثانية من دراستها الجامعيّة. رأت نفسها مع إيرين قابعتين بين الكتب في غرفتهما. كانتا تسمعان الموسيقى المنبعثة من الغرفة المجاورة، وأصوات زملائهما الطلاب يحتفلون بنهاية امتحاناتهم. في تلك الأمسية قالت إيرين: «دارس، لا يسعُني التركيز وأنا أستمع إلى الموسيقى.»

«يجب أن تفعلي. سوف أشتري سِدادات للأذن.»

لكنّ إيرين أجابتها: «لديّ فكرة أفضل.» بعد العشاء، قَصدتا المكتبة. إنتظرتا إقفالها، وقامتا بالاختباء في الحمّامات إلى أن غادر الحُرّاس المكان. بعد ذلك، صعدتا إلى الطابق السادس حيث جلستا إلى طاولات العمل التي وضعت بالقرب من المصاعد. فالمكان يبقى مُضاءً طوال الليل. إنكبّتا على الدراسة في جوّ من الهدوء التامّ، إلى أن طلع الفجر، فخرجتا من إحدى النوافذ.

عضّت دارسي شفتيها وقد أحسّت برغبة في البكاء. لكنّها مسحت عينيها، ورفعت سمّاعة الهاتف، وطلبت نونا. «لقد اتّصلتُ بكِ البارحة، لكنّك لم تردّي». أخبرَتها عن ذهابها إلى شقّة إيرين، وعن جاي ستراتون. لم تنسَ إخبارها عن قلادة برتوليني وأحجار الألماس المفقودة.

قالت لنونا: «لقد حدّد ستراتون مهلة أربعة أيّام لظهور إيرين. بعدها يعمد إلى رفع تقرير إلى شركة التأمين. فالشرطة لا تقبل ببلاغ عن شخص مفقود لأنّه يخالف حقّه في حريّة الحركة.»

أمّا نونا فعلّقت: «هذا قرارٌ غبيّ.»

«إنّه كذلك، نونا. كانت إيرين على موعد مع أحدهم ليلة الثلاثاء. لقد ردّت على الإعلان، وهذا ما يُثير قلقي. ما رأيكِ لو اتّصلتِ بعميل الأف. بي. أي. الذي راسلكِ وأعلمتِه بالمسألة؟»

بعد بضع دقائق، أطلّت بيف برأسها من الباب. قالت لدارسي: «لا أرغب في إزعاجك، لكنّ نونا تطلبك على الهاتف.» بدت على وجهها علامات التعاطف مع دارسي. فهذه الأخيرة قد أخبرتها عن اختفاء إيرين.

كانت نونا موجزة: «لقد تركتُ رسالة إلى عميل الأف. بي. أي. بضرورة الاتّصال بي. سوف أُطلعكِ على تفاصيل المكالمة ما إن يفعل.»

أجابتها دارسي: «أتمنّى حضور اللقاء في حال طلب مقابلتك.» أقفلت دارسي الخطّ، ووقع نظرها على غلّاية القهوة الموضوعة على طاولة، بالقرب من النافذة. حضّرت القهوة وأكثرت من البُنّ.

في تلك اللحظة، تذكّرت أنّ إيرين قد جلبت معها زجاجة حافظة للقهوة، في تلك الليلة، عندما اختبأتا في المكتبة. بعد الفنجان الثاني، أعلنت لدارسي: «القهوة مُنبّه فعّال».

الآن، وبعد الفنجان الثاني، توصّلت دارسي إلى التركيز على رسوم الشقّة. لطالما كنتِ محقّة، إيرين. مدّت يدها لتناول الدفتر.

ترك فينس دامبروزيو صالة الاجتماعات وعاد إلى مكتبه في مقرّ الأف. بي. أي. كان طويل القامة وأنيقًا. لم يكن الناظر إليه ليشكّ بأنّه ما زال، بعد مرور خمسة وعشرين عامًا، بطل سباق الألف متر في مدرسته في نيو جيرسي.

شعرٌ بنّيّ قصير، عينان عريضتان بلون شعره، وبسمة لا تفارق ثغره. هذا كلّه أكسَبه محبّة الناس وثقتهم فيه.

شَغَل فينس منصب محقّق جنائي في فييتنام وحصل على شهادة الماجيستير لدى عودته من هناك ليلتحق بوكالة الأف. بي. أي. ساهم،

منذ عشر سنوات، في وضع برنامج الوقاية من الجرائم في قاعدة كوانتيكو البحريّة، القريبة من واشنطن. كان البرنامج المذكور عبارة عن ملفّ قوميّ مُحمّل معلوماتيًّا، يتعلّق بالقتلة بالجملة.

نظّم فينس مؤخّرًا دورة تحديث للبرنامج المذكور شاركت فيها مجموعة من التحرّيين في نيويورك كانوا قد تابعوا البرنامج في القاعدة البحرية. أمّا الغرض من اجتماع اليوم، فتنبيهُهم إلى أنّ الكمبيوتر الذي رصد عددًا من الجرائم غير المترابطة قد أرسل إشارة تحذير. فثمّة قاتل بالجملة حُرٌّ طليق في منهاتن.

كانت تلك المرّة الثالثة في غضون عشرين يومًا التي يزفّ فيها فينس الخبر نفسه: «كما تعرفون جميعًا، فإنّ برنامج الوقاية من الجرائم قادر على رصد ترابط بين الحالات التي اعتبرناها إلى هذه اللحظة منفصلة وغير مترابطة. فالمُحلّلون والمحقّقون نبّهونا مؤخّرًا إلى رابط محتمل بين ستّ نساء اختفين في السنتين الماضيتين.

جميعهنّ كنّ يملكن شققًا في نيويورك. لكن لا أحد أكيد من وجودهنّ في نيويورك عند اختفائهنّ. ما زلن مُدرجات على اللائحة الرسمية للمفقودين. لكنّنا اليوم نعلن فرضيّة العمل الإجرامي.

إنّ نقاط التشابه بين النساء أولئك لافتة للنظر. فجميعهنّ جذّابات ونحيلات. تتراوح أعمارهنّ بين 22 و34 عامًا. جميعهنّ على قدرٍ عالٍ من الثقافة، ينتمين إلى طبقة اجتماعية مرموقة. منفتحات، وواثقات من أنفسهنّ. أخيرًا، كلّ واحدة منهنّ كانت قد بدأت الردّ بانتظام على الإعلانات الشخصيّة. نحن حتمًا في مواجهة «قاتل عبر الإعلانات الشخصيّة»، يتميّز بذكاء حادّ. من مواصفاته: مُثقّف ومُحنّك. يتراوح عمره بين أواخر العشرينات وأوائل الأربعينات؛

جذّاب. فهذا النوع من النساء لا يجذبه الرجل الفظّ. لربّما لم يُعتقَل يومًا بتهمة ارتكاب جريمة عنيفة، لكنّه لربّما مال إلى التلصّص في شبابه، أو قام بسرقة أغراض نسائيّة شخصيّة في المدرسة. قد يكون التصوير هوايته المفضّلة».

غادر التحريّون، وقد وَعَد كلٌّ منهم برصد أيّ بلاغ عن اختفاء شابّات ينتمين إلى الفئة المذكورة. من جهته، بقي دين تومسون، التحرّي من الدائرة السادسة، لبعض الوقت. فهو كان قد التقى فينس في فييتنام وحافظا على صداقتهما عبر السنوات.

قال لِفنيس: «فينس، لقد حَضرَت إلى الدائرة، بالأمس، شابّة تودّ الإبلاغ عن اختفاء إحدى صديقاتها، وتدعى إيرين كيلي. لا أحد يعلم عنها شيئًا منذ ليل الثلاثاء. هي شابّة تتمتع بالمواصفات التي ذكرتَها للتوّ. وكانت ترد على الإعلانات الشخصيّة. سوف أتابع المسألة.»

«أطلعني على المستجدّات.»

تصفّح فينس الرسائل المتروكة على مكتبه بسرعة وهزّ رأسه ارتياحًا عندما لاحظ أنّ نونا قد اتّصلت به. طلبها، فردّت السكرتيرة. عرّفها بنفسه، فمرّرت المكالمة إلى نونا.

قطّب عابسًا عندما بادرته نونا قائلة، بشيء من القلق: «يؤسفني أن أبلغك بأن إيرين كيلي، وهي شابّة ترد على الإعلانات في إطار الوثائقيّ الذي أُعدُّه، قد اختفت منذ ليل الثلاثاء. أنا واثقة من أن مكروهًا قد أصابها».

نَظرَ فينس إلى لائحة مواعيده. لقد كان مرتبطًا بعددٍ من الاجتماعات في مبنى الأف. بي. أي. طوال فترة قبل الظهر. عند

الواحدة والنصف، كان على موعد في مكتب عُمدة المدينة. كلّها اجتماعات هامّة لا يمكنه تفويت أيّ منها. فسأل نونا: «هل يناسبك أن نلتقي عند الثالثة؟» وضع سمّاعة الهاتف وقال بصوتٍ عالٍ: «فتاة أخرى في عِداد المُختفيات.»

إتّصلت نونا بدارسي تُبلغها بالموعد المقرّر مع فينسنت دامبروزيو، عند الثالثة. ما إن أنهت الاتّصال حتى تلقّت زيارة مفاجئة من أوستين هاملتون المدير العام والمالك الحصريّ لشبكة هادسون كايبل.

إعتاد هاملتون التعامل مع موظّفيه بشيء من البرودة والتهكّم، فخشيَه الجميع. أمّا نونا، فقد نجحت في إقناعه بفكرة الوثائقيّ عن الإعلانات الشخصيّة، متجاهلة ردّة فعله الأولى وتعليقه اللاذع: «ومَن قد يهتّم بمعرفة مغامرات الفاشلين أولئك ولقاءاتهم؟»

إنتزعت نونا موافقته بعد أن أطلعته على صفحات الإعلانات الشخصيّة في الصحف والمجلّات. قالت له: «إنّها ظاهرة اجتماعيّة يشهدها مجتمع اليوم. وليست مجّانيّة. أمّا موضوعها فتقليديّ. شابّ يودّ التعرّف بفتاة. موظّف طاعن في السنّ يودّ لقاء مطلّقة ثريّة. لكنّ السؤال يبقى: هل يجد الأمير أميرته النائمة، أو إنّ هذه الإعلانات مضيعة للوقت، لا تخلو من الذُلّ؟»

أقرّ هاملتون، على مضض، بأنّ هذه الظاهرة قد تكون مادّة لوثائقيّ. وأشار إلى نونا بالقول: «في أيّام صباي، كان التعارف يتمّ في الجامعة أو في الحفلات. نُكوّن مجموعة مختارة من الأصدقاء، ونلتقي من خلالهم أصدقاء آخرين، من الوَسَط نفسه». كان هاملتون رجلًا ستيّنيًّا ومتأنّقًا من الطراز الأوّل. غير أنّه أنشأ منفردًا شبكة

هادسون كايبل ومَيَّز برامجها بابتكارات منوّعة حتّى باتت تُشكّل تحدّيًا جدّيًا لشبكات التلفزة الثلاث الأهمّ.

وصل إلى مكتب نونا متجهّمًا عكِر المزاج. لاحظت نونا أنّه كان حسن الهندام. مع ذلك لم يكن جذّابًا. فالبزّة التي لَبِسها لم تُخفِ كتفيه الضيّقتين وخصره العريض. أمّا شعره فقد صبغه بلون الأشقر الفضّي فبدا اصطناعيًّا. شفتاه الضيّقتان اللتان كانتا تفترّان عن ابتسامة ودّية من حين إلى آخر كانتا في تلك اللحظة جامدتين. أمّا عيناه الزرقاوان فأرسلتا نظرة باردة.

تطرّق إلى الموضوع بدون لفّ ودوران. فقال لها: «نونا، لقد ضقتُ ذرعًا بمشروعك. أنا واثقٌ من أنّ العازبين كافّة في الاستديوهات، رجالًا ونساء، يضيعون الوقت في الردّ على الإعلانات. فإمّا أن تسرعي في إنهاء البرنامج أو أن تنسي أمره.»

ردّت عليه نونا: «لم أتوقّع يومًا أن تترك الإعلانات هذا التأثير المُدوّي.»

مدَّت يدها إلى المكتب تأخذ الرسالة التي تلقّتها من فينس دامبروزيو، ومرّرتها إلى هاملتون. رفع حاجبيه وقرأها.

دامبروزيو سيحضر عند الثالثة.

بلعت نونا ريقها، وقالت له: «كما تلاحظ، يشير في رسالته إلى الجانب الخطِر للإعلانات تلك. بالفعل، فإنّ واحدة من صديقاتي المقرّبات، تُدعى إيرين كيلي، قد ردّت على أحد الإعلانات ليلة الثلاثاء. ومذّاك اختفت، ولا نعرف عنها شيئًا.»

لدى سماعه الخبر، تحرّكت في هاملتون غريزة الصحافيّ، وسألها: «هل ثمّة رابط برأيك بين حالات الاختفاء كلّها؟»

أدارت نونا رأسها، فلفتتها النبتة التي سقتها دارسي منذ يومين. لقد كانت اليوم ذابلة. أجابته: «لا أعرف. لكنّني أتمنّى ألّا يكون هناك رابط بينها.»

«أعلميني بأي جديد فور انتهائك من مقابلة ذاك الرجل.»

أحسّت نونا بالقرف من ردّة فعل هاملتون. فهو كان يستمتع سلفًا بالسبق الصحفيّ الذي قد يشكّله اختفاء إيرين.

مع ذلك، بذل جهدًا لإظهار تعاطفه وقال لها: «لا تقلقي، فإنّ صديقتك بخير، على الأرجح».

عند رحيله، أطلّت كوني فريندير، سكرتيرة نونا، من الباب وعلّقت: «هل ما زلتِ على قيد الحياة؟»

أجابت نونا وقد أرغمت نفسها على الابتسام: «بالكاد».

كانت كوني شابّة ذكيّة وجميلة. مثل زوجة مات التي تبلغ الثانية والعشرين من عمرها. فكّرت نونا «سأكمل عامي الحادي والأربعين قريبًا ولا أولاد لديّ. كم أنا محظوظة!»

ضحكت كوني وقالت: «لقد وصلتك رزمة جديدة من الردود. هل أنتِ جاهزة لإلقاء نظرة عليها؟»

«طبعًا.»

«هل أسكب لكِ المزيد من القهوة؟ فبعد لقاء أوستين المرعب، أنتِ بحاجة إلى القهوة.»

إبتسمت نونا ابتسامة رقيقة حنونة، وأجابتها: «بكلّ سرور».

عادت كوني بالقهوة بعد خمس دقائق وقالت: «نونا، مات يطلبك على الهاتف. قلتُ له إنّكِ في اجتماع، لكنّه أصرّ على التحدّث إليك وقال إنّ المسألة طارئة.»

«أنا واثقة من أنّها كذلك.» إنتظرت نونا إغلاق الباب، فارتشفت القليل من القهوة، قبل أن ترفع السمّاعة. ماتيو. ما معنى الاسم؟ نعمة من الربّ. أكيد. «مرحبًا مات. كيف حالك؟ وكيف حال الملكة؟»

«نونا، هلا توقّفت عن التهكّم؟»

«هل كان دومًا بهذا المزاج السيّئ والنكد؟»

«لا، لم يكن كذلك»، قالت نونا في نفسها. «إنقضت سنتان وما زلت أحسّ بالألم كلّما تحدّثت إليه.»

«نونا، لقد كنت أتساءل. لِمَ لا تشترين المنزل منّي؟ جاني لا تُحبّذ السكن في هامبتون. والسوق ما زالت في حالة من الركود. لذا، سأخفّض لك السعر. يمكنك اقتراض المبلغ من أهلك.»

ماتي السارق. هذه نتيجة زواجه من العروس الطفلة. أجابته نونا بنبرة هادئة: «لا يهمّني أمر المنزل. سوف أشتري الشقّة حيث أسكن ما إن أنهي مسألة منزلنا القديم.»

«نونا، أنتِ تُحبيّن منزلنا القديم. بتصرّفك هذا إنّما تعاقبينني.»

«إلى اللقاء.» قالتها نونا، وقطعت الاتّصال. فكّرت في نفسها «أنتَ مُخطئ مات. كنت أحبّ المنزل في الماضي لأنّنا اشتريناه معًا، وحضّرنا عشاء مميّزًا احتفاءً بالليلة الأولى فيه، وكنّا كلّ سنة، نضيف إليه لمسة جديدة لتجميله. الآن أريد أن أبدأ بداية جديدة. بدون ذكريات.»

راحت تتصفّح الرزمة الجديدة من الرسائل. فقد بعثَت بأكثر من مئة رسالة إلى أشخاص وضعوا إعلانات جديدة. كانت تسألهم فيها عرض تجاربهم. كما أنّها أقنعت مذيع الشبكة، غاري فينش، بأن يدعو الناس إلى مشاركة تجاربهم في مجال الإعلانات الشخصيّة

التي وضعوها، أو ردّوا عليها، وإلى البوح بالسبب من وراء إقلاعهم عن القيام بذلك.

كان لها ما أرادت، وفاقت نتيجة النداء عبر الهواء توقّعاتها. لقد كتبَ عددٌ قليل من الأشخاص عن لقاء «أجمل شخص في العالم وأحسنه، ونحن الآن مخطوبان... أو نعيش معًا... أو متزوّجان».

أمّا البعض الآخر فأبدى خيبة أمله. «إدّعى أنّه مقاول، ما يعني أنّه مفلس. لقد حاول اقتراض المال منّي في لقائنا الأوّل.» من ردود الرجال أتاها هذا الردّ: «لم تتوقّف عن انتقادي طيلة العشاء. أخذت عليّ أنّني وصفت نفسي بالشاب الجذّاب. لقد أشعرتني بأنّني خسيس وحقير».

«لقد بدأتُ بتلقّي اتصالات هاتفيّة قذرة في ساعة متأخّرة من الليل.»

«عند عودتي من العمل، وجدته جالسًا على عتبة المنزل يتعاطى المخدّرات.»

كما وردت رسائل كثيرة بدون توقيع. «لا أريدك أن تعرفي هويّتي، لكنّني متأكّدة من أنَّ واحدًا من الرجال الذين التقيتهم عن طريق الإعلانات هو الذي سرق منزلي.»

«لقد دعوت إلى منزلي رجلًا وسيمًا وجذّابًا، في الأربعين من عمره. لكنّني فاجأته وهو يحاول تقبيل ابنتي البالغة من العمر سبعة عشر عامًا.»

أمّا الرسالة الأخيرة في الرزمة فانفطر لها قلب نونا. أرسلتها سيّدة من لانكاستر، بنسلفانيا، تقول فيها: «لقد اختفت ابنتي، البالغة من العمر 22 عامًا، منذ ما يقارب السنتين. هي ممثّلة. لم تعد تردّ على اتّصالاتنا، فقصدنا منزلها في نيويورك. تبيّن لنا أنّها لم تدخله

منذ أيّام كثيرة. إعتادت الردّ على الإعلانات الشخصيّة. نحن قلقون. لا نعرف عنها شيئًا».

لدى قراءة الرسالة، شعرت نونا بالقلق على إيرين. ربّاه، آمل أنّها بخير. كانت يداها ترتجفان وهي تفرز الرسائل، وتصنّفها في خانات «نهاية سعيدة» أو «خيبة أمل» أو «مشاكل خطيرة». إحتفظت بالرسالة الأخيرة لتطلع دامبروزيو عليها.

عند الواحدة، أحضرت لها كوني سندويشًا من اللحم والجبنة، فعلّقت نونا «لا شيء يضاهي القليل من الكوليستيرول».

«ما النفع إن طلبتُ لك سندويشًا من التونة فأنتِ لن تأكليه.»

بحلول الساعة الثانية، كانت نونا قد أنهت بعض الرسائل الموجّهة إلى زبائن محتملين. تَرَكت تذكيرًا لنفسها بضرورة دعوة اختصاصيّ في الأمراض النفسيّة إلى المشاركة في البرنامج. يجدر بي استضافة شخص قادر على إجراء تحليل شامل لمسألة الإعلانات الشخصيّة.

وصل فينست دامبروزيو عند الثالثة إلّا ربعًا. قالت كوني لنونا: «يعرف أنّه أبكرَ في الوصول. لا يُزعجه الانتظار.»

«لا بأس. دعيه يدخل.»

ثوانٍ قليلة كانت كفيلة بأن ينسى فينس دامبروزيو الازعاج الذي سبّبه الجلوس على الكنبة الخضراء في مكتب نونا روبرتس. لطالما اعتبر نفسه صائبًا في الحُكم على الناس. لذا فقد أحسّ بالارتياح ما إن رأى نونا. لفتته فيها صراحتها واستقامتها، بالإضافة إلى مظهرها الخارجيّ. لم تكن جميلة. مع ذلك كانت جذّابة، لا سيما بعينيها البنّيتين العريضتين. لم تكن تتبرّج، وإن فعلت، لم تُكثر من المساحيق على وجهها. أعجبته أيضًا خُصل الشيب في شعرها الأشقر.

فزوجته السابقة أليس، كانت هي أيضًا شقراء. لكنّ الفضل في ذلك يعود إلى مُصفّف الشعر الذي تقصده. حسنًا فعلت بأن اقترنت برجل يمكنه أن يتحمّل كلفة ذهابها إلى مُصفّف الشعر.

لم يخفَ على فينس القلق الذي شعرت به نونا. قالت له: «تتزامن رسالتك مع الردود الأخيرة التي تلقّيتها. أشخاص يكتبون عن لقاء لصوص ومدمنين ومنحرفين. والآن...» عضّت شفتها. «والآن، اختفت فتاة لم تحلم يومًا بأن تردّ على هذا النوع من الإعلانات، وقد فعلت ذلك خدمة لي.»

«حدّثيني عنها.»

لم يضيّع دامبروزيو الوقت في عبارات التطمين الفارغة، فشعرت نونا بالامتنان له. قالت: «إيرين في السابعة أو الثامنة والعشرين. لقد تعارفنا منذ ستّة أشهر في النادي الرياضي. لقد كنّا، دارسي وإيرين وأنا، نحضر صفّ الرقص نفسه، فنشأت بيننا صداقة. سوف تصل دارسي بعد دقائق قليلة.» أمسكت بالرسالة التي بعثتها السيّدة من لانكاستر ومرّرتها إلى فينس. «لقد وصلت هذه الرسالة للتوّ.»

قرأها فينس بسرعة وصفر بين أسنانه: «لم يُسجّل عندنا أيّ بلاغ عن حادثة الاختفاء. لا ترِدُ هذه الفتاة على لوائحنا. باختفائها يرتفع العدد إلى سبع فتيات».

في طريقها إلى مكتب نونا، راحت دارسي تسترجع ذكريات عطلة التزلّج التي قضتها مع إيرين خلال سنتهما الجامعيّة الأخيرة. فقد قصدتا منتجع ستو حيث اكتست المنحدرات بالجليد، ما أرغم معظم المتزلّجين على الإسراع في العودة إلى الفندق. غير أنّ دارسي أصرّت على إيرين بمواصلة التزلّج، فرضخت إيرين لجولة

أخيرة اصطدمت في نهايتها بكومة من الجليد، فوقعت أرضًا وكسرت ساقها. رافقتها دارسي في سيّارة الإسعاف. ما زالت تذكر وجه إيرين الشاحب وهي تحاول المزاح. قالت لها: «آمل ألا تؤثّر الإصابة على قدرتي على الرقص. فَفي نيّتي أن أكون ملكة الحفلة الراقصة المقبلة.»

«ستكونين كذلك.»

في المستشفى، رفع الطبيب حاجبيه وهو يحدّق في الصور الشعاعيّة، وقال: «الإصابة بالغة، لكنّنا سوف نعالج عواقبها». إبتسم لِدارسي وأضاف: «لا تقلقي. ستكون بخير».

«لستُ قلقة فحسب، بل ينتابني شعور بالذنب. لم تكن إيرين ترغب في الجولة الأخيرة من التزلّج.»

اليوم، أدركت دارسي وهي تدخل مكتب نونا التي عرّفتها بالمحقّق دامبروزيو، أنّها تُحسّ بالمشاعر نفسها. شعور بالارتياح لأنّ أحدهم مسؤول عن حلّ المشكلة، يقابله الشعور نفسه بالذنب، لأنّها حثّت إيرين على الردّ على الإعلانات.

قالت لدامبروزيو: «لقد اقترَحت علينا نونا أن نُجرّب الردّ على الإعلانات. أنا شجّعتُ إيرين على الموضوع.» كان دامبروزيو يُدوّن الملاحظات فيما تُخبره دارسي عن الاتصال الذي تلقّته يوم الثلاثاء، وعن لقاء إيرين المرتقب مع رجل يُدعى تشارلز نورث في إحدى حانات واشنطن سكوير. لاحظت تغيّرًا في ردّة فعل دامبروزيو عندما انتقلت إلى موضوع فتح الخزنة، وإعطاء جاي ستراتون القلادة، وادّعائه فقدان بعض أحجار الألماس.

سألها عن عائلة إيرين.

راحت دارسي تتأمّل يديها فيما بدأت سردها.

هل تذكرين اليوم الأوّل في ماونت هوليوك؟ كانت إيرين قد وصلت قبلي ورتّبت حقائبها في زاوية من زوايا الغرفة. تفحّصت كلّ واحدة فينا الأخرى، ورقنا لبعضنا على الفور. اتّسعت عينا إيرين حين تعرّفت إلى أبي وأمي، لكنّها لم تفقد هدوءها.

«عندما كتبت إليّ دارسي في ذاك الصيف، تُعرّف بنفسها، لم أدرك أن والديها هما باربرا ثورن وروبرت سكوت. قالت لهما: «لقد شاهدت أفلامكما كافّة، بلا استثناء.» ثمّ أضافت: «دارسي، لم أشأ أن أرتّب أغراضي في الغرفة قبل أن تصلي. فلربّما كنت تفضّلين سريرًا أم خزانة على سواهما.»

أتذكرين النظرة التي تبادلها والداي؟ كم كانت إيرين مُهذّبة ولطيفة. سألاها الانضمام إلينا لتناول العشاء.

لقد أتت إيرين إلى الجامعة وحيدة. فوالدها كان عاجزًا، لا يقوى على السير. تساءلنا عن السبب وراء عدم ذكرها لوالدتها. أخبرتني لاحقًا أنّ والدها أصيب بمرض عصبي عندما كانت في السادسة، فتركته والدتها بعد سنة من ذلك. قالت له يومها: «لم يكن هذا مذكورًا في عقد زواجنا.» ثمّ توجّهت لإيرين قائلة: «يمكنك مرافقتي إن شئت.» أجابتها: «لا يسعني أن أترك أبي وحيدًا. فهو بحاجة إليّ.»

مع مرور السنوات، فقدت إيرين الاتّصال بوالدتها. «آخر ما عرفته عنها أنّها كانت تعيش مع رجل يمتلك باخرة سياحيّة في البحر الكاريبيّ.» أمّا هي فأتت إلى ماونت هوليوك بمنحة. «لطالما ردّد أبي: لمّا كنتُ عاجزًا مُسمّرًا على كرسيّ، تسنّى لي الوقت لمساعدة ابنتي في فروضها المدرسيّة. ولمّا كنتُ غير قادر على تحمّل نفقات دراستها في الجامعة، فقد تدبّرتُ لها أقلّه منحة لإكمالها مجّانًا.»

إيرين، أين أنتِ؟ ماذا حلّ بك؟

لاحظت دارسي أنّ دامبروزيو كان ينتظر جوابها عن سؤاله. «والدها في مصحّ في ماساتشوستس منذ بضع سنوات. لم يعد يعي الكثير ممّا يدور من حوله. أظنّ أنني القريبة الوحيدة لإيرين من بعده.»

لمح فينس الألم في عيني دارسي. فقال لها: «لقد تعلّمتُ، في أثناء ممارسة وظيفتي، أنّ الصديق المخلص خير من مجموعة من الأقرباء.»

أجبرت دارسي نفسها على الابتسام. في هذه اللحظة أتذكّر حكمة إيرين المفضلة، وهي للفيلسوف أرسطو: «ما الصديق؟ روح واحدة في جسدين».

وقفت نونا إلى جانب دارسي، ووضعت يديها على كتفي الفتاة محاولة أن تطمئنها. نظرت إلى دامبروزيو وقالت: «ما عسانا نفعل لإيجاد إيرين؟»

لقد كان بيتي بوترز، في الماضي البعيد، عامل بناء. واعتاد التباهي أمام كلّ من صادفه: «أنا أعمل في الورش الكبيرة الضخمة، حتّى أنني تمشّيتُ على دعائم مركز التجارة العالميّ في أثناء تشييده. وكانت أيّامٌ عصفت فيها الرياح فخُيّل إلينا أنّنا سنبقى مُعلّقين على الدعائم». كان يضيف ضاحكًا: «يا له من منظر رائع من فوق!»

في المساء، كانت فكرة ارتقاء الدعائم تراود بيتي، بعد أن يثمل وتأخذه نشوة المشروب. لطالما وبّخته زوجته غاضبة: «أنتَ مثل والدك. رجل سكّير، لا نفع أرجوه منك».

لم يشعر بيتي يومًا بالإهانة. بل كان يتفهّم موقف زوجته، ويبدأ بالضحك عندما تأتي على ذكر والده. فهذا الأخير اعتاد أن يتوارى، لأسابيع، في إحدى الحانات، ومن ثمّ يعود إلى منزله، فيقول لابنه البالغ من العمر ثمانية أعوام: «عندما أشعر بالجوع، أتدبّر أمري. أقصد مأوى الفقراء حيث أكفّر عن ذنوبي، فأحصل على وجبة وأستحمّ وأنام. لطالما تدبّرتُ أمري».

أمّا الصبيّ الصغير فكان يسأل: «ما معنى التكفير عن الذنوب؟»

«في المأوى يحدّثونك عن الربّ والتوبة والسماح، ويقولون إنّنا جميعًا إخوة ننشد الخلاص. بعد ذلك يطلبون من كلّ شخص يؤمن بالكتاب المقدّس التقدّم والاعتراف بخالقه. فيتقدّم الشخص المعنيّ، ويجثو على ركبتيه، ويطلب الخلاص عاليًا. هذا ما يُسمّى بالتكفير عن الذنوب.»

مرّت أربعون سنة، وما زالت الذكرى تُثير بيتي بوترز. فقد شيّد مأواه الخاص من الخشب والقصدير، وكدّس الخِرق البالية في ما يُشبه الخيمة. أمّا الموقع الذي اختاره فالرصيف المقفر، من الشارع السادس والخمسين.

كانت احتياجات بيتي بسيطة: المشروب والسجائر والقليل من الطعام. كلّها متوافرة في مستوعبات القُمامة القريبة. كان بيتي، في أحيان كثيرة، يحمل ممسحة مطّاطيّة وزجاجة من الماء، عند مخرج الشارع السادس والخمسين من طريق ويست سايد. لم يجرؤ المارّة على إبعاده، مع أنّهم لم يستحسنوا كثيرًا فكرة أن يلطّخ لهم زجاج سيّاراتهم. في الأسبوع الماضي، سمع سيّدة طاعنة في السنّ تقول لسائقة سيّارة ميرسيدس: «جاين، لِمَ سمحتِ له بمسح زجاج السيّارة؟»

إستحسن بيتي جوابها: «لأنّني إذا أبعدته، أمّي، سوف يقوم بخدش هذا الجانب من السيّارة، وهو أمر لن يروق لي.»

غير أنّ بيتي لم يكن يخدش الزجاج انتقامًا ممّن يُبعده، بل كان ينتقل إلى السيّارة التالية، وبيده زجاجة بخّاخة، وعلى وجهه إبتسامة متملّقة.

يوم الأمس كان بالنسبة إليه من الأيّام المُميّزة. فقد تساقط ما يكفي من الثلج لتدبّ الفوضى على الطريق العامّ، ويتّسخ زجاج بعض السيارات ببقايا الثلج الذي ترشّه عليه إطارات السيّارات المارّة. هكذا، لم يستغنِ السائقون، بمعظمهم، عن خدمات بيتي الواقف على مخرج الطريق. كان المكسب عبارة عن 18 دولارًا، ما يكفي لابتياع سندويش، وسجائر، وثلاث زجاجات من المشروب.

في المساء، جلس داخل خيمته وقد التحف بغطاء قديم، واعتمر قبّعة غطّت له أذنيه، فيما رفع ياقة معطفه القديم، احتماء من البرد. أنهى السندويش وزجاجة المشروب الأولى، ثمّ تمدّد ليدخّن سيجارة، ثَمِلًا ومُستمتعًا بالدفء. راح يتذكّر والده، وهو يُكفّر عن ذنوبه، ووالدته عائدة إلى المنزل، منهكة القوى بعد أن أنهت عملها في تنظيف البيوت. لم ينسَ زوجته. أين هي اليوم، يا تُرى؟ وماذا حلّ بالصغير؟ لقد كان صبيًّا لطيفًا.

لم يذكر بيتي، لشدّة استغراقه في الذكريات، أنّه قد سمع سيّارة تتوقّف على الطريق. حاول أن يستعيد وعيه ليحمي معقله. ماذا يحلّ به إن أتت الشرطة وهدمت خيمته؟ لا. فرجال الشرطة لن يهتمّوا بهدم خيمته في منتصف الليل. لربّما كان الزائر متسكّعًا ومدمن مخدّرات. أمسك بيتي بعنق زجاجة فارغة. لن يسمح لزائر

الليل بدخول خيمته. غير أنّ أحدًا لم يدخلها. بعد بضع دقائق، سَمِع هدير محرّك السيّارة ينطلق من جديد. نظر إلى الخارج، بحذر، فرأى ضوء المصابيح الخلفيّة وهو يتلاشى على الطريق العامّ المقفر. لا شكّ في أنّه رجل أراد التبوّل. تناول الزجاجة الأخيرة.

فتح بيتي عينيه في المساء، منزعجًا من آثار الخمرة. أرغم نفسه على النهوض. لم تقدّم له الزجاجات الثلاث الفارغة أيّ عزاء. وجد في جيب معطفه عشرين سنتًا. تحسّر قائلًا «أنا جائع». أطلّ برأسه من وراء باب الخيمة. نظر إلى الخارج واستنتج أنّ بعد الظهر قد شارف على النهاية. لمح ظلالًا على الرصيف. توقّف نظره عند جسم لم يكن ظلًّا. رفّ بعينيه، وأجبر نفسه على الوقوف.

توجّه مترنّحًا نحو الجسم الملقى على الرصيف.

كانت امرأة. شابّة. خُصلٌ من الشعر الأصهب الغامق تتدلّى على وجهها. أدرك بيتي للحال أنّها ميتة. لمح قلادة مربوطة حول عنقها. كانت ترتدي قميصًا وبنطالًا فضفاضًا ولم يكن حذاؤها متناسقًا مع ملابسها.

توهّجت القلادة تحت نور الغسق المتلاشي. كانت من الذهب. الذهب الحقيقيّ. شعر بيتي بتوتّر شديد. إستجمع شجاعته واقترب من الجُثّة. مرّر يديه خلف عنقها ليجد قُفل القلادة. غير أنّ أصابعه الغليظة لم تقوَ على فكّه. يا إلهي، لقد كانت الشابّة مُجمّدة!

لم يشأ أن يكسر شيئًا. هل القلادة واسعة ما يكفي لتخرج من رأسها؟ حاول غضّ النظر عن الكدمات الزرقاء التي غطّت رقبة الفتاة، وشدّ سلسلة القلادة الثقيلة. سحبها ودسّها في جيب سرواله. لفتته الأقراط أيضًا، فقد بدت ثمينة.

تناهى إلى مسمع بيتي صوت صفّارة سيّارة الشرطة. تملّكه الفزع، فوثب من مكانه وقد نسي الأقراط. من المُستحسن ألّا يراه رجال الشرطة في المكان. عليه جمع أغراضه والانتقال إلى مأوًى آخر. فالشرطة ما إن تجد الجثّة، حتى تلقي القبض عليه فينتهي أمره.

أدرك بيتي خطورة الموقف، فأفاق من كبوة الثمالة. عاد أدراجه إلى الخيمة بخطى مترنّحة. سيجمع مقتنياته ويلفّها بالغطاء. الوسادة والجوارب القصيرة وبعض الملابس الداخليّة. قميص من الفلانيل. صحن وملعقة وكوب. أعواد ثقاب. سجائر وبعض الصحف لليالي الباردة.

بعد ربع ساعة، كان بيتي قد اختفى في عالم المتشرّدين. وقف في الجادّة السابعة يتسوّل. كانت الغلّة أربعة دولارات وثلاثين سنتًا، إشترت له النبيذ والبسكويت المُملّح. قصد شابًّا في الجوار كان يشتري المجوهرات المسروقة، فباعه القلادة لقاء خمسة وعشرين دولارًا. قال له التاجر: «بضاعة جيّدة يا صاح. حاول تدبّر قِطَع مثلها.»

عند العاشرة، كان بيتي يغطّ في النوم، على سكّة المترو، مستمتعًا بالدفء المنبعث منها. لكنّه ما لبث أن استفاق بعد ساعة على أحدهم يهزّه ويقول له بلطف: «تعال معي. فالليلة باردة. سوف نصحبك إلى مكان ينتظرك فيه سرير دافئ وطعام شهيّ».

عند السادسة إلّا ربعًا من مساء الجمعة، كانت واندا ليبي تقود سيّارتها، من طراز بي. أم.، على طريق واست سايد. لقد كانت جولة التسوّق في الجادّة الخامسة ممتازة. غير أنّ واندا لامت نفسها على العودة إلى تاري تاون في تلك الساعة المتأخّرة. فزحمة السير التي تشهدها أمسية الجمعة هي الأسوأ. في تلك الأمسية، يترك سكّان نيويورك المدينة متوجّهين إلى منازلهم في الريف. لن تقبل واندا، بعد اليوم، أن تسكن في نيويورك، مهما كلّف الامر. فالمدينة كانت وسخة وخطيرة.

نظرت بطرف عينها إلى حقيبة فالنتينو التي وضعتها على المقعد إلى جانبها. تذكّرت كيف أنّها أمسكت بها هذا الصباح تحت ذراعها، وهي تركن سيّارتها في مرآب المركز التجاريّ. حتّى أنّها أمضت النهار بطوله وهي تشدّ على الحقيبة.

إشارة مرور أخرى. عليها التحلّي بقليل من الصبر، فلم يبقَ أمامها سوى بضعة صفوف من المباني حتى تبلغ الطريق المنحدر وتتجاوز ذاك القسم البغيض من الطريق العامّ.

سمعت دقّة على النافذة، فالتفتت إلى اليمين لترى رجلًا ملتحيًا يبتسم لها. سُرعان ما بدأ يمسح لها حاجب الريح بخرقة بالية.

أحسّت واندا بالاستياء وراحت تهزّ رأسها بقوّة، وتطلب منه التوقّف عن مسح الزجاج. غير أنّ الرجل تجاهلها.

فتحت واندا نافذة المقعد إلى جانبها وقالت له بغضب: «لا أريد.» راحت تصرخ.

فجأة، وبلا سابق إنـذار، رأت الخِرقة تستقرّ الزجاج الأمامي للسيّارة، ومحتوى القنينة ينسكب على غطاء السيّارة. ثمّ امتدّت يدٌ إلى داخل السيّارة واختفت حقيبتها.

كانت سيّارة الشرطة تسير غربًا في الشارع الخامس والخمسين. فجأةً صرخ السائق: «ما هذا؟». فيما كان يقترب من الطريق الدائريّ، إنتبه للسيّارات وهي تتوقّف ويترجّل منها ركّابها.

«فلنستطلع المسألة.»

شقّت سيّارة الشرطة طريقها، وقد أطلقت صفّارتها وشغّلت مصابيحها، فنجحت في تجاوز الزحمة الخانقة.

أمّا واندا فكانت لا تزال تصرخ، بغضب، وتشير إلى الرصيف، على بُعد مبنى واحد.

«حقيبتي. لقد استولى عليها وهرب من ذاك الطريق.»

«هيّا بنا.»

إنعطفت سيّارة الشرطة يسارًا ثمّ يمينًا، وهي تطلق صفارتها على الرصيف. أضاء الشرطي الجالس بالقرب من السائق المصباح، فكشف عن الخيمة التي هجرها بيتي.

«سوف ألقي نظرة في الداخل.» ثمّ صرخ: «أنظروا هناك. الجانب المقابل من سكّة المترو. ما هذا؟»

لقد كانت جثّة إيرين تلمع على طبقة الجليد، فيما الحذاء الفضّيّ يتوهّج على ضوء المصباح. للمرّة الثانية يتمّ اكتشاف جثّة إيرين.

تركت دارسي مكتب نونا برفقة فينس دامبروزيو. إستقلّا سيّارة أجرة إلى شقّتها حيث أعطته مفكّرة إيرين اليوميّة وملفّ الإعلانات الشخصيّة الذي احتفظت به. تفحّصهما فينس بعناية وعلّق: «لا شيء يُذكر هنا. سوف نتحقّق من أصحاب الإعلانات التي وضعت إيرين إشارة عليها. تشارلز نورث هو واحد منهم».

أجابته دارسي: «ليست إيرين أعظم حافظة سجلّات. بإمكاني العودة إلى شقّتها وإلقاء نظرة جديدة على مكتبها. لربّما فاتني تفصيلٌ ما.»

«قد يكون الأمر مفيدًا. لكن، لا عليكِ. إذا كان نورث بالفعل محاميًا من فيلادلفيا، يسهل علينا تعقّب أثره.» وقف فينس وقال: «سأهتمّ بالأمر في الحال.»

«سأعود إلى شقّتها الآن. سنغادر معًا». غير أنّ دارسي تردّدت في الرحيل. فقد لفتها وميض ضوء آلة تسجيل المكالمات. «هلا انتظرت قليلًا، ريثما أتحقّق من الرسائل؟ لربّما تركت إيرين رسالة ما.»

لقد سجّلت الآلة رسالتين تتعلّقان بالإعلانات الشخصيّة. إحداهما كانت ودّيّة: «مرحبًا دارسي. هذا أنا مُجدّدًا. أعجبتني رسالتك. آمل أن نلتقي. عنواني ص.ب. 4358 واسمي دايفيد ويلد.»

أمّا الرسالة الثانية فكانت مختلفة. «دارسي، لِمَ تضيّعين وقتك في الردّ على الإعلانات، ووقتي أنا، في محاولة الاتّصال بك. إنّها المرّة الرابعة التي أطلبك فيها. لا أحبّ أن أترك الرسائل، ولكن إليك هذه الرسالة: إنسي أمري.»

هزّ فينس رأسه وقال: «هذا الشابّ متطلّب.»

ردّت عليه دارسي: «عندما تركتُ المدينة، لم أُشغّل آلة تسجيل المكالمات. لذا فإنّ أيّ شخص حاول الاتّصال بي، ردًّا على الرسائل التي وجّهتها، قد يئس وأقلع عن فكرة مواعدتي. لقد بدأت إيرين الردّ على الإعلانات بإسمي منذ حوالى أسبوعين. هذه هي الاتصالات الأولى التي أتلقّاها.»

تفاجأ غاس بوكسر ولم يكن راضيًا عندما ردّ على جرس باب المدخل ووجد الشابّة نفسها التي ضيّعت وقته بالأمس. كان قد تحضّر لمنعها

من دخول شقّة إيرين مرّة أخرى، لكنّ الفرصة لم تسنح له لذلك. فقد بادرته دارسي قائلة: «أبلغنا جهاز الأف. بي. أي. عن اختفاء إيرين، وقد سألني العميل المكلّف التحقيق في القضيّة تفتيش مكتبها.»

الأف. بي. أي.

أحسّ غاس بتوتّر شديد. لكنّ ذلك حصل منذ وقت بعيد. لا داعٍ للقلق. مؤخّرًا ترك له شخصان اسميهما، في حال شغرت إحدى الشقق. حتّى أنّ فتاة حسناء قد وعدته بمكافأة قدرها 1000 دولار، في حال أعطاها الأولويّة. بالتالي، إن عجزت صديقة إيرين عن معرفة مصيرها، فسوف يكسب مبلغًا محترمًا.

قال لدارسي: «أشاطرك القلق على تلك الشابّة. هيّا معي إلى الشقّة.»

في الشقّة، عمدت دارسي، قبل كلّ شيء، إلى تشغيل الأنوار كلّها استباقًا للظلام الذي بدأ يحلّ. بالأمس، كان المكان أكثر بهجة. أمّا اليوم، فقد ترك غياب إيرين المتواصل بصمته على أرجاء الشقّة. إنتبهت دارسي لدخان أسود على عتبة النافذة. كان الغبار قد غطّى طاولة العمل الطويلة وبدت الصور التي لطالما أضفت لونًا وحيويّة على الغرفة هازئة ساخرة.

تأمّلت لوحة بيكاسو التي اشترتها إيرين من جنيف، في أثناء رحلة قامت بها إلى هناك. «أحبّ هذه اللوحة ولو أنّها لا تُصوّر موضوعي المفضّل.» كانت اللوحة تصوّر أُمًّا وولدها.

لم يكن من رسائل أخرى مسجّلة، ولم يكشف تفتيش المكتب شيئًا يُذكر. في الدُرج، كان ثمّة شريط جديد لآلة تسجيل المكالمات. لربّما أراد العميل دامبروزيو الشريط القديم، ذاك الذي احتوى على الرسائل. قامت دارسي بإبدال الشريط.

المصحّ. لقد اعتادت إيرين الاتّصال به في هذا الوقت. بحثت دارسي عن الرقم وطلبته. ردّت عليها رئيسة الممرّضات في الطابق حيث بيلي كيلي وقالت: «لقد تكلّمتُ مع إيرين، كالمعتاد، قرابة الخامسة من مساء الثلاثاء. قلت لها إنّ حالة والدها لا تُبشّر بالخير، وهي في تدهور مستمرّ. على الأرجح، لن يعيش طويلًا. ردّت عليّ بأنّها ستمضي عطلة نهاية الأسبوع في ويليسلي». ثمّ أضافت: «يؤسفني أنّها مُختفية. كلّنا نصلّي على أمل أن تكون بخير.»

أدركت دارسي أنّ لا فائدة من بقائها في شقّة إيرين، وأحسّت برغبة عارمة في العودة إلى منزلها.

كانت الساعة السادسة إلّا ربعًا عندما وصلت إلى شقّتها. إرتأت الاستحمام وتناول شراب ساخن.

عند السادسة وعشر دقائق، لفّت عليها ثوب الفلانيل المفضّل لديها وجلست على الكنبة، تحتسي الشراب الساخن. شغّلت جهاز التلفزيون.

...وإذا بخبر عاجل يقطع البرامج المعتادة. كان جون ميلر، مراسل التحقيقات الجنائيّة في القناة الرابعة، يقف عند بوّابة رصيف ويست سايد. وراءَه، لمحت دارسي عشرات رجال الشرطة على ضفاف نهر هادسون، وقد فرضوا طوقًا حول المكان. رفعت دارسي الصوت.

«...لقد عُثر، منذ قليل، على جثّة امرأة مجهولة الهويّة، على الرصيف المقفر للشارع السادس والخمسين. يبدو أنّها قضت خنقًا. المرأة نحيلة، عمرها بين الخامسة والعشرين والثلاثين، وشعرها بنّي اللون. ترتدي بنطالًا وقميصًا ملوّنًا. اللافت أنّها تنتعل «فردتي» حذاءين مختلفين: «جزمة» من الجلد البنّي لقدمها اليسرى وحذاء سهرة لليمنى.»

حدّقت دارسي في شاشة التلفزيون. شعر بُنّي. في منتصف العشرينات. قميصٌ ملوّن. تذكّرت أنها أهدت إيرين قميصًا ملوّنًا في عيد الميلاد. وقد سُرّت به إيرين. يومها قالت: «القميص متناسق مع المعطف الذي اشتريته مؤخّرًا. أحبّه.»

شعر بُنّي. شابّة نحيلة. المعطف الجديد. فتّشت دارسي في جزدانها عن البطاقة التي أعطاها إيّاها العميل دامبروزيو.

كان فينس على وشك مغادرة مكتبه ليلاقي ابنه هانك البالغ من العمر خمس عشرة سنة في ماديسون سكوير غاردن. اتّفقا على تناول عشاء سريع قبل الذهاب لحضور مباراة الراينجرز. أجاب على اتّصال دارسي وكان قد توقّعه، ولكن ليس بهذه السرعة. قال لها: «الأخبار لا تدعو إلى الاطمئنان. سوف أتّصل بدائرة الشرطة حيث وجدت الجثّة. تشجّعي. سوف أعاود الاتّصال بك.»

أقفل الخطّ وطلب شبكة هادسون كايبل. كانت نونا في مكتبها. لدى سماعها الخبر منه، علّقت: «سوف أغادر في الحال لأكون بالقرب من دارسي».

حذّرها: «ستسألها الشرطة الحضور للتعرّف إلى الجثّة.»

إتّصل بدائرة الشرطة في ميدتاون نورث وتحدّث إلى مدير فرع جرائم القتل. عَلِم أنّ الجثّة لم تزل في مسرح الجريمة. لدى وصولها إلى المشرحة، سوف يرسلون سيّارة شرطة لإحضار الآنسة سكوت. أبدى فينس اهتمامه بالقضيّة. قيل له «سنكون ممتنّين لمساعدتك. في حال تبيّنت القضيّة معقّدة وغير اعتياديّة، سوف نُدرجها ضمن برنامج الوقاية من الجرائم الذي تعملون عليه.»

عاود فينس الاتّصال بدارسي وأعلمها بأنّ سيّارة الشرطة آتية لإحضارها وبأنّ نونا كانت في طريقها إليها. شكرته بنبرة باردة.

ترك كريس شيريدان المعرض عند الخامسة وعشر دقائق وقطع بخطى سريعة المباني الأربعة التي تفصل ما بين ماديسون والجادّة الخامسة. لقد كان الاسبوع الفائت حافلًا بالإنجازات وتنتظره عطلة نهاية أسبوع لا مشاريع فيها. سوف يستمتع بتمضيتها على هواه.

كانت شقّته في الطابق العاشر وتُطلّ على سنترال بارك. لطالما ردّد أصدقاؤه: «شقّتكَ تُشرف مباشرة على حديقة الحيوانات.» كان الأثاث مميّزًا وقد انتقاه كريس قطعة قطعة: طاولات ومصابيح وسجّادًا قديمًا مع كنبات عريضة ومريحة غطّاها بقماش عليه رسوم من القرون الوسطى، بالإضافة إلى لوحات مثّلت مناظر طبيعيّة للريف الانكليزيّ. في غرفة الطعام طاولة وكراسٍ من طراز تشيبندیل ونقوش تُظهر مشاهد صيد عائدة إلى القرن التاسع عشر وسجّادة من الحرير رُسمت عليها شجرة الحياة. كانت الغرفة مريحة وجذّابة، درجت النساء طوال السنوات الثماني الماضية على تأمّلها بإعجاب.

دخل كريس غرفة النوم وبدّل ملابسه. ارتدى قميصًا رياضيًا قصير الأكمام وسروالًا من القطن. قرّر أن يسكب كأس مارتيني. لربّما خرج في ما بعد لتناول طبق من الباستا. تناول الكأس بيده وشغّل جهاز التلفزيون. أراد متابعة نشرة أخبار الساعة السادسة فرأى ما رأته دارسي.

شعر بالشفقة على الفتاة الميتة وبالحزن الكبير الذي يعصر قلب عائلتها، لكنّ شعوره ما لبث أن استحال رعبًا واشمئزازًا. مخنوقة! إحدى قدميها في حذاء رقص! قال كريس عاليًا: «يا إلهي!» هل يُعقل أن يكون قاتل تلك الفتاة ذاك الشخص الذي بعث بالرسالة إلى والدته، وكتب فيها أن فتاة ترقص وتعيش في منهاتن سوف تلقى حتفها ليلة الثلاثاء بالطريقة نفسها التي قُتلت فيها نان؟

كان كريس قد عمد بعد الظهر من يوم الثلاثاء، وعلى أثر اتّصال والدته به، إلى الاتّصال بغلين مور، رئيس شرطة داريين. فقصد هذا الأخير غريتا وأخذ منها الرسالة. بعد أن قرأها، طمأنها بأن المرسل حتمًا شخص مهووس. ثمّ اتّصل بكريس وقال له: «كريس، لنفترض صحّة التهديد، ما السبيل إلى حماية الشابات كافّة اللواتي يعشن في نيويورك؟»

اتّصل كريس في تلك اللحظة بمركز شرطة داريين وطلب التحدّث إلى الرئيس. لم يكن مور قد سمع بعد عن جريمة القتل في نيويورك، فقال له: «سوف أتّصل بالأف. بي. أي. في حال كانت الرسالة من القاتل، فهي دليل مادّي. عليّ تحذيرك، قد يطلب محقّقو الأف. بي. أي. شهادتكما، أنت ووالدتك، في قضيّة مقتل نان. آسف كريس. أنا أدرك الألم الذي سيسبّبه الأمر لها.»

عند مدخل المطعم في ماديسون سكوير غاردن، لفّ فينس بذراعه كتف ابنه وقال له: «لقد كبرتَ بالقامة منذ الأسبوع الماضي». فقد أصبحا بالطول نفسه. «في يوم ما سوف تأكل طبقك الكامل فوق رأسي.»

«ماذا تقصد بالطبق الكامل؟»

كان وجه فرانك نحيلًا مع شيء من النمش على الأنف. شَبه فينس منذ ثلاثين عامًا. لم يأخذ من والدته سوى العينين الزرقاوين المائلتين إلى الرماديّ. أومأ النادل إليهما. فقد وجد لهما طاولة. عندما جلسا إليها، راح فينس يُفسّر لابنه قصّة الطبق الكامل: «لقد كان هذا هو طبق العشاء في المطاعم الرخيصة. فبتسعة وسبعين سنتًا كان بإمكانك شراء قطعة ضخمة من اللحم وبعض الخضار والبطاطا. وكان

الطبق مقسّمًا بحيث لا تختلط فيه المكوّنات. كان جدّك يستهوي ذاك النوع من العروض.»

قرّرا تناول الهمبرغر مع البطاطا المقليّة والسلطة. حاول فينس جاهدًا أن يطرد من رأسه فكرة ذهاب دارسي سكوت ونونا روبرتس إلى المشرحة لمعاينة جثّة الفتاة ضحيّة جريمة القتل. لقد كان الأمر مؤلمًا لهما.

راح هانك يخبره عن الإنجازات الأخيرة لفريق ألعاب القوى الذي ينتمي إليه.

«سوف نركض في راندالز أيلاند السبت المقبل. هل يمكنك المجيء لمشاهدتنا؟»

«طبعًا، ما لم...»

«طبعًا.» خلافًا لوالدته، كان هانك يتفهّم متطلّبات وظيفة فينس. فسأله: «هل تعمل على قضيّة جديدة؟»

أطلعه فينس على مخاوف الشرطة بشأن قاتل بالجملة يسرح ويمرح في منهاتن. كما أخبره عن اللقاء في مكتب نونا روبرتس وعن احتمال أن تكون إيرين كيلي هي نفسها الشابّة التي وجدت ميتة على الرصيف.

أصغى هانك إلى والده بانتباه وسأله: «هل ستُكلّف التحقيق في هذه القضيّة أبي؟»

«ليس بالضرورة. قد تكون جريمة محلّية من اختصاص قسم شرطة نيويورك. لكنّهم طلبوا المساعدة من وحدة العلوم السلوكيّة في كوانتيكو وسوف أساعدهم على قدر ما أستطيع.» أومأ إلى النادل بإحضار الفاتورة وقال لهانك: «هيّا بنا».

«أبي، أنا عائد يوم الأحد. يمكنني أن أذهب بمفردي إلى المباراة. يبدو لي أنّك مهتمّ بمتابعة هذه القضيّة.»

«لا أريدك أن تتحمّل العواقب.»

«إسمع. لقد نفدت بطاقات حضور المباراة. سوف أعقد صفقة معك. في حال تمكّنتُ من بيع بطاقتك بالسعر نفسه الذي اشتريتَه بها، إحتفظتُ بالمال. إتّفقنا؟ عندي موعد مع فتاة مساء الغد. أنا مُفلس ولا أتحمّل طلب المال من أمّي. فهي تُحيلني إلى زوجها السمين. وهو يتمنّى لو نصبح صديقين.»

إبتسم فينس وقال لابنه: «أنت مشروعُ نَصّاب. إلى اللقاء يوم الأحد بُنيّ.»

في سيّارة الشرطة التي أقلّتهما إلى المشرحة، شبكت دارسي ونونا يديهما. وصلتا إلى هناك واقتيدتا إلى قاعة مجاورة للمدخل. قال لهما الشرطي الذي أوصلهما: «سوف يأتي أحدهم لاصطحابكما إلى المشرحة ما إن يجهز كلّ شيء. فهم على الأرجح يأخذون صورًا للجثّة.»

الصوَر. «إيرين لا عليكِ. أرسلي صورتك في حال طلبوها. يجدر بك القيام بالأمور على أكمل وجه.»

حدّقت دارسي في المكان شاردة الذهن. حتّى أنّها لم تشعر بذراع نونا من حولها. تشارلز نورث. لقد التقته إيرين عند السابعة من مساء الثلاثاء. مرّ أكثر من يومين على ذلك. كانت الفتاتان قد مزحتا صباح الثلاثاء بشأن ذاك الموعد.

قالت دارسي بصوت عالٍ: «الآن أجلس في مشرحة نيويورك أنتظر معاينة جثّة شابّة ميتة أنا واثقة من أنّها ستكون إيرين.» أحسّت بذراع نونا تشدّ عليها.

عاد الشرطي إليهما وقال: «ثمّة عميل من الأف. بي. أي. في طريقه إلى هنا. يطلب منكما انتظاره قبل النزول إلى المشرحة.»

مشى فينس بين دارسي ونونا، وقد أمسك بكلّ منهما. وقفوا قبالة النافذة الزجاجيّة التي فصلت بينهم وبين الجثّة الجامدة الممدّدة على نقّالة الموتى. أومأ فينس للموظّف المناوب، فرفع هذا الاخير الغطاء عن وجه الضحيّة.

لم تنتظر دارسي أن يفعل ذلك لتعرف هويّة الجثّة. فقد عرفتها بفضل بعض خُصل الشعر البنّيّ التي أفلتت من الغطاء. وها هي الآن ترى ذاك الوجه المألوف، العينين الزرقاوين المغمضتين، الشفتين المبتسمتين دومًا، واللتين كانتا في تلك اللحظة جامدتَين هادئتَين.

إيرين. إيرين. شعرت أنّها على وشك أن تفقد وعيها.

غير أنّ فينس ونونا أمسكا بها، فقالت: «لا تقلقا بشأني. فأنا بخير». قاومت الدوار الذي بدأ ينتابها وانتصبت. أزاحت عنها ذراعي نونا وفينس، وحدّقت في إيرين، وفي بشرتها البيضاء، والكدمات على رقبتها. قالت، بنبرة عنيفة: «إيرين، أقسم لك، سوف أعثر على تشارلز نورث. وسوف يدفع ثمن ما فعله بك.» وسُمع في الرواق المقفر صدى بكاء أجشّ. أدركت دارسي أنها هي مَن كانت تبكي.

لقد كان يوم الجمعة واحدًا من أيّام الحظّ بالنسبة إلى جاي ستراتون. في الصباح، مَرَّ بمكتب برتوليني. فالمدير، ماركو الدو، كانَ، قبل يوم من ذلك، غاضبًا للتأخير الحاصل في تسليم القلادة. لكنّه اليوم يطير فرحًا. فالآنسة كيلي قد نفّذت، على أكمل وجه، فكرتهما، في ما خصّ مجوهرات الزبون، فأعادت شغلها بإتقان. وهم يتطلّعون لمواصلة التعامل معها. بناء على طلب جاي، حُرّر الشيك بقيمة 20000 دولار باسمه، كونه مدير أعمال إيرين كيلي.

ترك ستراتون مكتب برتوليني وقصد مركز الشرطة للتقدّم بشكوى حول أحجار الألماس المفقودة. حمل نسخة عن التقرير الرسميّ بيده، وتوجّه إلى مكتب شركة التأمين التي يتعامل معها. هناك، أُبلغ بأن شركة لويد في لندن قد أعادت التأمين على المجوهرات وهي، حتمًا، ستعرض مكافأة لمن يجدها. فالشركة تأسف لحالات سرقة المجوهرات الشائعة في نيويورك.

عند الرابعة، قصد جاي مقهى ستانهوب لتناول مشروب مع إينيد أرمسترونغ، وهي أرملة ردّت على واحد من الإعلانات الشخصيّة التي وضعها. راح يُصغي إليها باهتمام وهي تشكو له الوحدة التي تعانيها. قالت له، وعيناها تلمعان: «لقد مرّت سنة. تعرف، الناس يتعاطفون معي، وقد يدعونني للخروج من وقت لآخر، لكنّ سُنّة الحياة تقوم على الثنائيّ. لذا فإنّ امرأة إضافيّة تكون مزعجة. لقد ذهبتُ في رحلة استجمام في البحر الكاريبيّ الشهر الماضي. كنتُ وحيدة فيها وتعيسةً.»

تمتم جاي بعض عبارات التفهّم، وأمسك بيدها. لقد كانت متوسّطة الجمال، تقترب من الستّين. إرتدت ملابس فاخرة، ولكن غير أنيقة. غالبًا ما صادف ذاك النوع من النساء. تزوّجت في سنّ مبكرة، لزمت المنزل، ربّت الأولاد، وانضمّت إلى نادي الغولف. زوجها رجل أعمال ناجح كان يمضي عطلة نهاية الأسبوع في قَصّ عشب الحديقة. أمّن مستقبل زوجته قبل موته.

تفحّص جاي خاتمي الخطبة والزواج العائدين للأرملة أرمسترونغ. كانا مشغولين بأفخر نوعيّة من الألماس.

قال لها: «يبدو لي أنّ زوجك كان كريمًا.»

«لقد أهداني هذا الخاتم في عيد زواجنا الخامس والعشرين. حتّى خاتم الخطوبة كان رائعًا. أيا ليت الشباب يعود يومًا!»

ولمعت عيناها.

طلب جاي كأسًا آخر من الشمبانيا. إقترح على إينيد أرمسترونغ أن يلتقيا الأسبوع المقبل، فتحمّست للفكرة. كما أنّها وافقت على تسليمه الخاتمين ليعمل من جديد على تصميمهما. قال لها: «أتمنّى أن أصنع لك خاتمًا فيه الأحجار هذه كلها. الماسة المفردة، والأحجار المستطيلة في الوسط، تُحيط بها من كلّ جانب أحجار الألماس والزمرّد. سوف أستخدم حجر الألماس المشغول في خاتم زواجك، ويمكنني أن أبتاع لك بعض أحجار الزمرّد الجميلة بسعر معقول.»

خلال عشاء هادئ في واتر كلوب، راح جاي يستمتع سلفًا بفكرة استبدال الماسة المفردة في خاتم أرمسترونغ بحجر زركون. فمن أحجار الزركون ما شابه الألماس وغشّ صانع المجوهرات، حتّى لو نظر إليه بالعين المجرّدة. لكنّه سوف يُخمّن الخاتم الجديد، وفيه الماسة المفردة. تذكّر قول الأرملة الثريّة بعد العشاء: «شكرًا لاهتمامك بتخمين الخاتم. سوف آخذه في الحال إلى شركة التأمين التي أتعامل معها». بعد العشاء، بقي في المطعم يحتسي المشروب ويسترخي. فمغازلة الأرامل مهمّة مُتعبة، حتّى لو أثمرت أرباحًا طائلة.

كانت الساعة التاسعة والنصف عندما عاد إلى شقّته. إرتدى لباس النوم، عند العاشرة، وفوقه ثوب جديد ابتاعه من أرماني. جلس على الكنبة وبيده كأس. شغّل جهاز التلفزيون ليستمع إلى نشرة الأخبار.

إهتزّت الكأس في يديه المرتجفتين، وانسكب محتواها على ثوبه فيما راح يحدّق في شاشة التلفزيون. لقد علم باكتشاف جثّة إيرين كيلي.

تساءل مايكل ناش بشفقة عمّا إذا كان يجدر به أن يعرض على آن تاير، جارته الشقراء الجديدة، جلسة تحليل نفسيّ مجّانيّة. فعندما غادر عيادته، في الساعة السادسة إلا عشر دقائق بعد الظهر من يوم الأربعاء، إلتقاها في مدخل البناية. كانت تتحدّث إلى البوّاب. ما إن رأته حتّى اندفعت لتقف إلى جانبه في انتظار المصعد. وفي خلال صعودهما، لم تتوقّف عن الكلام، لكأنّها كانت تسابق الوقت لتوقعه في شباكها، قبل أن يبلغا الطابق العشرين.

«لقد قصدتُ مطعم زابار اليوم حيث قدّموا لي أشهى طبق سلمون، ومعه طبق من المقبّلات. كان يُفترض بصديقتي موافاتي إلى هناك لكنّها لم تـأتِ. لم أتحمّل فكرة خسارة الطبق الشهيّ. كنتُ أتساءل...»

غير أنّ ناش قاطعها، قائلًا: «طبق السلمون عند زابار لا يُفوّت. إحتفظي به. فهو يبقى صالحًا للأكل بعد مرور بضعة أيام.»

لم تفُتْهُ نظرة حاجب المصعد المتعاطفة معه.

«رامون، أراك بعد قليل. سوف أخرج الليلة.»

تمنّى للآنسة تاير ليلة سعيدة، وتوارى في شقّته. فهو سيخرج الليلة، ولكن ليس قبل ساعة أو أكثر. وفي حال صادفها عند ذاك لربّما تكون قد فهمت الرسالة بأن تتركه وشأنه. قال عاليًا: «شخصيّة خاضعة، على الأرجح مصابة بالعُصاب، قد تُصبح شرّيرة إذا ما لقيت معارضة.» وقهقه ضاحكًا. «فلأنسَ أمرها. لقد انتهى دوام عملي.»

كان قد قرّر تمضية عطلة نهاية الأسبوع في بريدج واتر. فهو مدعوّ لتناول العشاء في اليوم التالي عند آل بالدرستون. لطالما كان ضيوفهم مثيرين للاهتمام. أمّا هو فكان ينوي استغلال قسم كبير من

اليومين المقبلين في العمل على كتابه. فهو متحمّس للمشروع بحيث باتت الدعوات تزعجه وتلهيه عنه.

قبيل مغادرته، طلب إيرين. إبتسم عندما سمع الرسالة المُسجّلة بصوتها المرح: «أنا إيرين. آسفة لأنّني لم أردّ على الاتّصال. الرجاء ترك رسالة».

«أنا مايكل ناش. آسف لأنّني لم أتمكّن من التحدّث إليك، إيرين. سأعاود الاتّصال بك في يوم آخر. يبدو لي أنّك لست في المدينة. آمل ألّا يكون والدك قد تعرّض لسوء.» ترك لها من جديد أرقام عيادته وشقّته.

لقد كانت الطريق إلى بريدج واتر ليلة الجمعة مُكتظّة بالسيّارات، كالمعتاد. ولم تتلاشَ الزحمة إلّا بعد أن تجاوز الطريق 80. بعد ذلك، وفيما كان يقطع ميلًا تلو ميل، بدأ يستمتع بطبيعة الريف. فأحسّ بالاسترخاء. وبعبوره بوّابة سكوتشايز، كان شعور بالهناء والسعادة يغمر كيانه.

لقد اشترى والد مايكل العقار عندما كان هذا الأخير في الحادية عشرة من عمره. مساحات شاسعة من الحدائق والغابات والحقول. حوض سباحة وملاعب كرة مضرب وإسطبل. شُيّد المنزل نُسخة عن قصر في بريتاني، فرنسا. جدران من الحجر، سطح من القرميد، مصاريع خضراء، وبوّابة رئيسة بيضاء. يتألّف المنزل من 22 غرفة. لم يستخدم مايكل نصفها إلى الآن. وقد عهد إلى الزوجين إيرما وجون هاغز بمهمّة إدارة المنزل.

كانت إيرما قد حضّرت العشاء وقدّمته في المكتب. إرتاح مايكل في كرسيّه الجلديّ المفضّل لمراجعة الفقرات التي سيضيفها في اليوم التالي إلى الفصل التالي من الكتاب. ويتناول في الفصل ذاك

المشاكل النفسيّة التي يعانيها الأشخاص الذين يردّون على الإعلانات، عبر إرسال صور لهم أُخذت منذ خمس وعشرين سنة. كذلك، يتطرّق إلى العوامل التي تدفعهم إلى القيام بذلك، وإلى كيفيّة تبرير فعلتهم، عندما يقابلون الشخص المعنيّ.

يستند مايكل، في تحليله، إلى تجارب عدد كبير من الفتيات اللواتي قابلهنّ. إثنتان منهنّ شعرتا بغضب شديد لدى اكتشاف الخدعة. وبعضهنّ الآخر وصفن اللقاء بالهزليّ.

عند العاشرة إلّا ربعًا، شغّل مايكل جهاز التلفزيون ليستمع إلى نشرة الأخبار، ثمّ عاد إلى قراءة ملاحظاته. غير أنّه ما لبث ان توقّف عن القراءة لدى سماع إسم إيرين كيلي، وحدّق في شاشة التلفزيون مذهولًا. رفع الصوت فملأ الغرفة صوت المذيع وهو يتلو الأخبار.

عندما انتهى التقرير، أطفأ مايكل جهاز التلفزيون، وجلس يُحدّق في الشاشة السوداء.

قال بصوت عال: «إيرين... مَن يا تُرى فعل هذا بكِ؟»

مساء الجمعة، توقّف دوغ فوكس في إحدى الحانات لاحتساء مشروب، قبل التوجّه إلى المنزل في سكارسدايل. وكانت تلك الحانة بالذات مُلتقى مُحبّي المشروب من وول ستريت. كالعادة، كان المكان مكتظًّا ولا أحد يعير اهتمامًا للتلفزيون. لذا، لم يرَ خبر اكتشاف الجثّة على الرصيف.

اعتادت سوزان، حين تكون أكيدة من حضوره إلى المنزل، إطعام الأولاد ومن ثمّ انتظاره لتناول العشاء معه. لكنّه، في تلك الليلة، وصل عند الثامنة فوجدها تقرأ في الحجرة الصغيرة. بالكاد رفعت عينيها لدى دخوله الحجرة، وأشاحت بوجهها عندما حاول تقبيلها على الجبين.

كان دوني وبيث قد قصدا السينما. أما تريش والطفل فغطّا في النوم. لم تعرض عليه العشاء بل عادت لتقرأ.

وقف دوغ في الحجرة للحظة، لا يدري ما يفعل أو يقول، ثمّ تركها ودخل المطبخ. قال في نفسه بحسرة: «تستقبلني بهذا الموقف يوم أعود جائعًا. هي غاضبة لأنّني لم أعد إلى المنزل لليلتين متتاليتين. والبارحة عدت في ساعة متأخّرة. فتح باب الثلّاجة. الطبخ كان الشيء الوحيد الذي أتقنته سوزان. شعر بغضب شديد. أقلّه أن تُحضّر له ما يأكله عندما تعرف بعودته إلى المنزل. أخرج القليل من اللحمة والجبنة وتوجّه إلى علبة الخبز. وقع نظره على الصحيفة المحلّية الأسبوعيّة الموضوعة على طاولة المطبخ. أعدّ سنوديشًا، سكب مشروبًا، وبدأ يتصفّح الصحيفة وهو يأكل. لفتت نظره صفحة الأخبار الرياضيّة. لقد هزم فريق سكارسدايل فريق دوبس فيري في المباراة ما بين المدارس. وقد سجّل السلّة الرابحة الثانية اللاعب دونالد فوكس.

دوني! لِمَ لم يخبره أحد؟

أحسّ دوغ بيديه تعرقان. هل جرّبت سوزان الاتّصال به ليلة الثلاثاء؟ لقد شعر دوني بالخيبة والحزن عندما عرف بأنّ والده لن يتمكّن من حضور المباراة. إعتادت سوزان أن تعرض عليه الاتّصال بدوغ ليزفّ الخبر إليه.

ليلة الثلاثاء. ليلة الأربعاء.

عاملة الهاتف الجديدة في الفندق لم تكن واحدة من أولئك الموظّفين الذين يقبلون ورقة المئة دولار في جيبهم، من وقت إلى آخر، ويردّدون ما يُمليه عليهم. «تذكّروا، في حال وردني اتّصال في

غيابي، أنا في اجتماع. وإذا أتى الاتّصال في ساعة متأخّرة، قولوا إنّني أعطيت أمرًا بعدم إزعاجي.»

أمّا عاملة الهاتف الجديدة فحريّ بها أن تبرهن عن الأخلاق والمبادئ. كان دوغ يتساءل عن كيفية إقناعها بالكذب لصالحه، غير أنّه لم يُعِر الأمر اهتمامًا. فهو قد درّب سوزان على الامتناع عن طلبه عندما يكون في المدينة لقضاء بعض الأعمال.

ومع ذلك، فقد اتّصلت به ليلة الثلاثاء. وكان واثقًا من ذلك. وإلّا، لكانت أقنعت دوني بالاتّصال به في المكتب بعد ظهر يوم الأربعاء. وعلى الأرجح، أبلغتها عاملة الهاتف الغبيّة بأنّه ليس في اجتماع وبأنّ الجناح المخصّص للشركة خالٍ.

جال دوغ بنظره في أرجاء المطبخ. لقد كان نظيفًا ومرتّبًا. فالزوجان قد أعادا تجديد المنزل بعد شرائه منذ ثماني سنوات. كان أشبه بحلم لكلّ طاهٍ. فيه أحدث الأجهزة الكهربائيّة. كان والد سوزان قد أقرضهما المال للتجديد. أقرضهما المال ولم يعطهما إيّاه.

ماذا لو كانت سوزان حانقة؟

رمى دوغ بقيّة السندويش ودخل الحجرة الصغيرة، ويده المشروب.

رأته سوزان يدخل، وقالت في نفسها: «زوجي الوسيم». لقد تعمّدت ترك الصحيفة على الطاولة ليقرأها. «لا شكّ في أنّه الآن قلق ومضطرب. فهو قد علم أنّني لربّما اتّصلت بالفندق ليزفّه دوني الخبر. غريب. عندما يواجه المرء الحقيقة، يتّضح له كلّ شيء.»

جلس دوغ على الكنبة قبالتها. «يخشى أن أفتح النقاش.» أمسكت بكتابها ووقفت. قالت له: «سوف يعود الأولاد قرابة العاشرة والنصف. سأكمل القراءة في السرير.»

«سأكون في انتظارهم، عزيزتي.»

«عزيزتي!» لا شكّ في أنّه قلق.

جلست سوزان في السرير تقرأ. لم يسعها التركيز، فوضعت الكتاب جانبًا وشغّلت التلفزيون.

دخل دوغ الغرفة مع بدء نشرة أخبار الساعة العاشرة. «أشعر بالوحدة في الطابق السفليّ.» جلس على السرير وأمسك بيدها. «كيف حال صغيرتي؟»

أجابته سوزان: «سؤال وجيه. كيف حالها؟»

حاول اعتبار تعليقها مزحة. رفع لها ذقنها وقال: «تبدو لي بحال جيّدة.»

والتفت كلاهما إلى الشاشة، فيما المذيع يتلو عناوين النشرة. «إيرين كيلي، مصّممة مجوهرات لامعة، قد وجدت مخنوقة على رصيف الشارع السادس والخمسين. ترقّبوا التفاصيل، بعد الإعلان.»

نظرت سوزان إلى دوغ بطرف عينها. كان يحدّق إلى شاشة التلفزيون شاحب اللون. سألته: «دوغ، ما الخطب؟»

لكأنّه لم يسمع سؤالها.

«...ويواصل رجال الشرطة البحث عن بيتي بوترز، وهو متسكّع كان يسكن في تلك الخيمة، وقد يكون رأى الجثّة لحظة رميها على ذاك الرصيف البارد.»

إنتهى التقرير فالتفت دوغ إلى سوزان. ردّ عليها كما لو أنّه سمع سؤالها للتوّ «لا شيء. لا شيء». لكنّه كان يتصبّب عرقًا.

عند الثالثة صباحًا، استيقظت سوزان من النوم على تململ دوغ إلى جانبها. كان يتمتم بكلام غير مفهوم. هل لفظ اسمًا ما؟

«لا... لا يُعقل... لا أصدّق...» الاسم من جديد. جلست سوزان في السرير وراحت تصغي بتركيز.

إيرين. ذاك كان الاسم الذي لفظه. إسم الشابّة التي وجدت مقتولة.

كانت على وشك إيقاظ دوغ عندما توقّف فجأة عن الكلام. في تلك الساعة، أدركت سوزان، برعب شديد، سبب حزنه لسماع الخبر. لا شكّ في أنّه ربط الحادثة بالجريمة التي وقعت ضحيّتها، في الماضي، واحدة من زملائه في الجامعة، وقد استُدعي، مع آخرين من الطلّاب، للشهادة.

السبت 23 فبراير

صباح السبت، إنكبّ تشارلز على قراءة صحيفة نيويورك بوست بشغف شديد. لقد كان العنوان الرئيسيّ «القاتل المُقلّد». وفي الصفحات الداخليّة للمقال، عرضٌ لنقاط التشابه بين مقتل كلّ من إيرين كيلي ونان شيريدان، الذي تناوله برنامج «جرائم واقعيّة».

فقد علم أحد مراسلي الصحيفة المكلّف التحقيق بأمر الرسالة التي بعث بها مجهول إلى والدة نان شيريدان، يُعلمها بالمقتل الوشيك لشابّة من نيويورك. بحسب المراسل، الذي استقى معلوماته من مصادر غير محدّدة، فإنّ الأف. بي. أي. كانت تتعقّب أثر القاتل المحتمل.

وأشار المقال إلى أنّ السنتين الماضيتين قد شهدتا اختفاء سبع شابّات من مانهاتن، بعد أن قمن بالردّ على إعلانات شخصيّة. وكانت إيرين كيلي هي أيضًا تردّ على ذاك النوع من الإعلانات.

كما عرض التقرير ظروف مقتل نان شيريدان بالتفصيل، ولمحة عن ماضي إيرين كيلي، بالإضافة إلى بعض المقابلات مع زملاء لها في مجال تصميم المجوهرات. وقد أجمعوا كلّهم على أنّ إيرين كانت وحودة مُحبّة وموهوبة. أمّا الصورة التي نشرتها لها الصحيفة فكانت تلك التي كانت قد أرسلتها إلى تشارلي، ما أبهج هذا الأخير.

سوف تُعاد حلقة «جرائم واقعيّة» المتعلّقة بمقتل نان ليلة الأربعاء. لا شكّ في أنّها ستكون مثيرة. يجدر به مشاهدتها. صحيحٌ أنّه قام بتسجيلها حين عُرضَت الشهر الماضي. مع ذلك، سوف يستمتع بمشاهدتها من جديد، وهو يعلم أنّ ألوف الأشخاص سيؤدّون مهمّة التحرّي الهاوي. مَن ارتكب الجريمة؟ من يكون المجرم الذكيّ الذي نجا بفعلته؟

قطّب تشارلي عابسًا. القاتل المقلّد. ما يعني أنّ أحدًا ما كان يُقلّد القاتل. إنتابه غضب شديد. لا يحقّ لهم أن ينتزعوا منه ما يعود إليه. مثلما لم يكن لنان الحقّ في الامتناع عن دعوته إلى حفلة عيد ميلادها، منذ خمس عشرة سنة.

قرّر العودة إلى ذاك المخبأ السرّي في الأيّام القليلة التي تلت. أحسّ بضرورة أن يكون هناك. سوف يُشغّل جهاز الفيديو، ويرقص على إيقاع أستير. لكنّه هذه المرّة لن يضمّ بين ذراعيه جينجر أو ليسلي أو آن ميلر.

تسارعت ضربات قلبه. لن تكون نان بين ذراعيه هذه المرّة. بل دارسي.

أمسك بصورة دارسي، وراح يتأمّل شعرها البنّي الناعم، وقامتها المشيقة، وعينيها الواسعتين.

كم سيكون هذا الجسد أروع، عندما سيحمله باردًا ومتصلّبًا!

قطّب، عابسًا، من جديد. إنتابه غضب عارم بدأ يسبّب له صداعًا. أنا، تشارلي، أنا وحدي أملك سلطان الحياة والموت على النساء أولئك. أنا، تشارلي، أخترق سجن الروح الأخرى وأسيطر عليها كما أشاء.

سيأخذ دارسي ويسلبها الحياة، كما فعل مع الأخريات. وسيحيّر السلطات بذكائه، ويربك عقول المحقّقين المتعَبة.

القاتل المُقلّد.

يجدر بمن أطلق هذه الصفة أن يرى عُلَب الأحذية، في الطابق السفليّ من منزله، فيتّضح له كلّ شيء. تلك العُلَب التي احتوت على «فردتي» الحذاء غير المتناسقتين والمطابقتين للّتين وجدتا في أقدام الضحايا، بدءًا بِنان.

ليس في الأمر أيّ تقليد. كان أكيدًا من وجود وسيلة تُثبت ذلك. راح يضحك ضحكة صامتة حزينة.

طبعًا. ثمّة وسيلة لإثبات ذلك.

من السبت 23 فبراير
إلى الثلاثاء 26 منه

خلال الأسبوع الذي تلى ذهابها إلى المشرحة، كانت دارسي أشبه بإنسانٍ آليّ تَمّت برمجته لتأدية مهامَّ محدّدةٍ.

فقد قصدت يوم السبت شقّة إيرين، يرافقها فينس دامبروزيو وتحرٌ من الدائرة المحليّة. تحقّقت من آلة تسجيل المكالمات، فتبيّن لها أنّ إيرين تلقّت ثلاثة اتّصالات إضافيّة بعد أن مرّت هي بالشقّة، يوم الجمعة. أعادت دارسي شريط المكالمات المُسجّل. لقد ورد أحدها من مدير محلّ برتوليني. «آنسة كيلي، لقد سلّمنا مدير أعمالك، السيّد ستراتون، الشيك العائد إليك. ولا يسعني وصف رضانا الكبير عن القلادة.»

رفعت دارسي حاجبيها وقالت: «لم تذكر إيرين في حضرتي يومًا إسم ستراتون مديرًا لأعمالها». كان الاتّصال الثاني من شخص عَرّف بنفسه أنّه صاحب صندوق البريد 2695. «إيرين، أنا ميلتون. لقد خرجنا معًا الشهر الماضي. ثمّ سافرت. أودّ مقابلتك من جديد. رقم هاتفي 555-3681. إسمعي، آسف إن بدوت مِلحاحًا بعض الشيء في المرّة الأخيرة حين تقابلنا.»

الاتّصال الثالث كان من مايكل ناش. قالت دارسي: «هو أيضًا ترك رسالة في تلك الأمسية.»

من ناحيته، قامَ فينس بنسخ الأسماء وأرقام الهاتف. «سوف نترك آلة تسجيل المكالمات موصولة في الأيّام القليلة المقبلة.»

كان فينس قد أعلم دارسي بوصول فريق من المحقّقين الجنائيّين من قسم شرطة نيويورك إلى شقّة إيرين، بحثًا عن أدلّة محتملة. فسألته عن إمكانيّة مرافقته إلى الشقّة لإحضار أوراق إيرين الشخصيّة. قالت له: «يرد اسمي على حسابها المصرفيّ وبوالص التأمين بصفتي وصيّة على والدها. علمتُ منها أنّها وضعت الأوراق في ملفّها، تحت اسمه.»

كانت تعليمات إيرين بسيطة وصريحة. ففي حال أصابها مكروه، تستخدم دارسي التأمين العائد إليها لتسديد نفقات والدها في المصحّ. كانت إيرين قد اتّفقت مع مدير الشؤون الجنائزيّة، في ويليسلي، على إجراء الترتيبات اللازمة لدفن والدها. كما أوصت بانتقال كلّ ما وجد في شقّتها، بالإضافة إلى مجوهراتها الشخصيّة وملابسها إلى دارسي سكوت.

تركت رسالة موجزة لدارسي: «دارس، أنا أستبق الأمور. لكنّني واثقة من أنّك ستفين بوعدك وتهتمّين بأبي في حال وفاتي. وإذا ما حصل ذلك، أودّ أن أشكركِ على الأوقات الجميلة والمسلّية التي أمضيناها معًا، وكوني سعيدة لكلتينا».

نظرت دارسي إلى التوقيع المألوف بدون أن تذرف دمعة.

قال لها فينس: «آمل أن تعملي بنصيحتها.»

«سأفعل يومًا ما. ولكن ليس الآن. هلا زوّدتَني بنسخة عن ملفّ الإعلانات الشخصيّة الذي أعطيتك إيّاه؟»

@ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد ٤٤

أجابها فينس: «بكلّ تأكيد، ولكن، لماذا؟ سوف نراقب تحرّكات الأشخاص أصحاب الإعلانات الذين وضعت إيرين إشارة إلى جانب أسمائهم وعناوينهم.»

«لكنّك لن تواعدهم. فهي قد ردّت على بعض الإعلانات باسمنا نحن الإثنتين. لربّما أتلقّى اتّصالات من أشخاص قاموا بدعوتها للخروج.»

تركت دارسي الشقّة مع وصول فريق المحقّقين الجنائيّين. قصدت منزلها مباشرة، وبدأت تجري الاتّصالات الهاتفيّة. مدير الشؤون الجنائزيّة في ويليسلي. في البداية، قدّم تعازيه ثمّ انتقل إلى التفاصيل العمليّة. سوف يُرسل سيّارة دفن الموتى إلى المشرحة عند الإفراج عن جثّة إيرين. سأل دارسي عن الملابس التي ستلبسها الراحلة، وهل سيكون التابوت مكشوفًا.

فكّرت دارسي في الكدمات على عنق إيرين. لا شكّ في أنّ الوسائل الإعلاميّة ستغطّي الجنازة. فأجابته: «أفضّل تابوتًا مقفلًا. أمّا الملابس، فأحضرها أنا.» سهرة جنائزيّة ليلة الإثنين، والجنازة يوم الثلاثاء، في كنيسة القدّيس بولس.

كنيسة القدّيس بولس. لقد قصدتها دارسي مع إيرين وبيلي في يوم من الأيّام.

عادت إلى شقّة إيرين. فينس دامبروزيو كان ما يزال هناك. رافقها إلى غرفة النوم ووقف يتأمّلها وهي تفتح خزانة الملابس.

علّقت دارسي، وهي تبحث عن الفستان الذي وقع عليه خيارها: «كانت إيرين تتمتّع بذوق رفيع. لطالما ذكّرتني بذاك اليوم، عندما دخلتُ مع والديّ الغرفة التي تشاركناها في المدينة الجامعيّة.

يومها، كانت والدتي قد أرغمتني على ارتداء بزّة رسميّة وانتعال جزمة إيطالية، ما جعل إيرين تشعر بأنّها بعيدة كلّ البعد عن الموضة. مع أنّها بدت لي أنيقة بالبنطال والكنزة التي كانت ترتديها والمجوهرات الرائعة، من تصميمها، التي كانت تضعها».

كان فينس مستمعًا جيّدًا. شعرت دارسي بالامتنان له لأنّه ترك لها المجال للتكلّم.

«لا أحد سيراها، ما عداي أنا. لدقيقة واحدة. لكنّني أودّ أن أشعر بأنّها كانت لترضى عمّا اخترته لها. لطالما حثّتني إيرين على انتقاء ملابس أكثر جرأة لي. أمّا أنا فعلّمتها أن تكون طبيعيّة. فهي تتمتّع بذوق رفيع.»

سحبت من الخزانة ثوب سهرة من قطعتين: سترة بلون الزهر الشاحب، مزيّنة بأزرار فضّيّة، وتنّورة من الموسلين الزهري والفضّي.

قالت دارسي لفينس: «لقد اشترت الفستان لعشاء خيريّ. كانت راقصة ماهرة. وهذه هواية أخرى مشتركة في ما بيننا ونونا أيضًا. فقد التقينا هذه الأخيرة في صفّ للرقص، في النادي الرياضيّ الذي اعتدنا الذهاب إليه.»

تذكّر فينس أنّ نونا أخبرته عن لقائها الفتاتين. «بحسب ما عرفتُ منك، أستنتج أنّ إيرين كانت لترتدي هذا الفستان الآن.»

أقلقه وضع دارسي. أحسّ برغبة في الاتّصال بنونا. هذه الأخيرة كانت قد أبلغته حضورها تصوير بعض اللقطات في نانويت اليوم. لا يجب ترك دارسي سكوت وحيدة طويلًا.

قرأت دارسي فكر دامبروزيو، وأدركت أنّها، عبثًا، تطمئنه. يجدر بها الخروج من الشقّة وإفساح المجال لخبراء البصمات وغيرهم

لتأدية واجبهم. سألته: «ماذا ستفعلون لإيجاد الرجل الذي كانت إيرين على موعد معه ليلة الثلاثاء؟»

«نحن نعلم من يكون تشارلز نورث. لقد تحقّقنا ممّا قالته لك إيرين عنه. فقد انتقل الشهر الماضي من مكتب محاماة في فيلادلفيا إلى آخر، في بارك أفينيو. ترك البلاد بالأمس إلى ألمانيا. سنكون في انتظاره لدى عودته يوم الإثنين. في هذه الأثناء، يجوب التحرّون من هذه الدائرة الحانات في منطقة واشنطن سكوير حاملين صورة إيرين. نريد التأكّد ممّا إذا كان نادلًا ما قد يتذكّر رؤيتها، مساء الثلاثاء، ويتعرّف إلى نورث، عندما نعثر عليه.» هزّت دارسي رأسها وقالت: «سأذهب إلى ويليسلي وأبقى هناك إلى ما بعد الجنازة.»

«هل ستوافيك نونا روبرتس إلى هناك؟»

«صباح الثلاثاء. لا يمكنها الذهاب قبل ذلك الحين.»

حاولت دارسي الابتسام وقالت: «أرجوك، لا داعيَ للقلق. كثرٌ أصدقاء إيرين. وقد راسلني عددٌ كبير من قدامى ماونت هوليوك. جميعهم سيحضرون الجنازة. وكذلك أصدقاؤنا من نيويورك. لقد تزعرت إيرين في ويليسلي. فسأقيم هناك لدى جيرانها المقرّبين.»

عادت إلى منزلها لتوضيب حقيبتها، وإذ بها تتلقّى اتّصالًا من أستراليا، من والديها.

«عزيزتي، نأسف لأنّنا لسنا بجانبك. لطالما اعتبرنا إيرين إبنتنا الثانية.»

أعرف... نأسف لأنّنا لسنا بجانبك. كم مرّة سمعت هذه العبارة على مرّ السنوات؟ أعياد الميلاد، التخرّج... لكنّهما كانا معها في مناسبات عديدة. أيّ طفل آخر كان ليُسرّ بوالدين من المشاهير. لماذا تمنّت طوال حياتها أن تحظى بطفولة عاديّة، مثل غيرها من الأولاد؟

«يسرّني التحدّث إليكما. ما أحوال المسرحيّة؟»

شكّلت مراسم الجنازة حدثًا إعلاميًّا بامتياز وقد غصّ المكان بالجيران والاصدقاء، كما بالفضوليّين.

أعلمها فينس بوجود كاميرات خفيّة سوف تُسجّل حضور كلّ شخص إلى السهرة الجنائزيّة وإلى الكنيسة، في حال كان قاتل إيرين هناك.

كانت كلمة مؤثّرة للكاهن الأشيب الذي عرف إيرين منذ صغرها. «مَن قد ينسى منظر تلك الفتاة الصغيرة وهي تدفع والدها على كرسيه، داخل هذه الكنيسة؟»

بعد الظهر من يوم الثلاثاء، عادت نونا ودارسي إلى نيويورك. في الطائرة، نصحتها نونا قائلة: «هلا أخذت بضعة أيّام من الراحة، دارس؟ لقد عشتِ أوقاتًا عصيبة في الآونة الأخيرة».

«ما إن أعلم بتوقيف تشارلز نورث حتّى أترك المدينة لأسبوع كامل. فقد دعاني بعض الأصدقاء إلى زيارتهم في ساينت توماس.»

ردّت عليها نونا بشيء من التردّد: «دارسي، اتّخذت الأمور مجرى مختلفًا. إتّصل بي فينس البارحة. لقد عثروا على تشارلز نورث. ليل الثلاثاء الماضي، كان في اجتماع لمجلس الإدارة في مكتب المحاماة العائد إليه، مع عشرين شريكًا. الرجل الذي خرج مع إيرين انتحل اسمه.»

شاهد كريس نشرة الأخبار، وتحدّث إلى مفوّض الشرطة مور. ثمّ قرّر الذهاب إلى داريين لتمضية عطلة نهاية الأسبوع. فضّل أن يكون

هناك عندما يأتي محقّقو الأف. بي. أي. لمقابلة والدته. كان على علم بأنّ هذه الأخيرة ستتعشّى الليلة في النادي. لذا، توقّف في أحد المطاعم لتناول الطعام، ووصل إلى المنزل قرابة العاشرة. قرّر مشاهدة فيلم. لقد كان يهوى الأفلام الكلاسّيكيّة القديمة، فوقع خياره على فيلم «جسر سان لويس راي». لطالما حيّرته فكرة تلاقي شخصين في فترة معيّنة من الحياة. ما كان دور القدر؟ وما كان دور الصدفة؟ وهل كان من خطّة حتميّة تتحكّم بهذا كلّه؟

فيما كان غارقًا في أفكاره وتساؤلاته، سمع صرير باب المرآب قبيل منتصف الليل. نزل إلى الطابق السفليّ لاستقبال غريتا، وقد تأسّف، مرّة أخرى، لكونها تعيش وحيدة. ففكرة أن تعود إلى ذاك المنزل الكبير بمفردها في ساعة متأخّرة كانت تثير قلقه. غير أنّ غريتا كانت ترفض رفضًا قاطعًا استخدام مرافِقة للبقاء معها. إكتفت بمدبّرة المنزل دوروثي التي كانت في خدمتها منذ ثلاثين سنة، بالإضافة إلى عاملة التنظيفات التي كانت تحضر مرّة في الأسبوع. وفي حال دعت أحدهم لتناول العشاء، استعانت بمتعهّد تقديم المأكولات، وكان ممتازًا. لم تكن بحاجة إلى شخص إضافيّ.

فيما تقدّمت من السلالم المؤدّية إلى الطابق العلويّ، ناداها كريس قائلًا: «مرحبًا، أمّي». إنتفضت لدى سماعها صوته وقالت: «يا إلهي! كريس. لقد أخفتني، وأنا كتلة من الاعصاب المتشنّجة». رفعت عينيها وحاولت الابتسام: «سُررت لرؤية سيّارتك.»

راح ينظر إلى وجهها الرفيع في الضوء الخافت فتذكّر وجه نان الرقيق الناعم. كانت قد عقصت شعرها الأشيب إلى الوراء وألقت على كتفيها سترة سوداء خفيفة، بينما ارتدت ثوبًا من المخمل طويلًا

وضيّقًا. قريبًا سوف تكمل عامها الستّين. كانت سيّدة جميلة وأنيقة لم تخْفِ ابتسامتُها يومًا الحزنَ الساكن في عينيها.

أدرك كريس فجأة أنّ والدته كانت دومًا في حالة من الترقّب، تنتظر خبرًا أو إشارة ما. عندما كان طفلًا، أخبره والده قصّة حصلت في الحرب العالميّة الثانية. كانت عن جندي أضاع رسالة تُفيد عن هجوم وشيك للعدو، فما كان منه إلّا أن لام نفسه على الإصابات التي تكبّدها جيشه جرّاء إهماله. وأمضى حياته يبحث عن الرسالة تحت الصخور وفي الحُفر.

فيما كان كريس يحتسي كأسه الأخير، أخبر غريتا قصّة إيرين كيلي، وفَهِم سبب مقارنتها الحالتين. فغريتا لطالما اعتبرت أنّ نان قد أسرّت لها قبل مقتلها بما شابه إنذارًا بحدوث أمر ما. وفي الأسبوع الماضي، تلقّت مرّة أخرى إنذارًا وكانت عاجزة عن منع الكارثة. سألت غريتا كريس: «هل كانت الفتاة المقتولة تنتعل حذاء سهرة عالي الكعب؟ مثل نان؟ حذاء للرقص؟ فالرسالة التي تلقّيتُها تتحدّث عن مقتل فتاة تهوى الرقص.»

إنتقى كريس كلماته بعناية وأجابها: «كانت إيرين كيلي مصمّمة مجوهرات. وحسب ما فهمت من القضية، فإنّ الجريمة مُقلّدة، إستوحى المجرم تفاصيلها من برنامج «جرائم واقعيّة». وسوف يحضر محقّق من الأف. بي. أي. إلى هنا للتحدّث معنا عن الموضوع».

إتّصل مفوّض الشرطة مور، يوم السبت، بمنزل شيريدان، وأبلغهم برغبة فينس دامبروزيو، وهو عميل من الأف. بي. أي.، في مقابلتهما.

شعر كريس بامتنان كبير لدامبروزيو الذي أكّد لغريتا أنّ الشرطة ما كانت لتقوم بأيّ تحرّك ردًّا على الرسالة التي تلقّتها. فقال لها: «سيّدة

شيريدان، نتلقّى يوميًّا إشارات أكثر تحديدًا من تلك التي تلقّيتها، ومع ذلك، نبقى عاجزين عن تجنّب الكارثة.»

سأل فينس كريس أن يرافقه إلى الخارج، وقال له: «تحتفظ شرطة داريين بالملفّات المتعلّقة بوفاة أختك. سوف يمرّرون لي نسخة منها. هل تمانع في اصطحابي إلى المكان حيث وجدت جثّتها؟»

سار الرجلان على الطريق الممتدّة من منزل آل شيريدان إلى الغابة. لقد انقضت خمس عشرة سنة، وها الأشجار تزيد ارتفاعًا وأغصانها تزداد كثافة. علّق كريس بالقول: «مع ذلك، يبقى المكان على حاله.»

ظروف الجريمتين على طرفي النقيض: منظر ريفيّ في مدينة يسكنها الأثرياء، على عكس أحد أرصفة ويست سايد المقفِرة المهجورة. لقد كانت نان شيريدان في التاسعة عشرة من العمر. طالبة. تمارس رياضة الهرولة. أمّا إيرين كيلي، فشابّة في الثامنة والعشرين من العمر، ناجحة في عملها. تحدّرت نان من عائلة ميسورة. إيرين، من ناحيتها، عاشت مستقلّة عن أهلها، تكسب رزقها بنفسها. أمّا نقطتا التشابه الوحيدتان بين الفتاتين فتتمثّلان في طريقة موتهما، وفي الحذاء الذي انتعلته كلّ منهما. فقد قضتا خنقًا، ووجدت قدمُ كلّ منهما في حذاء سهرة. سأل فينس كريس ما إذا كانت نان، في أثناء الدراسة، قد تواعدت مع شبّان عن طريق الإعلانات الشخصيّة.

إبتسم كريس وردّ عليه: «صدّقني، لقد كانت نان مُحاطة بما يكفي من الشبّان. لذا، لم تكن بحاجة إلى الإعلانات للخروج مع أحدهم. أضف إلى أنّ الإعلانات الشخصيّة لم تكن ظاهرة رائجة في فترة دراستنا الجامعيّة.»

«هل قصدتَ جامعة براون؟»

«نان قصدتها. أنا كنت في جامعة ويليامز.»

«أفترض أنّ الشرطة قد استجوبت الشبّان الذين اعتادت الخروج معهم.»

كانا يشقّان طريقهما في الغابة. فجأة، توقّف كريس وقال: «لقد وجدتها هنا، في هذا المكان». أدخل يديه في جيب المعطف وأضاف: «لم تحبّذ نان يومًا فكرة التعلّق بشابّ واحد، بل فضّلت أن تتسلّى وأن تُكثر من العلاقات الغراميّة. لم تُفوّت حفلة إذ أنّها كانت تعشق الرقص».

إستدار فينس لمواجهته وقال: «هذا مهمّ. أنت أكيد من أنّ حذاء السهرة الذي انتعلته أختك يوم مقتلها لم يكن لها؟».

«أكيد من ذلك. فَنان لم تُحبَّ يومًا الأحذية العالية الكعب. لذا، لم تكن لتشتري ذاك الحذاء. كما أنّنا لم نجد أيّ أثر لفردة الحذاء الثانية في خزانتها.»

في طريق عودته إلى نيويورك، واصل فينس مراجعة نقاط التشابه والاختلاف بين نان شيريدان وإيرين كيلي. حتمًا، الجريمة مُقلّدة. فتاة تهوى الرقص. هذا ما كان يحيّره. الرسالة التي تلقّتها غريتا شيريدان. لم تُفوّت نان شيريدان أيّ حفلة أو رقصة. هل ذُكر ذلك في برنامج «جرائم واقعيّة»؟ لقد التقت إيرين كيلي نونا روبرتس في صفّ للرقص. هل في الأمر مصادفة؟

بعد ظهر يوم الثلاثاء، قام فينسنت دامبروزيو باستجواب تشارلز نورث للمرّة الثانية. وكان هذا الأخير قد وصل مساء الإثنين إلى مطار كينيدي حيث كان في انتظاره عميلان من الأف. بي. أي.، ما أثار دهشته وغضبه.

«لم أسمع يومًا بالمدعوّة إيرين كيلي. لم أردّ يومًا على إعلان شخصيّ. إنّها ظاهرة سخيفة. لا أعرف من انتحل اسمي للقيام بذلك.»

كان سهلًا تأكيد حضور نورث اجتماعًا لمجلس الإدارة عند السابعة من مساء الثلاثاء الفائت، الساعة التي كان يُفترض بإيرين مقابلته فيها.

هذه المرّة، تمّ الاستجواب في المقرّ الرئيسيّ للأف. بي. أي. كان نورث متوسّط الطول ممتلئ الجسم. أمّا وجهه المتورّد بعض الشيء، فَدلّ على احتسائه المشروب. غير أنّ فينس رأى في مظهره شيئًا من الأناقة المتسلّطة التي قد تجذب النساء وتغويهنّ. يبلغ من العمر أربعين سنة، وقد طلّق زوجته بعد اثني عشر عامًا من الزواج.

لم يُخفِ على كريس امتعاضه من فكرة المثول أمامه للمرّة الثانية. وقال: «آمل منك أن تتفهّم وضعي المهنيّ الجديد. فقد أصبحتُ شريكًا في مكتب محاماة معروف. ولن أُحسَد على وضعي في حال ارتبط اسمي بأيّ شكل كان بمقتل تلك الشابّة. ففي ذلك إحراج لي على المستوى الشخصيّ كما للمكتب.»

قال له فينس بنبرة باردة: «آسف لإحراجك سيّد نورث. أوكّد لك أنّ الشرطة لا تعتبرك في الوقت الراهن مشتبهًا به في مقتل إيرين كيلي. لكنّ الشابّة قد قُتلت. راحت ضحيّة جريمة مروّعة. ثمّة احتمال أن تكون واحدة من النساء اللواتي رددن على الإعلانات الشخصيّة ومن ثمّ اختفين. لقد استخدم أحدهم اسمك لوضع ذلك الإعلان. شخص ذكيّ، تدبّر اللقاء مع إيرين كيلي بالتزامن مع مغادرتك مكتب فيلادلفيا.»

ردّ عليه نورث بحدّة: «ولِمَ قد يبدو ذلك مهمًّا في القضيّة؟»

«لأنّ بعض النساء اللواتي اعتدن الردّ على الإعلانات الشخصيّة ذكيّات بما يكفي للتحقّق من وضع الرجل الذي سيخرجن معه. لنفترض أنّ إيرين كيلي كانت واحدة منهنّ. أيّ اسم ينتحله المجرم يكون أفضل من اسم شخص ترك للتوّ مكتب المحاماة حيث يعمل في فيلادلفيا وانتقل للعمل في نيويورك. لنفترض أنّ إيرين بحثت عن اسمك في سجلّ نقابة المحامين، في بنسلفانيا، واتّصلت بمكتبك السابق. في تلك الحالة، كانت ستعرف أنّك تركت المكتب وانتقلت إلى نيويورك. كان بإمكانها أن تتأكّد من أنّك مُطلّق ولا تشكّ، بعد ذلك، في أنّها ستلتقي تشارلز نورث.»

مال فينس بعض الشيء إلى الأمام وأضاف: «سيّد نورث، أنت مرتبط، بشكل أو بآخر، بمقتل إيرين كيلي. فثمّة من انتحل اسمك، وهو مطّلع على أنشطتك وأعمالك. لقد جمعنا بعض الأدلّة التي قد تفيدنا. سوف نتّصل بالأشخاص أصحاب الإعلانات التي قد تكون إيرين كيلي قد ردّت عليها. كما سنستجوب أصدقاءها لنعرف ما إذا كانت قد ذكرت أمامهم أسماء لا نعرفها. وسوف نعود إليك لنعرف ما إذا كان الشخص الذي انتحل اسمك على صلة بك».

وقف نورث وقال: «يبدو لي أن لا أحد يسألني رأيي. سؤال بعد. هل سُرّب اسمي إلى وسائل الإعلام؟»

«لا، لم يُسرّب.»

«إذًا، إحرصوا على عدم تسريبه. وعندما تتّصل بي في المكتب، لا تقل إنّك من الأف. بي. أي.، بل قل إنّك تحتاجني لمسألة شخصيّة.»

غادر نورث، وارتاح فينس في مقعده. «لا يُعجبني الأشخاص الواثقون من أنفسهم إلى هذه الدرجة.» ضغط على الهاتف الداخليّ.

«بيتسي، أريد نبذة كاملة عن تشارلز نورث. كلّ شيء عنه وعن شخص آخر يُدعى غاس بوكسر، المراقب في مبنى 101 كريستوفر ستريت حيث كانت إيرين كيلي تسكن. فأنا مرتاب بأمره منذ السبت. أنا متأكّد من وجود ملفّ له عندنا.»

نقف فينس بأطراف أصابعه وقال: «مهلًا. هذا ليس اسمه. الآن تذكّرت. هوفمان. لقد كان مراقب المبنى منذ عشر سنوات، عندما قُتلت شابّة في العشرين من عمرها».

عاد الدكتور ناش إلى منهاتن ليل الأحد، ولم يتفاجأ لدى استعادته الرسالة المسجّلة التي تُبلغه بضرورة الاتّصال بعميل الأف. بي. أي.، فينسنت دامبروزيو. من الواضح أنّ المحقّقين كانوا يقتفون أثر الأشخاص الذين تركوا رسائل لإيرين كيلي.

إتّصل صباح الإثنين، واتّفق مع فينس على المقابلة في عيادته، قبل موعده الأوّل يوم الثلاثاء.

وصل فينس إلى عيادة ناش عند الثامنة والربع من صباح الثلاثاء. كانت مساعِدة ناش في انتظاره، فقادته إلى مكتب هذا الأخير.

الغرفة مميّزة. كراسٍ مريحة، وجدران مطليّة بالأصفر، وستائر سمحت لضوء النهار بالتسلّل، بينما حجبت الجالسين عن أعين المارّة على الرصيف.

الكنبة التقليديّة. وفي الزاوية اليمنى من المكتب، الكرسيّ الجلديّ الطويل. غرفة مريحة. أمّا الرجل الجالس وراء المكتب فبدا، هو أيضًا، ودودًا وحسن الانتباه. في تلك اللحظة، استرجع فينس ذكرى بعد الظهر من أيّام السبت، يوم الاعتراف. «إغفر لي أبتاه لأنّني

خطئت.» خطايا تراوحت بين عصيان الوالدين والتلفّظ بالشتائم في سنوات المراهقة.

لطالما انزعج ناش من سماع أحدهم يقول إنّ التحليل النفسيّ قد حلّ محلّ الاعتراف. فكان يردّ: «في الاعتراف يلوم الإنسان نفسه. أمّا في التحليل النفسيّ فيلقي باللوم على الآخرين.» وقد عزّزت شهادة الماجيستير التي نالها في علم النفس وجهة نظره تلك.

لم يخفَ على فينس أنّ ناش قد أدرك شعور العِداء الذي يكنّه لمعظم المحلّلين النفسيّين. لا شكّ في أنّه أدركه، لا بل تفهّمه.

وقف الرجلان يتفحّص أحدهما الآخر. أُعجب فينس بمظهر الطبيب. كان أنيقًا ورصينًا في هندامه. أمّا هو، فلم يُحسن يومًا مطابقة ربطة العنق مع البزّة. كانت أليس تنتقي له ربطات العنق المناسبة. على أيّ حال، لم يكن يُعر الأمر اهتمامًا. فقد كان يفضّل ارتداء ربطة عنق بنّيّة اللون مع بزّة كحليّة، على أن يتحمّل تعليقاتها المتواصلة. «لِم لا تترك الأف. بي. أي. وتتدبّر وظيفة تعود عليك بأجر أعلى؟»

اليوم، تناول ربطة العنق الأقرب وربطها في المصعد. كانت بنيّة وخضراء. أمّا البزّة التي ارتداها فكانت مقلّمة بلون الكحليّ.

بعد طلاقها من فينس، تزوّجت أليس مالكوم دروكر. هذا الأخير كان ينتقي ربطات العنق والبزّات الفاخرة. وقد علم فينس من هانك، مؤخّرًا، أنّ مالكوم يرتدي قياس 52.

كان ناش أنيقًا في سترة من قماش التويد الرماديّ وربطة عنق باللونين الأحمر والرماديّ. كان وسيمًا. ذقن عريضة وعينان غائرتان. بشرة تركت عليها الشمس القليل من لونها.

تطرّق فينس إلى موضوع المقابلة بلا لفّ أو دوران، فقال لناش: «دكتور ناش، لقد تركتَ رسالتين لإيرين كيلي. إستنتجنا منهما أنّك كنت على معرفة بها، لا بل إنّك خرجت معها. فهل هذا صحيح؟»

«نعم. أنا في صدد تأليف كتاب في تحليل ظاهرة الإعلانات الشخصيّة. سوف يصدر عن دار كيرنز وبراون، في إطار سلسلة يشرف عليها جاستين كرويل.»

سأله فينس: «كيف اتّصلت بإيرين كيلي؟ هل كنت أنتَ مَنْ ردّ على إعلانها، أم هي التي فعلت؟»

أجابه ناش: «هي التي فعلت.» فتح ناش دُرج مكتبه وأخرج الإعلان والرسالة: «لقد توقّعتُ سؤالك. هذا هو الإعلان، وهذه هي الرسالة. لقد تقابلنا، في الثلاثين من يناير، في حانة «بيار» حيث تناولنا كأسًا. لقد كانت رائعة الجمال. إستغربتُ أن تبحث شابّة بمواصفاتها عن صديق بهذه الطريقة، فأجابتني بصراحة أنّها كانت تردّ على الإعلانات بناء على طلب صديقة لها تُعدّ وثائقيًّا عن تلك الظاهرة. أخبرتُها أنّني أؤلّف كتابًا عن الإعلانات الشخصيّة.»

«وكانت تلك المرّة الوحيدة التي رأيتَها فيها؟»

«نعم. فقد كنت مشغولًا في الآونة الأخيرة. أنا أوشك على إنهاء الكتاب. كنت قد اعتزمت الاتّصال بإيرين ما إن أسلّمه. الأسبوع الماضي، أدركتُ أنّني بحاجة إلى شهر إضافيّ لإنجازه، وأنّ لا فائدة من الاستعجال ذلك.»

«فاتّصلتَ بها.»

«نعم، في بداية الأسبوع. ومن ثمّ مرّة جديدة يوم الخميس. لا، يوم الجمعة، قبيل أن أترك المدينة لعطلة نهاية الأسبوع.»

راح فينس يقرأ الرسالة التي كتبتها إيرين لناش. كان الإعلان الذي وضعه هذا الأخير مرفقًا بها: «طبيب مُطلّق، 37 عامًا. طوله متر و85 سنتيمترًا، جذّاب، ميسور الحال، ويتمتّع بروح النكتة. يهوى التزلّج، وركوب الخيل، وزيارة المتاحف، وحضور الحفلات الموسيقيّة. يبحث عن فتاة خلّاقة، جذّابة، عازبة، أو مطلّقة، أو تعيسة في زواجها. رقم صندوق البريد 3295».

أمّا رسالة إيرين، فهذا نصّها: «مرحبًا، صاحب صندوق البريد رقم 3295. لربّما توافرت فيّ هذه الصفات كلّها، أو معظمها. فأنا أتمتّع بروح النكتة. عمري 28 عامًا، طولي متر وسبعون سنتيمترًا ووزني 58 كيلوغرامًا. بحسب صديقتي المقرّبة، جمالي لا يُقاوم. أنا مصمِّمة مجوهرات على طريق النجاح والشهرة. أنا متزلّجة جيّدة. أمتطي الخيل، في حال كان سمينًا وبطيئًا. أهوى زيارة المتاحف، وأنهل منها تصاميم مجوهراتي. أمّا الموسيقى، فضرورة من ضرورات حياتي. هل نتقابل؟ إسمي إيرين كيلي، رقم الهاتف: 212-555-1432».

قال ناش لفينس: «الآن تتفهّم سبب اتّصالي بها.»

«ولم ترَها من جديد؟»

«لم أحظَ بفرصة لذلك.» وقف مايكل ناش وقال لمحاوره: «أنا آسف، لكن عليّ إنهاء المقابلة. فمريضي الأوّل قد وصل أبكر من المعتاد. لكنّني هنا في حال احتجتَ إليّ. لا توفّرني لأيّ استجواب أو معلومة».

قام فينس من مقعده وسأله: «دكتور، برأيك، كيف يمكنك مساعدتي؟»

هزّ ناش كتفيه وأجاب: «لا أعرف. أظنّ أنّني سأقوم بذلك من منطلق الرغبة الطبيعيّة في رؤية مجرم يُساق أمام العدالة. يبدو لي

أنّ إيرين كيلي كانت تُحبّ الحياة، وكان لديها الكثير لتعطيه. شابّة في الثامنة والعشرين.» مدّ يده وأضاف: «أرى أنّك لا تثق كثيرًا في المحلّلين النفسيّين سيّد دامبروزيو. برأيك إنّهم يضيعون الوقت مع مجموعة من المضطربين عقليًّا، ويسلبونهم أموالهم، لقاء سماعهم إيّاهم ينتحبون ويتذمّرون. إسمح لي بأن أعطيك رأيي بعملي. لقد كرّستُ حياتي المهنيّة لمساعدة أشخاص مهدّدين بالغرق، لأيّ سبب كان. فأنا أشبه بعامل إنقاذ يرمي بنفسه في الماء ليخلّص غريقًا، ويعيده إلى اليابسة. وقد أواجه حالات أكثر تعقيدًا. أرى نفسي فيها أتخبّط، وسط عاصفة هوجاء، لأخلّص ضحيّة سفينة تغرق. أصارع للوصول إلى الغريق، والأمواج العاتية تردّني إلى الوراء. لكنّي أشعر بالرضى عندما أتمكّن من إنقاذه.»

وضع فينس رسالة إيرين في حقيبته وقال لناش: «دكتور، لربّما استطعتَ مساعدتنا. سوف نقتفي أثر بعض الأشخاص الذين قابلتهم إيرين عن طريق الإعلانات الشخصيّة. هل باستطاعتك مقابلة بعض منهم، وإعطاؤنا رأيك المهنيّ بحالتهم؟»

«بكلّ تأكيد.»

«سؤال أخير. هل أنت عضو في الجمعيّة الأميركيّة لعلم النفس والقانون؟» كان فينس يعلم أنّ الاطبّاء النفسيّين المنتمين إلى الجمعيّة المذكورة يتمتّعون بمهارات عالية في التعامل مع المضطربين عقليًّا.

«لا، لستُ عضوًا فيها. لكنّ الأبحاث التي قمت بها، سيّد دامبروزيو، قد أظهرت أنّ غالبيّة الأشخاص الذين يردّون على تلك الإعلانات إنّما يفعلون ذلك بدافع الوحدة أو الملل. أمّا بعضهم الآخر، فلدوافع أخطر بكثير.»

@ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد ٤٤

إستدار فينس ومشى نحو الباب. فيما حرّك المسكة، قال: «برأيي هذا يصحّ في حالة إيرين كيلي».

ليلة الثلاثاء، قصد تشارلي مخبأه ونزل مباشرة إلى الطابق السفليّ. أخذ علبة الأحذية، فتحها، وصفّ الأحذية فوق الثلّاجة. دوّن على كلّ علبة إسم الفتاة التي يعود إليها زوج الأحذية. لقد كان يتذكّر الفتيات جميعًا، وبالتفاصيل. كما كان يحتفظ بشريط فيديو عن كلّ واحدة منهنّ، باستثناء نان. لكنّه سجّل حلقة برنامج جرائم واقعيّة التي تناولت مقتلها. لقد نجح مُعدّو البرنامج في إيجاد فتاة تشبهها.

فتح علبة الأحذية العائدة إلى نان. فردة حذاء الرياضة وفردة حذاء السهرة الأسود وقد كان مبهرجًا.

راح يتساءل: «هل يرسل أغراض نان وإيرين في الوقت نفسه؟» كان القرار مثيرًا.

لكنّه قرّر ألّا يفعل. فهو لو فعل، لتأكّدت الشرطة والإعلام من عدم صحّة نظريتهما حول الجريمة المقلّدة، ولاكتشفوا أنّ الشخص نفسه قد نفّذ الجريمتين.

لربّما كان من المسلّي إلهاء الشرطة لبعض الوقت. قد يبدأ بإعادة حذاء نان وحذاء الفتاة الأولى من بين الأخريات. كانت تدعى كلير، وقد قتلها منذ سنتين. ممثّلة شقراء من لانكاستر. كانت راقصة بارعة. موهوبة بكلّ ما للكلمة من معنى. كانت محفظتها في العلبة مع حذائها الأبيض والخفّ الذهبيّ. لا شكّ في أنّ والديها قد فسخا عقد إيجار الشقّة حيث كانت تسكن. سيرسل العلبة إلى عنوانها في لانكاستر.

سوف ينتظر بضعة أيام، ويرسل علبة أخرى. جانين. ماري. شايلا. ليسلي. أنيت. تينا. إيرين. لينتهي من ذلك بحلول الثلاثين من مارس. أي في غضون خمسة عشر يومًا من تاريخه.

في تلك الليلة، ستكون دارسي هنا ترقص معه.

وقف تشارلي يحدّق في الثلّاجة. ستكون دارسي الأخيرة. لربّما تركها معه إلى الأبد.

عندما عادت دارسي إلى شقّتها من المطار، يوم الثلاثاء، وجدت عشرات الرسائل على آلة تسجيل المكالمات. رسائل تعزية من أصدقاء قدامى. سبعة اتّصالات تتعلّق بإعلانات شخصيّة كانت إيرين قد ردّت عليها باسمها. دايفيد ويلد من جديد. هذه المرّة ترك رقمًا. وكذلك فعل لين بارك وكال غريفين وألبرت بوث.

كان اتّصال من غاس بوكسر يفيد بحضور مستأجر لشقّة إيرين كيلي. فهل يمكنها إخلاؤها بحلول عطلة نهاية الأسبوع؟ فهي لو فعلت، لما اضطرّت إلى تسديد إيجار شهر مارس.

أعادت دارسي شريط المكالمات ودوّنت أسماء المتّصلين، وأرقام الهاتف العائدة إليهم، وغيّرت الشريط. فقد يحتاج فينس دامبروزيو إلى تسجيل لأصوات الأشخاص أولئك.

قامت بتسخين بعض الحساء، وشربته في السرير. عندما انتهت من ذلك، أمسكت بالهاتف وبلائحة الرجال الذين اتّصلوا طلبًا لموعد. طلبت الرقم الأوّل. سمعت رنين الهاتف، لكنّها أعادت السمّاعة إلى مكانها. راحت الدموع تنهمر على وجنتيها. «إيرين، كم أتمنّى الاتّصال بك!»

الأربعاء 27 فبراير

قصدت دارسي المكتب عند التاسعة. كانت بيف قد سبقتها، وحضّرت القهوة والعصير الطازج والفطائر الساخنة، كما وضعت نبتة جديدة على حافّة النافذة. إقتربت منها بيف، وعانقتها، وقد بدت على وجهها علامات التعاطف والتأثّر. «لا أجد الكلمات للتعبير عن حزني. حتمًا، تعرفين ما أودّ قوله.»

«بكلّ تأكيد.» كانت رائحة القهوة شهيّة. مدّت دارسي يدها وأخذت فطيرة. قالت: «لم أكن أعرف أنّني جائعة.»

راحت بيف تحدّثها بأمور العمل: «لقد تلقّينا اتّصالين بالأمس. الأوّل من أناس أعجبوا بالتصاميم الرائعة التي أنجزتها في شقّة رالستون أرمز، ويودّون لو تنفّذي لهم التصاميم نفسها. أمّا الاتّصال الثاني، فبخصوص الفندق الجديد في الشارع التاسع والثلاثين. مالكون جدد يدّعون أنّهم يتمتّعون بذوق رفيع. لا يهمّهم المال.»

«قبل أن أُقدم على أي عمل، يجدر بي إخلاء شقة إيرين.» إرتشفت دارسي جرعة من القهوة، وردّت شعرها إلى الوراء. «يُرهبني أن أخلي لها الشقّة.»

كانت بيف هي مَن اقترح عليها أن تنقل الأثاث إلى أحد المستودعات. «لقد قلتِ لي أنّ الشقّة مفروشة بذوق رفيع. هل يمكنك استعمال قطع الأثاث، منفصلة، في عملك؟ فمن بين النساء اللواتي اتّصلن، واحدة تريد إعادة تصميم غرفة نوم ابنتها بطريقة مميّزة ومبتكرة. الفتاة في السادسة عشرة من عمرها، وهي تعود إلى البيت بعد إقامة طويلة في المستشفى. ستبقى في السرير لأشهر.»

راقت دارسي فكرة أن تُسعد فتاة بهذا الوضع بسرير إيرين النحاسيّ، ووجدت فيها بعضًا من العزاء الذي تُنشده.

«سوف أتحقّق من إمكانيّة نقل أثاث الشقّة.» واتّصلت بفينس دامبروزيو.

قال لها: «علمتُ أنّ شرطة نيويورك قد انتهت من تفتيش الشقّة.»

في اليوم التالي، تدبّرت بيف شاحنة تقصد كريستوفر ستريت، وقالت لدارسي: «سوف أكون هناك. أريني ما ترغبين في الاحتفاظ به». عند الثانية عشرة ظهرًا، قصدت شقّة إيرين مع دارسي. سمح لهما بوكسر بدخولها وعلّق: «أُقدّر قرارك إخلاء الشقّة. فالمستأجرة الجديدة لطيفة».

تساءلت دارسي عن البقشيش الذي حصل عليه بوكسر، وقرّرت ألّا تأتي إلى المبنى بعد اليوم.

وجدت في الشقّة بعض القمصان والأوشحة التي قرّرت الاحتفاظ بها، على سبيل الذكرى. أمّا بقيّة الملابس، فأعطتها إلى بيف. «أنت تلبسين قياس إيرين. هذه لك، لكن أرجوك، لا تحضري إلى المكتب فيها.»

قامت دارسي بجمع المجوهرات التي نفّذتها إيرين، بسرعة، وقد رفضت التفكير في موهبة صديقتها. ما الذي كان يُزعجها؟ أخيرًا، صفّت المجوهرات على طاولة العمل. الأقراط والقلادات والدبابيس والأساور، الذهب، الفضّة، الأحجار شبه الكريمة... كلّها شاهدة على موهبة إيرين وإبداعها، أكلاسيكيّة الطراز كانت أم عصريّة. ما الذي كان يزعجها؟

القلادة الجديدة التي نفّذتها إيرين بقطع النقود الرومانيّة الذهبيّة. لقد مزحت إيرين بشأنها وقالت لصديقتها: «سعر بيعها 3000 دولار. لقد صمّمتها لعرض أزياء، في شهر أبريل. لن أحتفظ بها لنفسي، لكنّني سأتزيّن بها بضع مرّات قبل بيعها».

أين كانت تلك القلادة؟ هل كانت إيرين تتزيّن بها عندما خرجت للمرّة الأخيرة؟ تلك القلادة وخاتمها وساعتها. هل كانت تضعها كلّها عندما وجدت جثّتها؟

جمعت دارسي مجوهرات إيرين الشخصيّة في حقيبة، مع محتويات الخزنة. سوف تقوم بتخمين الأحجار وبيعها لتسديد نفقات ميلي في المصحّة. لم تنظر إلى الوراء عندما أغلقت باب الشقّة 3B للمرّة الأخيرة.

في تمام الرابعة من عصر يوم الأربعاء، كان أحد تحرّيي الدائرة السادسة يجوب حانات واشنطن سكوير، حاملًا بيده صورة إيرين كيلي. إلى تلك اللحظة، لم تكن جولته مثمرة. لقد أقرّ عدد من السُقاة بمعرفة إيرين. «كانت تأتي إلى الحانة بين الحين والآخر. في بعض الأوقات، كانت تحضر برفقة رجل أو تأتي لمقابلة أحدهم. لا. لم أرَها طوال الأسبوع المنصرم.»

عبثًا حمل معه صورة تشارلز نورث. لم يتعرّف إليه أحد. «لم أرَ هذا الرجل من قبل.»

أخيرًا، قال أحد السقاة في حانة إيدي أوروورا، في شارع ويست فورث: «نعم. لقد كانت هذه الشابّة هنا، الثلاثاء الماضي. أنا قصدتُ فلوريدا، صباح الأربعاء، وعُدتُ للتوّ. لهذا السبب أتذكّر التاريخ. لقد تحدّثتُ إليها. أخبرتها أنّني ذاهب إلى فلوريدا للاستفادة من الشمس والطقس الجميل. أمّا هي فقالت لي أنّها صهباء، وأنّ بشرتَها تتأثّر بأشعّة الشمس وتحترق. كانت على موعد مع أحدهم، وقد جلست تنتظره لأربعين دقيقة، لكنّه لم يأتِ. كانت فتاة لطيفة. دفعت الفاتورة وغادرت.»

كان الساقي متأكّدًا من التاريخ. الثلاثاء، حضرت إيرين إلى الحانة عند السابعة. لقد حضرت في ذاك التاريخ وجلست تنتظر شخصًا تخلّف عن المجيء. حتّى أنّه وصف الملابس التي ارتدتها وصفًا دقيقًا، بما فيها القلادة الغريبة المشغولة بالقطع النقديّة الرومانيّة القديمة. عنها قال: «لقد كانت قلادة غريبة. بدت لي ثمينة. نصحتُ الشابة بعدم التجوّل في الشارع بدون أن ترفع ياقة معطفها لتغطّيها.»

إتّصل التحرّي بدامبروزيو من هاتف الحانة، وأطلعه على نتائج تحقيقاته. فما كان من فينس إلّا أن اتّصل بدارسي التي أكّدت له امتلاك إيرين قلادة مشغولة بقطع نقود قديمة. «حسبتُ أنّ الشرطة قد وجدت القلادة في عنق إيرين.» لم تنسَ إبلاغ فينس بأنّ خاتم إيرين وساعتها قد اختفيا أيضًا.

قال فينس بهدوء، قبل أن يسألها إن كان باستطاعته أن يعرّج عليها: «كانت تضع ساعة وأقراطًا عندما عثرنا على جثّتها».

أجابته دارسي: «بكلّ تأكيد. سوف أتأخّر في العمل.»

عندما وصل فينس إلى المكتب، كان يحمل معه نسخة عن ملفّ الإعلانات الشخصيّة العائد إلى إيرين. قال لدارسي: «لقد قُمنا بمراجعة شاملة وموسّعة لأوراق إيرين. وجدنا بينها إيصالًا يعود إلى تلك الخزنات الشخصيّة التي يمكن فتحها على مدار الساعة. تبيّن لنا أنّ إيرين قد طلبت واحدة من تلك الخزنات الأسبوع الماضي. فقد قالت للمدير أنّها مصمّمة مجوهرات، وأنّها كانت قلقة بشأن بعض الأحجار الثمينة التي تحتفظ بها في شقّتها.»

كانت دارسي تصغي بانتباه إلى فينس دامبروزيو وهو يخبرها بأنّ إيرين جلست في الحانة، ليل الثلاثاء، تنتظر شخصًا تَخلّف عن المجيء.

«لقد تركت تلك الحانة بمفردها حوالى الثامنة إلّا ربعًا. نحن نميل إلى اعتماد نظريّة الجناية. كانت تضع القلادة، ليل الثلاثاء، لكنّ الشرطة لم تجدها على جثّتها. كما أنّنا لا نعرف شيئًا عن الخاتم.»

قالت دارسي: «لم تنزع الخاتم يومًا من إصبعها.»

هزّ فينس رأسه وأجاب: «لربّما حملت معها كيس الألماس.» لم يكن متأكّدًا من أنّ دارسي تستوعب ما يقوله. كانت تجلس وراء مكتبها، وقد ارتدت كنزة صفراء باهتة تُبرز الخصل الشقراء في شعرها البنّيّ. بدت له متماسكة. أمّا عيناها فتحوّلتا من البنّي إلى الأخضر. لم تعجبه فكرة أن يمرّر لها نسخة عن ملفّ الإعلانات الشخصيّة العائد إلى إيرين. كان واثقًا من أنّها ستبدأ بمراسلة أصحاب الإعلانات التي وضعت إيرين إشارة حولها.

قال لها بجديّة: «دارسي، أدرك شعور الغضب الذي يعتريك لخسارة صديقة مثل إيرين. لكنّني أتوسّلك ألا تردّي على الإعلانات الشخصيّة تلك، على أمل أن تجدي الرجل الذي ينتحل إسم تشارلز نورث. سوف نبذل ما في استطاعتنا لإيجاد قاتل إيرين. نحن واثقون من وجود قاتل بالجملة، يستخدم تلك الإعلانات للقاء الفتيات، حتّى لو لم تكن إيرين واحدة من ضحاياه. ولا أريدك أن تكوني ضحيّته المقبلة.»

لم يترك دوغ فوكس سكارسدايل خلال عطلة نهاية الأسبوع. فقد كرّس وقته كاملًا لسوزان والأولاد. فما كان من سوزان، تقديرًا له، إلّا أن تدبّرت حاضنة للأولاد لبعد الظهر من يوم الإثنين. فقد كانت ترغب في التسوّق، واقترحت عليه موافاته إلى نيويورك، لتناول العشاء، والعودة معًا إلى المنزل.

لم تخبره عن موعدها في وكالة التحرّي قبل التسوّق.

إصطحبها دوغ لتناول العشاء في سان دومينيكو. كان لطيفًا معها، حتّى أنّه قال لها إنّه ينسى أحيانًا كم كانت جميلة. إعتراف أضحك سوزان.

ليل الثلاثاء، وصل دوغ إلى المنزل عند منتصف الليل. قال لزوجته متنهّدًا: «تلك الاجتماعات اللعينة تنتهي في ساعة متأخّرة.»

صباح الأربعاء، أبلغ سوزان بأنّه يرافق بعض الزبائن للعشاء، وبأنّه قد يبقى في غايت واي. شعر بالراحة للتفهّم الذي أبدته. «الزبون هو الزبون، دوغ. لا تُرهق نفسك.»

عندما ترك المكتب بعد ظهر الأربعاء، قصد الشقّة في لندن تيراس. كان على موعد، عند السابعة والنصف، في سوهو، مع سيّدة

مطلّقة، في الثانية والثلاثين من عمرها، تعمل سمسارًا عقاريًّا. لكنّه أراد المرور بالشقّة قبل الموعد لتغيير ملابسه وإجراء مكالمة هاتفيّة.

كان يأمل التحدّث الليلة مع دارسي سكوت.

بعد ظهر الأربعاء، تلقّى جاي ستراتون اتّصالًا من ميريل اشتون، من وينستون سالم، في كارولينا الشمالية. كان أشتون قد فكّر، مليًّا ومطوّلًا، في اقتراح ستراتون بأن يشتري لزوجته فرانس قطعة ثمينة من المجوهرات بمناسبة عيد زواجهما الأربعين. قال له أشتون: «هي لا تقبل حتّى أن أفاتحها بالموضوع. سوف أقصدُ نيويورك الأسبوع المقبل للعمل. هل لديك ما تريني إيّاه؟ كنتُ أفكّر في سوار من الألماس.»

أكّد له جاي أنّه حتمًا سيُريه بعض الأحجار الجميلة وقال له: «لقد اشتريتُ للتوّ بعض أحجار الألماس الممتازة، وسوف أستخدمها في تنفيذ سوار. أنا متأكّد من أنّه سيكون هديّة رائعة لزوجتك».

«أودّ تخمينه.»

«بالطبع ستفعل. في حال أعجبك السوار يمكنك عرضه على تاجر مجوهرات تثق به في وينستون سالم. إذا أتى تخمينه أقلّ من القيمة التي اتّفقنا عليها يمكنك العدول عن شرائه. هل أنت مستعدّ لإنفاق أربعين ألف دولار؟ ألف دولار عن كلّ سنة زواج؟»

أتاه جواب أشتون مشوبًا بشيء من التردّد: «حسنًا، الكلفة عالية بعض الشيء.»

غير أنّ ستراتون حاول كسب ثقته وطمأنته، فقال له: «سوار رائع، لا مثيل له. سوف تكون فرانس الحفيدة فخورة بتركه لابنتها».

إتّفق الرجلان على تناول كأس معًا يوم الإثنين التالي، في الرابع من مارس.

تساءل ستراتون وهو يضع هاتفه الخلويّ على الطاولة: «هل سيتمّ كلّ شيء على ما يُرام؟». فكّر في شيك العشرين ألف دولار الذي قبضه ثمنًا للقلادة المشغولة لمحلّ برتوليني. هل سيأتي أحدهم بحثًا عنه؟ ماذا عن التأمين على الألماس؟ فمع اكتشاف جثّة إيرين يتعزّز احتمال أن تكون قد تعرّضت للسرقة. سوف يبيع أشتون الأحجار بسعر معقول، فتاجر المجوهرات في وينستون سالم لن يكلّف نفسه عناء التحقّق من الأحجار لمعرفة ما إذا كانت مسروقة.

شعر ستراتون بسرور كبير يغمر كيانه. ضحك وقد تذكّر قولًا لعمّه منذ عشرين سنة: «جاي، لقد أرسلتك إلى واحدة من كُبرى الجامعات. أنت ذكيّ بما يكفي لنيل علامات عالية. مع ذلك، لا تتوانى عن الغشّ. ستكون دومًا صورة حيّة عن والدك».

عندما أخبر عمّه بأنّه توصّل إلى إقناع عميد كليّة براون بأن يعيد تسجيله في الكليّة في حال انضمّ إلى منظّمة بيس كوربس لمدّة سنتين، ردّ عليه عمّه بتهكّم: «حذارِ. ليس من شيء يُسرق في بيس كوربس. هناك، عليك العمل بجديّة».

في العشرين من عمره، بدأ سنته الجامعيّة الأولى في جامعة براون. وكان والده يوصيه: «توخّ الحذر، ولا تدعهم يقبضون عليك متلبّسًا. وإذا ما حصل ذلك، إحرص على ألّا يكون لك ملفّ في القضاء».

لقد كان أكبر سنًّا من الطلّاب الآخرين. بدوا كلّهم فتيانًا صغارًا، حتّى الأثرياء منهم، باستثناء واحد. رنّ الهاتف. كانت إينيد أرمسترونغ، الأرملة الحزينة، هي المتّصلة.

بدت متحمّسة وقالت له: «لقد أطلعتُ أختي على اقتراحك تعديل خاتمي فكان تعليقها: «إينيد، إذا كان الأمر يرفع معنويّاتك فلا تتردّدي. تستحقّين أن تدلّلي نفسك.»

بثّت القناة الرابعة، في نشرة أخبار الساعة السادسة، تقريرًا لجون ميلر حول إيرين كيلي. وقد أورد التقرير اختفاء أحجار من الألماس بقيمة ربع مليون دولار تعود إلى الضحيّة. حدّدت شركة التأمين لويد مكافأة قدرها خمسون ألف دولار لِمن يعيد الأحجار المفقودة. وفقًا للشرطة، فإنّ إيرين كيلي وقعت ضحيّة جريمة مقلّدة نفّذها شخص لم يكن يعرف أنّها تحمل أشياء ذات قيمة. إنتهى التقرير بالتذكير بإعادة حلقة «جرائم واقعيّة» عن مقتل نان شيريدان، في الثامنة مساء.

سارعت دارسي إلى إطفاء جهاز التلفزيون وقالت بصوت عالٍ: «الجريمة لم تكن بدافع السرقة. كما أنّها ليست جريمة مقلّدة. ومهما قالت الشرطة والمحقّقون، الجريمة مرتبطة بموضوع الإعلانات الشخصيّة».

فينس دامبروزيو سيعرف حتمًا هويّة بعض الأشخاص الذين قابلتهم إيرين. هذه الأخيرة كانت على موعد للمرّة الاولى مع المدعوّ تشارلز نورث، وتخلّف عن المجيء. لكن، ماذا لو دخل الحانة وقابلها عند الباب؟ ماذا لو كان واحدًا من أولئك الذين أرسلت لهم صورة؟ ماذا لو قال لها: «إيرين كيلي، أنا تشارلز نورث. لقد علقت في زحمة السير. تبدو الحانة مكتظّة بالروّاد. فلنقصد مكانًا آخر».

تحليل منطقيّ. برأي دارسي، في حال كان القاتل حرًّا طليقًا ينفّذ الجريمة تلو الأخرى، فلا شيء سيردعه الآن. ليتها تعرف الإعلانات التي ردّت عليها إيرين، وتلك التي ردّت عليها باسمهما.

كانت الساعة السابعة وهو التوقيت المناسب للردّ على اتّصالات الأشخاص الذين تركوا رسائل على آلة تسجيل المكالمات. في غضون أربعين دقيقة، اتّصلت دارسي بثلاثة أشخاص، وتركت رسائل لأربعة آخرين. تدبّرت مواعيد مع لين باركر يوم الخميس، ومع دايفيد ويلد يوم الجمعة، ومع ألبرت بوث يوم السبت.

ماذا عن الرجال الذين تركوا رسائل على آلة تسجيل المكالمات الخاصّة بإيرين؟ لقد ترك إثنان منهم أرقام هاتف قامت دارسي بتدوينها. لربّما عاودت الاتّصال بهما وأخبرتهما عمّا حلّ بإيرين، في حال لم يكونا على علم بذلك. سوف تحاول تدبّر موعد للخروج معهما. ففي حال اعتادا التواعد مع فتيات كثيرات، قد يكونان سمعا بذلك الموعد الذي انتهى بمأساة.

لم يردّ أحد على الاتّصالين الأوّلين. أمّا الشخص الثالث فردّ للحال. «مايكل ناش.»

«مايكل، أنا دارسي سكوت الصديقة المقرّبة لإيرين كيلي. أتصوّر أنّك سمعت بما حدث لها.»

«دارسي سكوت»، قالها بصوت عذب شابَهُ بعض القلق. «لقد أخبرتني إيرين عنك. أنا آسف. لقد تحدّثت بالأمس إلى عميل في الأف. بي. أي.، وأكّدت له استعدادي للمساعدة بأي طريقة ممكنة. لقد كانت إيرين فتاة رائعة.»

إغرورقت عينا دارسي بالدموع. «بالفعل، لقد كانت كذلك.»

أجابها: «لا شكّ في أنّك تتألّمين لخسارتها. هل تقبلين دعوتي للعشاء قريبًا؟ قد يريحك فتح قلبك والتحدّث عن الموضوع.»

«يسرّني ذلك.»

«غدًا؟»

كانت دارسي على موعد مع لين عند السادسة. «هل يناسبك أن نلتقي عند الثامنة؟»

«بكل تأكيد. سوف أحجز طاولة في «لو سيرك». لكن كيف سأتعرّف إليك؟»

«شعرٌ بُنّيّ. طولي متر واثنان وسبعون سنتيمترًا. سوف أرتدي فستانًا من الصوف الأزرق بياقة بيضاء.»

«أنا متوسّط الطول. سوف أنتظرك عند البار.»

أقفلت دارسي الخطّ مرتاحة إلى حدّ ما. على الأقلّ سوف ألبس بعضًا من الملابس التي اشتريتها في رودیو درایف. قامت من مكانها وراحت تدلّك رقبتها. شعرت بصداع رهيب لأنّها لم تأكل شيئًا منذ الظهر. كانت الساعة آنذاك قد بلغت الثامنة إلّا ربعًا. قرّرت أخذ حمّام ساخن سريع ثمّ تسخين القليل من الحساء ومشاهدة البرنامج.

ما لبث طبق الحساء، الذي كان شهيًّا قبل أن يبرد، أن استحال خليطًا سميكًا من الخضار يسبح في صلصة الطماطم، فيما كانت دارسي تحدّق في شاشة التلفزيون. لقد كانت صورة الفتاة البالغة من العمر تسعة عشر عامًا وهي تنتعل في قدمها اليمنى حذاء الرياضة، وفي اليسرى حذاء السهرة، مروّعة فظيعة. هل هذا ما بدت عليه إيرين عندما عثرت الشرطة على جثّتها؟ اليدان ملفوفتان على الخصر وأطراف الأحذية موجّهة إلى الأعلى؟ أيّ عقل مريض قد يرى هذه الصورة ويحاول تقليدها؟ إنتهى البرنامج بإشارة إلى أنّ شخصًا قلّد تلك الجريمة وقام بقتل إيرين كيلي.

أطفأت دارسي جهاز التلفزيون ووضعت وجهها بين يديها. لربّما كان محقّقو الأف. بي. أي. على حقّ بشأن الجريمة المقلّدة.

فليس من باب الصدفة أن تُقتل إيرين، بالطريقة نفسها، بعد أسابيع قليلة على عرض البرنامج.

لكن، لماذا إيرين؟ وهل كان الحذاء الذي وجدت قدمها فيه يناسب مقاسها؟ وفي حال كان كذلك، كيف عرف القاتل مقاس قدمها؟

لربّما فقدتُ صوابي. يجدر بي العدول عن البحث وترك الأمر لأصحاب الاختصاص.

قطع رنين الهاتف حبل أفكارها. لم تُحسّ برغبة في التحدّث إلى أيّ كان. لكن ماذا لو كان المتّصل يحمل لها أخبارًا عن بيلي؟ فرقم هاتفها مسجّل في المصحّ في حال الطوارئ. رفعت السمّاعة. «دارسي سكوت.»

«شخصيًّا؟ أخيرًا، أحاول التحدّث إليك منذ فترة طويلة. أنا صاحب صندوق البريد 2721. دوغ فيلدز.»

الخميس 28 فبراير

صباح الخميس، قامت نونا ومساعِدتها في الإنتاج، ليز كرول، بوضع اللمسات الأخيرة على الوثائقيّ. وكانت ليز قد أجرت عددًا من المقابلات مع الضيوف المحتملين واستبعدت المغفّلين منهم، على حدّ قولها، فأكّدت لنونا: «لدينا عيّنة لا بأس بها من الضيوف. ثُنائيّان تكلّلت علاقتهما بالزواج. بالنسبة إلى الثنائيّ الأوّل كان حبّ من النظرة الأولى، يصفانه بكلام مؤثّر. أمّا الثنائيّ الآخر فقد ردّ كلّ واحد منهما على الإعلان الذي وضعه الآخر. يخبران رواية مضحكة عن تقاطع البريد. من بين الضيوف أيضًا، شابٌ يُشبه إلى حدّ كبير إيب لينكولن في صباه. وهو يعترف بأنّه خجول ويبحث عن فتاة أحلامه. تضمّ العيّنة سيّدة قالت في إعلانها إنّها ثريّة، مطلّقة. فتلقّت 700 ردّ وتدبّرت إثنين وخمسين موعدًا إلى اليوم. وأخرى دعاها مُراسلها الأوّل لتناول العشاء وافتعل معها شجارًا فتركها في المطعم، وحيدة، مع الفاتورة. أمّا الرجل الثاني الذي خرجت معه فهاجمها في طريق العودة. مذّاك، يحوم حول منزلها ليل نهار. في صباح أحد الأيّام، إستفاقت من النوم ورأته يتجسّس عليها عبر نافذة الغرفة. ولو أنّ

صديقتك، إيرين كيلي، قد خرجت في تلك الليلة مع الشاب الذي تواعدت معه، لكان ختام الوثائقيّ مسكًا.

ردّت عليها نونا بهدوء: «لا شيء يمنعنا من أن نحلم.» فهي لم تُحبّ ليز يومًا.

غير أنّ هذه الأخيرة لم تلاحظ نفور نونا منها، بل تابعت قائلة: «ذلك التحرّي من الأف. بي. أي.، فينس دامبروزيو، جذّابٌ وذكي. لقد تحدّثتُ إليه، بالأمس. سوف يعرض صور الفتيات المختفيات في البرنامج ويحذّر المشاهدين من أنّهنّ قد رددنَ على الإعلانات الشخصيّة. ومن ثمّ سيطلب ممّن لديه معلومات قد تفيد التحقيق أن يحضر ويدلي بها. لا أحبّذ الفكرة تمامًا. فهدفنا ليس تقليد برنامج جرائم واقعيّة. لكن، ما العمل؟» وقفت متأهّبة للمغادرة، وأضافت: «لم أنتهِ بعد. هل تعرفين السيدة بارنز، من لانكاستر، التي اختفت ابنتها كلير منذ سنتين؟ فكّرتُ في احتمال استضافتها في البرنامج لفترة موجزة. وقعتُ على هاملتون، صدفة، وعرضت عليه الفكرة. إستحسنها، واقترح عليّ استشارتك».

ردّت نونا: «لا أحد يقع على هاملتون بالصدفة.» شعرت بغضب يهزّ اللامبالاة التي اعترتها مع مرور الأيّام. فقد كانت إيرين حاضرة أبدًا في أفكارها. ذاك الوجه المبتسم، وتلك القامة الرقيقة الممشوقة. صحيح أنّ نونا كانت راقصة ماهرة، على غرار طالبات صفّ الفالس حيث التقت الفتيات الثلاث، غير أنّ إيرين ودارسي كانتا استثنائيّتين. دارسي بشكل خاصّ. كان الجميع يتسمّرون في أمكنتهم لمشاهدتها ترقص مع الأستاذ.

قالت نونا في نفسها: «وتصادقتُ مع الفتاتين، وعرضت عليهما فكرة الوثائقيّ عن الإعلانات الشخصيّة.» ماذا لو كان فينس دامبروزيو

على حقّ؟ فبرأيه وقعت إيرين ضحيّة قاتل مُقلّد. أرجوك، ربّي، أن يكون الأمر كذلك.

لكن، في حال قضت إيرين ضحيّة الإعلانات الشخصيّة، فليكن هذا البرنامج وسيلة لإنقاذ فتاة أخرى. قالت نونا لليز: «سوف أتّصل بالسيّدة بارنز، في لانكاستر.»

جلست دارسي على حافّة نافذة غرفة النوم التي كانت تعيد تصميمها للمراهِقة العائدة قريبًا من المستشفى. سوف يكون سرير إيرين النحاسيّ رائعًا في الغرفة. أمّا منضدة الزينة القديمة التي وجدتها في أحد المعارض الأسبوع الفائت، والتي احتوت أدراجًا عميقة، فلن تسدّ الغرفة، بل على العكس، سوف تكون خير بديل للمزينة العتيقة الموضوعة حاليًّا. فكّرت دارسي في إضافة بعض الرفوف إلى الخزانة لصفّ الكنزات عليها.

إنتبهت إلى والدة الفتاة تتفحّصها بقلق وقد بدت على وجهها علامات التعب.

«لقد أمضت ليزا وقتًا طويلًا بين جدران غرفة حزينة في المستشفى. لذا، ارتأيتُ إعادة تصميم غرفتها علّ التجديد يرفع معنويّاتها. ما زالت في بداية طريق الشفاء، لكنّها فتاة شجاعة. فقد قالت للأطبّاء أنّها تنوي استئناف الرقص بعد سنتين. فهي تعشق الموسيقى منذ نعومة أظافرها. وكانت، كلّما سمعت نغمة، تمايلت رقصًا.

لقد وقعت ليزا ضحيّة شابّ كان يقود درّاجته الناريّة عكس السير بسرعة جنونيّة. صدمها بقوّة فتهشّمت ساقاها، بالإضافة إلى الكاحلين وعظام القدم. «إنّها تهوى الرقص.»

«تهوى الموسيقى، تهوى الرقص.» إبتسمت دارسي، وقد طالعتها تلك الملصقة بذاك العنوان في غرفة نوم إيرين. هي أوّل ما كانت عينا إيرين تريانه في الصباح فُيضفي على نهارها التفاؤل. حاولت دارسي كبت رغبتها في ترك الملصقة ذكرى من صديقتها.

قالت: «عندي ما يناسب هذا الحائط.» أحسّت بألمها يخفّ بعض الشيء، وبإيرين تومئ لها بالموافقة.

كانت خدمات وكالة هاركنيس، الكائنة في الشارع الخامس والأربعين، وكالة التحرّي التي اختارتها سوزان فوكس لرصد تحرّكات زوجها الليليّة، بكلفة 1500 دولار أميركي. بالنسبة إلى سوزان كان المبلغ زهيدًا، وقد وفّرته من حسابها الشخصيّ. كانت قد رصدتهُ لشراء هديّة لدوغ في عيد ميلاده في شهر أغسطس المقبل. إبتسمت بحزن وهي تُحرّر الشيك.

يوم الأربعاء، اتّصلت بكارول هاركنس وقالت لها: «الليلة يحضر زوجي واحدًا من اجتماعاته المزعومة».

ردّت عليها كارول: «لا عليكِ. سوف نكلّف جو بابست، وهو واحد من أفضل التحرّيين في الوكالة، بمراقبته.»

يوم الخميس، قدّم جو بابست تقريره إلى ربّة العمل. «هذا الرجل محتال وذكيّ. يترك مكتبه ويستقلّ سيارة أجرة إلى لندن تيراس. هناك يقطن في شقّة إستأجرها لسنتين من مهندس يُدعى كارتر فيلدز. وهو مُسجّل تحت إسم دوغلاس فيلدز. بهذه الطريقة، لا يشكّ أحد في صحّة الإيجار، ولا يعثر عليه أحد من معارفه في العمل أو من العائلة.»

هزّ بابست رأسه وتابع: «يظنّ الجيران أنّه رسّام. وبحسب البوّاب، يحتفظ في شقّته بعددٍ من الرسوم الموقّعة. قلتُ له إنّني في المكان لتنفيذ مهمّة رسميّة، وأعطيته عشرين دولارًا ليغلق فاه».

بدت كارول هاركنيس، في الثامنة والثلاثين من عمرها، واحدة من النساء الناشطات اللواتي نراهنّ على شاشات التلفزيون. كانت ترتدي بزّة سوداء زيّن طرف سترتها دبّوس من الذهب. أمّا شعرها الأشقر فكان يصل إلى كتفيها، وفي عينيها البنّيّتين نظرة باردة. كانت ابنة تحرّ من نيويورك ورثت عنه الاندفاع لعمل الشرطة.

سألت بابست: «هل بَقيَ في الشقة أم خرج منها؟»

«لا، لقد خرج قرابة الساعة السابعة. غيّر تسريحته وجعّد شعره. إرتدى كنزة ضيّقة الياقة وبنطالًا من الجينز وسترة من الجلد الفاخر. قصد حانة في سوهو حيث التقى فتاة جذّابة، بالكاد تبلغ الثلاثين من العمر. جلستُ إلى الطاولة خلفهما. شربا كأسين، ثمّ أبلغَته الفتاة بضرورة انصرافها.»

سألته هاركنيس: «هل كانت تستعجل التخلّص منه؟»

«على العكس. راحت ترمقه بنظرات إعجاب. وهو شابّ وسيم، يُحسن استغلال سحره. إتّفقا على موعد، مساء الجمعة، في أحد ملاهي وسط المدينة.»

جلس فينس دامبروزيو يراجع، بتمعّن وتركيز، تقرير تشريح جثّة إيرين كيلي. تبيّن له أنّ المغدورة قد تناولت الطعام قبل ساعة من وفاتها تقريبًا. لم تظهر على جسمها علامات التحلّل. كانت ملابسها مبلّلة، وعزا الطبيب ذلك إلى البرد القارس الذي ساد يوم وجدت جُثّتها كما

إلى رميها على الثلج الذائب. غير أنّ التشريح بيّن أيضًا أنّ أعضاءها لم تعد مجلّدة كلّيًا. فاستنتج الطبيب أنّ جثّتها قد جُمّدت بُعيد وفاتها.

جُمّدت! لماذا؟ لأنّ القاتل وجد مخاطرة في التخلّص من الجثّة على الفور؟ أين احتفظ بها؟ هل توفّيت مساء الثلاثاء؟ أو أنها قد سُجنت في مكان ما وتوفيّت يوم الخميس؟

هل كانت تُخطّط لوضع كيس الماس في الخزنة؟ لا شكّ في أنّ إيرين كيلي كانت حكيمة متعقّلة. فهي لن تبوح لغريب، تراه للمرّة الأولى، بأنّها تحمل في حقيبتها مجوهرات ثمينة.

لكن، ماذا لو فعلت ذلك؟

كان المحقّقون قد استعرضوا هويّة الأشخاص الذين وضعوا إعلانات يُحتمل أن تكون إيرين قد ردّت عليها. كانوا جميعًا، مثل المدعوّ نورث، قادرين على إثبات مكان وجودهم مساء الثلاثاء. بعضهم كان يجمع بريده في مقرّ الصحف أو الجرائد حيث وضع الإعلانات. ومن العناوين ثلاثة تبيّن أنها مزيّفة. على الأرجح كانت لرجال متزوّجين تخوّفوا من أن تقوم زوجاتهم بفتح البريد.

كانت الساعة قد ناهزت الخامسة عندما تلقّى فينس اتّصالًا من دارسي سكوت. بادرته بالقول: «كنت أنوي الاتّصال بك منذ الصباح لكنّني خرجت من المكتب لقضاء بعض الأعمال.»

ظنّ فينس أنّها حسنًا فعلت. فهو كان يستلطفها. بعد العثور على جثّة كيلي، استفسر فينس من نونا روبرتس عن عائلة دارسي سكوت. وكم كانت دهشته كبيرة عندما علم أنّ والديها نجمان لامعان في عالم السينما. مع ذلك كانت دارسي بسيطة ومتواضعة وعفويّة. إستغرب أنّها ليست في علاقة غراميّة. سألها عن أحوالها.

أجابته دارسي: «أنا بخير.»

حاول فينس أن يُحلّل ما سمعه في صوتها. عندما التقاها للمرّة الأولى، تبيّن في صوتها الخفيض والمتوتّر قلقًا عظيمًا. في المشرحة، وقبل أن تنهار، تكلّمت برتابة الشخص المصدوم. أمّا اليوم فلاحظ شيئًا من الحدّة والحزم في صوتها. فأدرك، للحال، أنّها ما زالت مقتنعة بأنّ مقتل إيرين أتى نتيجة الردّ على الإعلانات الشخصيّة.

كان على وشك أن يحدّثها عن ذلك عندما سألته: «فينس، ثمّة ما يُحيّرني. هل كان الحذاء العالي الكعب الذي وجد في قدم إيرين متناسبًا مع قياسها؟»

«كان من قياس جزمتها نفسه، سبعة ونصف.»

«كيف تُفسّر أن يملك مَن ألبسها إياه، أيًا كان، فردة حذاء بقياس قدمها؟»

لفت فينس ذكاؤها. فردّ عليها بحذر: «آنسة سكوت، هذا ما نعمل عليه في الوقت الحالي. نحاول تعقّب ذاك الحذاء، من خلال المُصنّع، علّنا نعرف المتجر حيث تمّ بيعه. ليس رخيصًا، فالزوج يكلّف على الأرجح بضع مئات من الدولارات. ولا نجد هذه النوعية الفاخرة إلّا في عدد محدود من متاجر نيويورك. أعدكِ بإطلاعك على كلّ جديد في التحقيق.» تردّد قليلًا وأضاف: «آمل أن تكوني قد عدلت عن فكرة متابعة الإعلانات الشخصيّة التي ردّت عليها إيرين باسمك.»

أجابته دارسي: «في الواقع، أنا على موعد بعد ساعة مع صاحب أحد الإعلانات تلك، لين باركر، عند السادسة.» كانا على موعد في حانة ماك كالن، في الجادّة الثالثة. فكّرت دارسي: «مكان عصري وآمن. المكان المفضّل لنخبة سكّان نيويورك. لقد قصدَته بضع مرّات،

وارتاحت للمالك، جيم ماك كالن. الليلة ستكتفي بكأس من النبيذ مع باركر. فقد أبلغها بأنّه على موعد مع بعض الأصدقاء في النادي للعب كرة السلّة.

أبلغت مايكل ناش بأنّها سترتدي فستانًا من الصوف الأزرق ياقته بيضاء. الآن وقد ارتدته، أحسّت بأنّها قد بالغت بعض الشيء. لطالما كانت إيرين تُعلّق على الملابس التي تختارها لها والدتها: «عندما تخرجين بتلك الملابس تفضحيننا إذ نبدو وكأنّنا نختار ملابسنا من المتاجر الشعبيّة الرخيصة».

أكملت دارسي تبرّجها وفكّرت في كلام إيرين. لم تكن هذه الأخيرة على حقّ. فهي لطالما بدت رائعة الجمال، حتّى في الجامعة، حين لم تكن تملك المال الكثير لشراء الملابس.

قرّرت دارسي أن تضع الدبّوس المشغول بالفضّة وحجر الأزوريت الذي أهدتها إياه إيرين في عيد ميلادها. كان الدبوّس على شكل مُدرّج موسيقيّ، والنوتات مُزنّرة بالحجر اللازورديّ، بلون الفستان الذي ارتدته. وضعت دارسي سوارًا وأقراطًا من الفضّة وانتعلت حذاء من الجلد. ثمّ راحت تتأمّل نفسها في المرآة. خلال إقامتها في نيويورك، أرسلتها والدتها إلى مصفّف شعرها الشخصيّ فغيّر لها قصّة الشعر، وزاد التموّجات الذهبية في شعرها. كانت النتيجة مرضية. رفعت دارسي كتفيها وقالت: «مبدئيًا، لن يهرب لين باركر لدى رؤيتي».

كان باركر طويل القامة ونحيلًا، لا يخلو من الجاذبيّة. كان أستاذًا جامعيًّا، انتقل مؤخّرًا من كنساس إلى نيويورك حيث لا يعرف أناسًا كثرًا. جلسا يحتسيان النبيذ، وباح لها بأنّ أحد اصدقائه قد اقترح عليه أن يضع الإعلان.

قال لها: «كلّفتني الإعلانات مبالغ طائلة. من الأفضل الردّ على إعلانات الآخرين، لكنّني سعيد بأنّك راسلتني.»

كانت عيناه بلون البنّي الفاتح، واسعتين، تنطقان بالكثير. حدّق في وجه دارسي وقال: «إسمحي لي أن أقول لك أنّك فتاة جميلة».

«شكرًا.» تساءلت عمّا كان يُزعجها في ذلك الشاب. هل كان حقًّا أستاذًا جامعيًّا، أو كان مثل ذلك الذي خرجت معه قبل رحيلها إلى كاليفورنيا؟ فهذا الأخير ادّعى أنّه مدير في شركة إعلانات، لكنّه لم يعرف أيًّا من الشركات التي ذكرتها له.

راح باركر يتأرجح بعض الشيء على كرسيه. كان يتكلّم بصوت خفيض، فاضطرّت دارسي إلى الإنحناء قليلًا لتسمعه وسط ضجّة روّاد الحانة.

قال بإلحاح: «أنتِ رائعة الجمال. لم تكن الفتيات كلّهن اللواتي التقيتهنّ جميلات. عندما تقرأين الرسائل التي بعثن بها، يُخيّل إليك أنّهنّ ملكات جمال الكون. عند اللقاء، تكون الصدمة.»

أومأ إلى النادل، طالبًا كأسًا أخرى. سألها: «هل ترغبين في كأس أخرى؟»

«شكرًا لقد اكتفيت.» وأضافت «أنا واثقةٌ من أنّكَ التقيت بعض الفتيات الجميلات.»

هزّ رأسه وأجاب: «لم يَكُنّ بجمالك.»

أمضت دارسي معه ساعة، كأنّها سنة. أصغت إليه يخبرها عن الصعوبة التي يواجهها في إيجاد شقّة وعن أسعار الشقق الخياليّة.

«من الفتيات مَن يتوقّعن أن يصحبهنّ الشابّ إلى المطاعم الفخمة. مَن يسعه أن يتبع نمط الحياة هذا؟»

إستغلّت دارسي الفرصة لِتُلمّح إلى إيرين.

«أعرف ذلك. فصديقتي وأنا التقينا أشخاصًا غريبي الأطوار من خلال الإعلانات الشخصيّة. صديقتي تُدعى إيرين كيلي. هل حصل لك أن التقيتَها؟»

«إيرين كيلي؟»

بلع لين باركر ريقه بتوتّر وسألها: «أليست الفتاة التي قُتلت الأسبوع الماضي؟ لا، لم ألتقها يومًا. كانت صديقتك؟ يا إلهي، أنا آسف. هل وجدوا القاتل؟».

لم ترغب في الخوض في جريمة قتل إيرين. كانت أكيدة من أنّ إيرين، لو التقت هذا الشابّ مرّة، لعدلت عن الخروج معه من جديد. نظرت إلى ساعتها وقالت: «عليّ الذهاب. وأنت ستتأخّر عن مباراة كرة السلّة».

«لا عليكِ. سوف أتغيّب عنها. إبقي لتناول العشاء معي. يقدّمون الهامبرغر اللذيذ هنا. صحيح أنّ سعر الطبق مرتفع لكنّه شهيّ.»

«لا يمكنني ذلك. فأنا على موعد مع أحدهم.»

تكدّر باركر وسألها: «ماذا عن مساء الغد؟ أعرف أنّني لست وسيمًا وأنّ أساتذة الجامعة ليسوا بالأثرياء، لكنّني أرغب في لقائك مرّة أخرى».

إرتـدت دارسي معطفها وأجابته: «شكرًا للدعوة، لكنّني لا أستطيع تلبيتها».

وقف باركر وضرب بكفّه على البار. «حسنًا، إدفعي ثمن ما شربناه إذًا. تظنّين نفسك أرفع شأنًا منّي؟ أنتِ مخطئة عزيزتي فالعكس صحيح.»

أحسّت بالارتياح لدى مغادرته المطعم. عندما أتاها الساقي بالفاتورة قال لها: «آنستي، لا تضيّعي وقتك مع هذا المغفّل. هل قال

لك أنّه أستاذ جامعيّ؟ إنه يكذب. هو يعمل ضمن فريق صيانة جامعة نيويورك، ويستفيد من الإعلانات ليقصد المطاعم حيث يشرب ويأكل على نفقة غيره. لقد خرجتِ بفاتورة ضئيلة».

ضحكت دارسي وقالت: «هذا ما أظنّه». وراودتها فكرة. أخرجت من حقيبتها صورة إيرين وسألت الساقي: «هل سبق له أن قصد المطعم برفقة هذه الفتاة؟».

تفحّص الساقي الصورة مليًّا ثمّ هزّ رأسه وأجاب: «طبعًا. منذ حوالى أسبوعين. كانت رائعة الجمال. تركَته هنا ورحَلَت».

عند السادسة، تفاجأت نونا بتلقّي اتّصال من فينس دامبروزيو، وسَرَّها ذلك. بادرها هذا الأخير بالقول: «أرى أنّكِ من الأشخاص الذين لا يلتزمون بمواعيد عمل منتظمة. أودّ التحدّث إليك بشأن البرنامج. ماذا لو نتناول العشاء معًا، بعد ساعة من الآن؟»

لم تكن نونا مرتبطة بأيّ موعد فأجابته: «إتّفقنا، أقترحُ أن تحجز طاولة في مطعم قريبٍ منك يُقدّم الستيك الشهيّ».

إرتسمت على ثغرها إبتسامة فيما أقفلت الخطّ. بدا لها واضحًا أنّ دامبروزيو كان من محبّي الستيك والبطاطا المقليّة. مع ذلك، كانت أكيدة من أنّه لا يعاني ارتفاعًا في نسبة الكوليسترول. أحسّت بالرضى عن ارتدائها البزّة التي اشترتها مؤخّرًا. فلونها العنبيّ يلائم بشرتها، فيما يُبرز الحزام الذهبيّ خصرها الناعم الرقيق وهو مدعاة فخرها. فجأة، غمرتها موجة من الحزن. فإيرين هي التي صنعت لها الحزام بمناسبة عيد الميلاد.

هزّت رأسها كما لو أنّها تُنكر حقيقة موت إيرين، فقامت عن الكرسيّ وراحت تمشي في المكتب وهي تُحرّك كتفيها. لقد كرّست

اليوم برمّته للعمل على الوثائقيّ وأحسّت بتشنّج في عضلاتها. عند الثالثة، جلست مع غاري فينش، مقدّم البرامج في هادسون كايبل، يستعرضان الوثائقيّ. أتى تعليقه مرفقًا بابتسامة: «أهنّئك. فالوثائقيّ سيكون حدث الموسم».

تمطّت نونا وتـردّدت في مـعـاودة الاتّـصـال بإيمّا بـارنـز في لانكاستر. لقد حاولت التحدّث إليها ثلاث أو أربع مرّات قبل ذلك اليوم. الحقّ يُقال. إنّ اقتراح ليز استضافة بارنز في البرنامج للتكلّم عن اختفاء ابنتها التي اعتادت الردّ على الإعلانات اقتراحٌ صائب. أقرّت نونا بذكاء ليز وقدرتها الخلّاقة، لكنّها رأت في مناقشتها مسألة استضافة بارنز مع هاملتون تخطّيًا لصلاحياتها. فهي تطمح إلى سلب نونا منصبها. لا خسارة في المحاولة.

تمطّت نونا للمرّة الأخيرة وجلست إلى مكتبها، ثمّ طلبت رقم لانكاستر. مرّة أخرى، لم تلقَ أي ردّ.

وصل فينس إلى المطعم في تمام السابعة. كان يرتدي بزّة رماديّة مقلّمة، مع ربطة عنق بلوني البيج والبُنّي لم تتبيّن فيها نونا ذوقًا نسائيًا. لا شكّ في أنّ فينس كان ينسّق بنفسه ربطة العنق مع البزّة. في تلك اللحظة، تذكّرت كم كان مات متطلّبًا في تنسيق ربطة العنق مع القميص والبزّة.

كان المطعم في شارع برودواي على بُعد مبانٍ قليلة من شقّة نونا. إقترح عليها فينس مناقشة المسائل الجِدّيّة في أثناء تناول التحلية. وفيما كانا يتناولان المقبّلات، إستعرض كلٌّ منهما ملخّصًا عن حياته. فسألها: «كيف تُعرّفين بنفسك، لو طُلب منك أن تضعي إعلانًا شخصيًّا؟»

فكّرت نونا قليلًا وأجابت: «إمرأة مطلّقة، عمري 41 عامًا، وأعمل في الإنتاج التلفزيونيّ».

إرتشف فينس مشروبه وقال: «هيّا تابعي».

«ولدتُ وترعرعتُ في منهاتن. برأيي، كلّ من يعيش في مكان آخر مصاب بمرض عقليّ.»

ضحك فينس لملاحظتها فتبيّنت التجاعيد الصغيرة في طرف عينيه.

أخذت جرعة من كأسها وعلّقت: «المشروب لذيذ. أنصحك بتذوّق القليل منه مع طبق الستيك».

«سوف أفعل. من فضلك، تابعي صياغة الإعلان الخاصّ بك.»

«لقد تخرّجت من جامعة بارنارد. أمضيت سنة خارج البلاد. أهوى السفر لفترة لا تتجاوز الأسابيع الثلاثة.»

«سوف يكلّفك الإعلان غاليًا.»

«ليس عندي الكثير بعد لأضيفه. نظيفة لكنّني لست مهووسة بالترتيب. لقد لاحظتَ مكتبي. لست موهوبة للعناية بالنبات. طبّاخة جيّدة، لكنّني أكره الأطباق المعقّدة. أحبّ موسيقى الجاز. وأنا راقصة بارعة.»

«لهذه الأسباب تصادقتِ مع إيرين كيلي ودارسي سكوت، فقد جمعكنّ صفّ الرقص.» لاحظ دامبروزيو نظرة الألم في عيني نونا، فأضاف بسرعة: «بالنسبة إلى الإعلان الخاصّ بي، سيكون أقصر. أنا موظّف حكومي، مطلّق، في الثالثة والأربعين من العمر. عميل في الأف. بي. أي. ترعرعت في والدويك، نيو جيرسي، وتخرّجت من جامعة نيويورك. أنا راقص أخرق. أحبّ السفر ولكن ليس إلى فييتنام.

أمضيت هناك ثلاث سنوات. أخيرًا، وليس آخرًا، لديّ ابن في الخامسة عشرة من عمره. إسمه هانك، وهو شابّ رائع».

كان طبق الستيك شهيًّا. طلبا القهوة وراحا يتحدّثان عن البرنامج، وهما يحتسيانها. قالت له نونا: «ننوي تسجيل الوثائقيّ بعد أسبوعين. أنت ستكون مسك الختام بحيث تُحذّر المشاهدين من مغبّة الردّ على تلك الإعلانات. سوف تعرض صور الفتيات المختفيات، أليس كذلك؟»

«نعم سأفعل. فثمّة احتمال أن يتعرّف مشاهد ما إلى واحدة منهنّ.»

كان الجوّ باردًا عندما غادرا المطعم. إرتجفت نونا للفحة هواء لاذعة لفحتها. أمسك فينس بيدها وهما يجتازان الشارع، ولم يتركها إلى أن بلغا شقّتها.

دعته لتناول كأس أخير فلبّى الدعوة. تذكّرت نونا، بارتياح، أنّ عاملة التنظيفات قد رتّبت الشقّة في اليوم نفسه. لا شكّ في أنّها ستكون لائقة ونظيفة.

كانت الشقّة في مبنى يعود إلى ما قبل الحرب، وهي تتألّف من سبع غرف. رأت نونا دامبروزيو يرفع حاجبيه، فيما يجول بنظره على ردهة الاستقبال الواسعة، وعلى السقف العالي والواجهات الزجاجيّة العريضة التي تُشرف على سنترال بارك. راح يتأمّل الرسوم المعلّقة في غرفة الجلوس والأثاث العريق. علّق قائلًا: «شقّة جميلة.»

«لقد أعطاني إيّاها والداي عندما انتقلا للعيش في فلوريدا. فأنا إبنة وحيدة. عندما يقصدان نيويورك للعمل أو الترفيه يستخدمانها. فوالدي يكره الفنادق.» توجّهت إلى البار وسألته: «ماذا تشرب؟»

سكبت القليل من شراب السامبوكا لكليهما. إستأذنته قائلة: «ما زالت الساعة التاسعة إلا ربعًا. هل تمانع في أن أجري مكالمة هاتفية؟» أخرجت دليل الهاتف من حقيبتها، وراحت تفتّش فيه عن رقم آل بارنز. أفصحت له عن سبب اتّصالها بهم.

تلك المرّة، لم يتأخّروا في رفع سمّاعة الهاتف. غير أنّ نونا تسمّرت في مكانها لدى سماعها صراخ امرأة. أمّا الرجل الذي ردّ عليها فبدا مضطربًا. قال لها: «لا يهمّنا من تكونين، أطلب منك أن تقفلي الخطّ. فقد غبنا عن المنزل طوال اليوم، وفتحنا البريد للتوّ. وجدنا فيه طردًا موجّهًا إلى زوجتي.»

كان الصراخ يتعالى. أشارت نونا إلى فينس برفع السمّاعة الأخرى الموضوعة على الطاولة إلى جانبه.

«إبنتنا كلير... لقد اختفت منذ سنتين. في الطرد الذي استلمناه فردة من حذائها وأخرى من حذاء من الساتان عالي الكعب.» وراح يصرخ: «مَن أرسل العلبة؟ ولِمَ فعل ذلك؟ هل هذا يعني أنّ كلير ماتت؟»

ترجّلت دارسي من سيّارة الأجرة ودخلت مطعم لو سيرك. كانت قد بدأت تشعر بالاسترخاء، وأدركت مقدار الطاقة الذي صرفته في لقائها لين باركر. لم تستوعب إلى الآن أنّه قابل إيرين. لكن لِمَ أنكر ذلك؟ لقد تركته إيرين في المطعم وذهبت. حتمًا، لم تعاود الخروج معه. هل أنكر معرفتها هربًا من الاستجواب ومن فضح الأكاذيب التي لفّقها بشأن وضعه الشخصيّ؟

في كلّ مرّة يقصد والداها نيويورك يتناولان العشاء في لو سيرك. كان مطعمًا رائعًا. إستغربت دارسي أنّها لا ترتاده كثيرًا. كيف

لشخصين بجمالهما أن ينجبا هذه الطفلة القصيرة؟ وكيف لجملة واحدة أن تبقى راسخة في ذاكرتها؟

كان البار إلى اليسار، يجلس إليه الزبون بانتظار ضيفه أو شغور إحدى الطاولات.

بالقرب منه، وقف شابّ وفتاة وقد استغرقا في الدردشة، وعند طرفه، جلس رجل وحيد. شخص عاديّ المظهر كان مايكل ناش. شعرٌ بلون الأشقر الغامق، ووجه تميّزه ذقن رفيعة. أما القامة، فطويلة نحيلة. إرتدى بزّة كحليّة، مقلّمة بقليل من الفضّي، ووضع ربطة عنق زرقاء. إستمتع بمراقبتها وهي تتقدّم نحوه. لاحظت دارسي في عينيه ذاك اللون الأزرق اللازورديّ المائل إلى الأزرق الداكن.

«دارسي سكوت.»

لم يكن سؤالًا بل تأكيدًا. أومأ إلى النادل وأمسك بها.

أجلسهما النادل إلى طاولة مميّزة الموقع، تشرف على مدخل المطعم. لا شكّ في أنّ مايكل ناش كان من الروّاد الأوفياء.

«ماذا تشربين؟ النبيذ؟»

«كأس من النبيذ الأبيض، من فضلك. وكوب من الماء.»

طلب المشروب ثمّ ابتسم وقال: «الآن وقد انتهينا من المقدّمات، إسمحي لي بأن أعبّر لك عن سروري بمعرفتك، دارسي».

إنقضت نصف ساعة لاحظت دارسي خلالها أنّ ناش كان يتعمّد تحويل الحديث عن إيرين. وبعد أن بدأت باحتساء النبيذ وتناول شيء من المقبّلات، قال لها: «لقد أُنجزت المهمّة. أراك قد بدأت تشعرين بالأمان».

حدّقت دارسي في وجهه وسألته: «ماذا تقصد بملاحظتك؟»

«أقصد أنّني كنتُ أراقبكِ. رأيتك تدخلين المطعم بعجلة وتبيّنتُ في حركاتك نسبة عالية من التوتّر. ماذا حصل؟»

«لا شيء. أودّ التحدّث عن إيرين.»

«وأنا أيضًا. لكن، دارسي...» وتوقّف عن الكلام. ثمّ تابع: «إسمعي، لا يسعني أن أمنع نفسي من القيام بما أفعله كلّ يوم. فأنا طبيبُ نفسي.» وابتسم لكأنّه يعتذر منها.

أخيرًا أحسّت بالاسترخاء. «أنا مَن يجدر بي الإعتذار. فأنت محقّ. لقد كنت متوترّة ساعة دخولي المطعم.» أخبرته عن لقائها لين باركر.

أصغى إليها بانتباه وقد أحنى رأسه قليلًا. قال لها: «حتمًا ستُبلّغين الشرطة عن ذاك الرجل.»

«سوف أُبلّغ الأف. بي. أي.»

«فينسنت دامبروزيو؟ سبق وقلت لكِ أنّه حضر إلى مكتبي يوم الثلاثاء. لسوء الحظّ، لم يكن لديّ الكثير لأخبره به. فقد التقيت إيرين، وتناولنا كأسًا، منذ بضعة أسابيع. أدركتُ، للحال، بأنّ فتاة بمواصفاتها لم تكن بحاجة للردّ على الإعلانات الشخصيّة. ثمّ أخبرتني عن البرنامج الذي تُعدّه صديقتكما وأتت على ذكركِ. قالت لي أنّ صديقتها المقرّبة تردّ هي أيضًا على الإعلانات.»

هزّت دارسي رأسها آملة ألّا تخونها دموعها. أضاف ناش: «لم أعتد التكلّم عن الكتاب الذي أعُدّه حول ظاهرة الردّ على الإعلانات، لكنّني، في تلك الليلة، بُحت لإيرين بذلك وتبادلنا بعض القصص عن المواعيد التي ذهبنا إليها. لم تذكر أمامي أيّ اسم وأضحكتني بمغامراتها. لم أتبيّن أنّ أحدًا ما يُزعجها.»

«كانت تُطلق على اللقاءات تلك تسمية لقاءات الحُثالة.»

ضحك ناش، وعلّق: «لقد قالت لي ذلك. سألتها عن إمكانيّة أن نتناول العشاء معًا في وقت قريب، فوافقت. لقد كنتُ أُنهي الكتاب، بينما كانت هي تُنجز قلادة قامت بتصميمها. وعدتها بمعاودة الاتّصال بها. وعندما فعلتُ، لم ألقَ أيّ ردّ. فبحسب ما قاله لي فيسنت دامبروزيو، كان الأوان قد فات».

«تلك كانت الليلة التي تواعدت فيها مع رجل يُدعى تشارلز نورث. ما زلتُ أكيدة من أنّ موتها مرتبط بإعلان شخصيّ ردّت عليه، حتّى لو لم يحضر نورث إلى الموعد.»

«بما أنّك واثقة من ذلك، لماذا رددتِ على إعلاني؟»

«لأنني أنوي العثور على ذلك الرجل.»

بدا مضطربًا، لكنّه لم يُعلّق على كلامها. راجعا قائمة الطعام واختارا السمك. في أثناء الطعام، تعمّد ناش إلهاءها عن التفكير في موت إيرين. راح يُخبرها عن نفسه: «لقد جنى والدي الثروات من البلاستيك، واشترى قصرًا فخمًا في بريدج واتر. كان رجلًا مُحترمًا ومستقيمًا. لطالما تساءلت عن حاجتنا نحن الثلاثة لاثنتين وعشرين غرفة. وما زلت أذكر فرحته وفخره أمام الزوّار بالمنزل الكبير.»

ثمّ تطرّق إلى موضوع طلاقه: «تزوّجتُ في الأسبوع الذي تلى تخرّجي من الجامعة. غلطة فظيعة ارتكبناها نحن الإثنين. لم نعانِ مشاكل ماديّة بل مشاكل مرتبطة بدراستي التحليل النفسيّ، وقد استنفذت وقتي كلّه. لم نعش حياة الزوجين الطبيعية. في السنة الرابعة من الزواج، طفح الكيل، ولم تعد شيريل تتحمّل متطلّبات دراستي. اليوم تعيش في شيكاغو، ولديها ثلاثة أولاد.»

بعد أن أنهى كلامه، جاء دور دارسي. بدأت بذكر اسمَي والدَيها المعروفين، ثمّ قفزت بسرعة إلى الحديث عن تركها الوظيفة في وكالة الإعلانات وانصرافها إلى مهنة تصميم الشقق. «قال لي أحدهم مرّة أنني نسخة جديدة لشركة سانفورد وابنه، وقد يكون محقًّا، لكنّني أحبّ مهنتي.» في تلك اللحظة، فكّرت في الغرفة التي كانت تُعدّها للمراهقة العائدة من المستشفى.

لم يُعلّق على بعض الثغرات التي تبيّنها في سيرة حياتها. وصل طبق السلطة بالتزامن مع توقّف أحد المنتجين من أصدقاء والديها إلى طاولتهما، فبادرها بالتحيّة. «دارسي!» قبلة حارّة وعناق. عرّف عن نفسه لمايكل ناش: «هاري كورتيس». ثمّ التفت إلى دارسي. «أنتِ تزدادين جمالًا يومًا بعد يوم. سمعتُ أنّ والديك يقومان بجولة في أستراليا. ما الأخبار عنهما؟»

«لقد وصلا للتوّ إلى هناك.»

«بلّغيهما محبّتي وتحيّاتي.» عانقها للمرة الثانية، وقصد طاولته.

لم يبدُ في عيني ناش أيّ فضول. برأي دارسي، هكذا يتصرّف الأطبّاء النفسيّون. فهم ينتظرون من الشخص الآخر أن يخبرهم. أما هي فلم تعطه أيّ تفسير لما قاله كورتيس.

كان العشاء ممتعًا. باح لها ناش بهوايتين محبّبتين إلى قلبه، كرة المضرب وركوب الخيل. «هاتان الهوايتان تبقيانني في بريدج ووتر.» فيما كانا يتناولان القهوة، فتح ناش من جديد موضوع مقتل إيرين: «دارسي، أنا لم أعتد إسداء النصح إلى الناس، حتى النصيحة المجّانيّة، لكنّني أتمنّى عليك العدول عن فكرة الردّ على الإعلانات. يبدو لي أنّ عميل الأف. بي. أي. المكلّف متابعة القضيّة شخص

كفوء. برأيي، لن يرتاح قبل معاقبة قاتل إيرين، أيًّا كان. لقد أكّد لي ذلك. أظنّ أنّ كلًّا منّا يؤدّي واجبه.»

أرغمت نفسها على الابتسام. قالت له: «في المرّة الأخيرة التي حادثتُ فيها إيرين، أخبرتني أنّها على موعد مع أحدهم، لكنّه لم يعاود الاتّصال بها. أنا واثقة من أنّ ذاك الشخص كان أنت.»

أعادها إلى المنزل في سيّارة أجرة. طلب من السائق انتظاره ورافقها إلى الباب. كانت الريح شديدة فحاول حمايتها فيما أدارت المفتاح في القفل. «هل يمكنني الاتّصال بك قريبًا؟»

«أودّ ذلك.» لوهلة، حسبت أنّه سيطبع قبلة على خدّها، لكنّه اكتفى بالشدّ على يدها وعاد إلى سيّارة الأجرة.

هبّت الريح من جديد، فمنعتها من الإسراع في إغلاق الباب. فيما أدارت القفل، إستدارت على وقع خطوات غريبة. عبر النافذة لمحت رجلًا يرتقي السلّم بسرعة. ثوانٍ قليلة وكان يواجهها. حدّقت في وجهه، تملّكها الخوف، فعجزت عن الصراخ. كان لين باركر. راح يضرب بشدّة على الباب، ومن ثمّ استدار وهبط الدرجات مُسرعًا نحو الشارع.

الجمعة 1 مارس

تـردّدت غريتا شيريدان بين النهوض من السرير أو النوم لساعة إضافيّة. كانت ريح مارِس الشماليّة الباردة تضرب واجهات النوافذ الزجاجيّة، فتذكّرت أنّ كريس قد كرّر عليها مرارًا ضرورة استبدال الواجهات تلك.

تسلّل نور الصباح عبر الستائر المُسدلة. كانت غريتا تميل إلى النوم في غرفة باردة إلى حدّ ما، فأحسّت بالدفء تحت اللحاف وغطاء السرير. كانت تحلم بِنان. أسبوعان يفصلان عن ذكرى وفاتها، في الثالث عشر من مـارِس. كانت قد أكملت عامها التاسع عشر قبل يوم من ذلك. لو كانت حيّة تُرزق لاحتفلت هذه السنة بعيدها الرابع والثلاثين.

رفعت غريتا عنها اللحاف والغطاء وتناولت ثوب النوم المخمل، وقامت من السرير. إنتعلت الخُفّين وعبرت الرواق، ثمّ نزلت السلالم إلى الطابق الأرضيّ. لقد تفهّمت مخاوف كريس وقلقه. فالمنزل كبير والجميع يعرف أنّها تسكن فيه بمفردها. لطالما حذّرها كريس قائلًا: «من السهل لِسارق محترف أن يُعطّل جهاز الأمان».

«أُحبّ هذا المنزل.» فكلّ غرفة فيه حضنت بين جدرانها ذكريات سعيدة. كانت تشعر بأنّها إن تخلّت عن المنزل ستكون قد تخلّت أيضًا عن الذكريات. كما أنّها فكّرت بكريس. ماذا لو قرّر الزواج في يوم من الأيّام؟ سيسعد أحفادها بزيارة منزل العائلة.

وجدت صحيفة التايمز عند عتبة الباب. شرعت تقرأها بانتظار جهوز القهوة. وقعت عينها على خبر موجز في الصفحة الداخلية عن تلك الفتاة التي وجدت ميتة في نيويورك الأسبوع الماضي. جريمة مُقلّدة. يا لها من فكرة رهيبة. مجرمان شرّيران، سلب أحدهما نان الحياة وقتل الآخر إيرين كيلي. هل كانت هذه الأخيرة لتنجوَ من الموت لو لم يُبثّ البرنامج؟

تساءلت عمّا حاولت تذكّره وهي تُصرّ على مشاهدة البرنامج. نان، لقد بُحتِ لي بأمر تعيّن عليّ أخذه بعين الاعتبار.

تذكّرت نان وهي تُحدّثها عن المدرسة والدروس وعن أصدقائها والشباب الذين تخرج معهم. نان التي كانت تتطلّع إلى متابعة البرنامج الصيفيّ في فرنسا. نان التي أحبّت الرقص. «كان بإمكاني أن أرقص الليل بطوله.» أغنية لكأنّها كُتبت لها.

لقد وُجدت قدم إيرين كيلي هي أيضًا في حذاء عالي الكعب. عالي الكعب؟ ماذا تعني هاتان الكلمتان؟ فتحت غريتا صفحة الكلمات المتقاطعة.

رنّ جرس الهاتف. غريغوري لايتون. التقته خلال عشاء النادي. قاضٍ في أوائل الستّينات يعيش في كينت، على بعد أربعين ميلًا من منزلها. همست لها عنه بريسيلا كلايبورن: «أرمل جذّاب». لقد كان جذّابًا بالفعل. اتّصل ليدعوها إلى تناول العشاء الليلة. وافقت غريتا ووضعت السمّاعة مكانها، وقد أدركت أنّها تتطلّع إلى تلك الأمسية.

وصلت دوروثي عند التاسعة. قالت لها: «آمل ألّا تكوني مضطرّة إلى الخروج هذا الصباح، سيّدة شيريدان. فالطقس عاصف.» كانت تحمل البريد وعلبة كبيرة تحت ذراعها. وضعت كلّ شيء على الطاولة، وقطّبت حاجبيها. «غريب. العلبة بلا عنوان. آمل أنّها لا تحوي قنبلة أو شيئًا من هذا القبيل.»

«على الأرجح، إنّه طردٌ مشبوه مرتبط بالبرنامج اللعين.» بدأت غريتا بفتح العلبة وقد اعتراها الذعر. «لا يبدو لي الأمر مزحة. سوف أتّصل بِغلين مور.»

كان مفوّض الشرطة، غلين مور، قد وصل للتوّ إلى مكتبه في مقرّ الشرطة. أجابها بحزم: «لا تلمسي العلبة، سيدة شيريدان. سوف نأتي في الحال.» إتّصل بمركز شرطة الولاية فوعدوه بإرسال كاشف القنابل إلى منزل شيريدان.

عند العاشرة، قام كاشف القنابل بتفحّص العلبة بواسطة الأشعّة. أمّا غريتا ودوروثي فطُلب منهما ملازمة غرفة الجلوس، حيث تناهت إلى مسمعهما ضحكته. فسارعتا إلى المطبخ. طمأنها: «لن ينفجر الطرد. فهو يحوي زوجًا غير منسّق من الأحذية.»

إنتبهت غريتا لتعابير الدهشة على وجه مور ولتغيّر لونه، فيما كان كاشف القنابل يفتح الطرد ويكشف عن علبة أحذية، على غطائها رسم لحذاء سهرة. رفع كاشف القنابل الغطاء، فإذا به يجد فردتَين ملفوفتَين. فردتان ملفوفتان في ورقة من حرير: حذاء سهرة عالي الكعب وحذاء رياضة قديم.

«نـان! يا إلـهي!» لم تشعر غريتا بِمور وهـو يمسك بها فيما تفقد وعيها.

@ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد ٤٤

عند الثالثة من صباح الجمعة، إستفاقت دارسي من نوم مضطرب على رنّة الهاتف. مدّت يدها لتناول السمّاعة ونظرت إلى الساعة على شاشة المُنبّه. قالت «ألو» بسرعة، وهي تلهث.

«دارسي.» سمعت أحدهم يهمس باسمها. بدا لها الصوت مألوفًا، لكنّها لم تتعرّف إلى المتكلّم.

«مَن المتّصل؟»

تحوّل الهمس إلى صراخ: «إيّاك أن تُغلقي الباب في وجهي مرّة أخرى! هل تسمعينني؟ هل تسمعينني؟»

لين باركر. أقفلت الخطّ وتغطّت باللحاف. لم تمضِ ثوانٍ قليلة حتّى سمعت رنّة الهاتف من جديد. لم ترفع السمّاعة. تواصلت الرنّة. خمس عشرة، ستّ عشرة لا بل سبع عشرة مرّة رنّ الهاتف. كان بإمكانها فصل سمّاعة الهاتف لكنّها لم تحتمل فكرة لمسها، وقد علمت أنّ باركر هو المتّصل. أخيرًا توقّف رنين الهاتف. فصلت دارسي السمّاعة وأسرعت إلى غرفة الجلوس حيث شغّلت آلة تسجيل المكالمات، وعادت إلى السرير، بعد أن أغلقت باب الغرفة وراءها.

هل تصرّف بالطريقة نفسها مع إيرين؟ هل لحق بها عندما تركته وحيدًا في المطعم؟ لربّما لحق بها إلى الحانة حيث كان يُفترض بها لقاء رجل يُدعى تشارلز نورث. هل أرغمها على مرافقته في سيّارة ما؟

سوف تتّصل بفينس دامبروزيو في الصباح.

لم يغمض لها جفن في الساعتين اللتين تلتا الاتّصال المشؤوم، لكنّها عادت فغرقت في نومٍ اضطربت فيه الأحلام المبهمة.

إستفاقت عند السابعة والنصف وقد غمرها إحساس بالخوف ما لبثت أن أدركت سببه. أخذت حمّامًا ساخنًا، فارتاحت من بعض التوتّر الذي انتابها. إرتدت الجينز وكنزة، وانتعلت جزمتها المفضّلة.

لم تكن آلة تسجيل المكالمات قد سجّلت أيّ اتّصال. جلست إلى الطاولة القريبة من النافذة تشرب العصير والقهوة. راحت تتأمّل الحديقة الحزينة. عند الثامنة، رنّ الهاتف. تمنّت ألّا يكون المتّصل لين باركر. قالت «ألو» بحذر.

«دارسي، أعتذر عن اتّصالي المبكّر. لقد أردتُ التعبير لك عن استمتاعي بالعشاء معك البارحة.»

تنفّست دارسي الصعداء. «مايكل، وأنا أيضًا سُررت برفقتك.»

«لقد حصل أمر ما. ما هو؟»

كان القلق في صوته مصدر ارتياح لها، فأخبرته عن لين باركر، وعن محاولته اقتحام شقّتها واتّصاله الهاتفيّ.

قال لها: «ألوم نفسي لأنّني لم أرافقك إلى داخل الشقّة.»

«أرجوك لا تلُم نفسك.»

«دارسي، إتّصلي بعميل الأف. بي. أي. وبَلّغي عن باركر. وهَلّا توقّفت عن الردّ على تلك الإعلانات؟»

«لا أظنّ أنّني سأفعل، لكنّني سأتّصل بفينس دامبروزيو في الحال.»

ودّعته وأقفلت الخطّ، مرتاحة بعض الشيء.

إتّصلت بفينس من المكتب. إلى جانبها وقفت بيف متعجّبة، وهي تتحدّث إلى عميل آخر. لقد ذهب فينس إلى لانكاستير فدوّن العميل الذي ردّ على الاتصال المعلومات التي أعطته إيّاها.

«نحن نتعاون في هذه القضيّة مع دائرة الشرطة. سوف نتحرّى عن الرجل. شكرًا آنستي.»

إتّصلت نونا وأعلمتها بذهاب فينس إلى لانكاستير. «دارس، ما يجري مخيف. لربّما شاهد أحد المنحرفين الحلقة من برنامج «جرائم

واقعيّة» وقام بتكرارها. ما يعني أنّ القاتل ينفّذ جرائمه منذ وقت طويل. كلير بارنز اختفت منذ سنتين. كانت تجمعها وإيرين نقاط شبه كثيرة. كانت على وشك الحصول على دورها الأوّل في مسرحية غنائية في برودواي. أمّا إيرين فكانت قد حصلت على طلبيّتها الأولى من محلّ برتوليني.»

طلبيّتها الأولى من محلّ برتوليني. كانت إيرين قد أخبرتها عن استلامها مبلغ عشرين ألف دولار لقاء تصميم القلادة وتنفيذها. لكنّها، مع تسارع الأحداث، نسيت أمر الرسالة الغريبة التي سمعتها على آلة تسجيل المكالمات الخاصّة بإيرين. سوف تتّصل بمحلّ المجوهرات للتأكّد من الأمر، ما إن تعود إلى المكتب.

ردّ ألدو ماركو على اتّصالها. هل كانت فردًا من عائلة إيرين تتّصل لتقصّي بعض المعلومات؟

بادرته بالقول: «أنا منفّذة وصيّة إيرين كيلي.» صدمها ردّه. فقد أبلغها بأنّ إدارة المحلّ قد سدّدت المبلغ لمدير أعمال الآنسة كيلي، جاي ستراتون. هل ثمّة مشكلة؟

أجابته: «طبعًا ليس من مشكلة.» لقد زعم ستراتون أنّه مدير أعمال إيرين.

لم يكن في المنزل. تركت له رسالة جافّة مفادها أن يعاود الاتّصال بها في الحال بشأن الشيك الخاصّ بإيرين.

إتّصل جاي ستراتون قبيل الخامسة. قال لها: «آسف. كان يجدر بي الاتّصال بك قبل ذلك. لم أكن في المكتب. بِأمر مَن أُحرّر الشيك؟» قال لدارسي أنه لم يكفّ عن التفكير في إيرين خلال وجوده خارج المدينة. «تلك الفتاة الرائعة الموهوبة. أنا واثق من أنّ أحدهم عَلِم

بأمر المجوهرات التي حملتها فقتلها للحصول عليها وحاول أن يُظهر الجريمة جريمة مقلّدة.»

من بين الناس جميعًا، كنت أنت من يعرف بأمر المجوهرات. بذلت جهدًا للإصغاء إلى ستراتون وللردّ على تعليقاته المشوبة بالتعاطف معها. سيكون خارج المدينة لبضعة أيّام. وافقت على لقائه مساء الإثنين.

أقفلت دارسي الخطّ وبقيت لدقائق شاردة الذهن، غارقة في أفكارها. ثمّ قالت بصوت عال: «سيّد ستراتون، أنتَ على حقّ، من الضروري تعارف اثنين من أصدقاء إيرين المقرّبين». تنهّدت. حريٌّ بها إنجاز بعض الأعمال قبل أن يحين الوقت لمقابلة صاحب صندوق البريد 1527.

قصد فينس لانكاستر على متن الرحلة الأولى من صباح الجمعة، وقد طلب من كلير بارنز ألّا تخبر أحدًا من خارج العائلة عن علبة الأحذية. لكن، لدى وصوله إلى المطار، قرأ الخبر في العنوان الرئيسي للصحيفة المحلّيّة فاتّصل بمنزل آل بارنز، وعلم من الخادمة أنّ السيّدة بارنز قد أُدخِلت المستشفى على عجل ليلة الأمس.

كان لورانس بارنز رجلًا ممتلئ الجسم، وقورًا. جلس إلى حافّة السرير وبقربه صبيّة، وهو شاخصٌ بقلق إلى زوجته النائمة تحت تأثير المهدّئات والمنوّمات. أراه فينس بطاقته، وطلب منه أن يلحق به إلى الرواق.

عرّفه بارنز بالفتاة التي كانت ابنته الثانية كارن، وقال لفينس بصوت متهدّج: «صادف وجود صحفيّ في غرفة الطوارئ لدى وصولنا. فسمع إيمّا وهي تصرخ وتُخبر عن العلبة وعن موت كلير».

«أين الحذاء؟»

«في المنزل.»

إصطحبته كارن بارنز إلى المنزل لجلب الحذاء. كانت محامية، تعمل في بيتسبورغ، وهي، خلافًا لوالديها، لم تغُذِّ يومًا أيّ أمل في ظهور كلير من جديد.

«لو كانت على قيد الحياة لكانت تدبّرت أمرها للعزف في عرض تومي تيون.»

كان آل بارنز يملكون، في أحد الأحياء الفخمة، منزلًا قديمًا يمتدّ على نصف هكتار تقريبًا. في الشارع، كان ثمّة شاحنة تابعة لقناة تلفزيونيّة. إجتازتها كارِن بسرعة، وقطعت الممرّ، ثمّ توقّفت في الباحة الخلفيّة للمنزل بعد أن منع رجل الشرطة أحد الصحفيّين من اعتراض طريقها.

دخلا غرفة الجلوس حيث انتشرت صور العائلة، وفيها كارن وكلير في سنّ المراهقة. أمسكت كارن بواحدة منها كانت موضوعة على البيانو. «لقد التقطتُ هذه الصورة لكلير في المرّة الأخيرة التي رأيتها فيها. كنّا في سنترال بارك، قبل أسابيع قليلة من اختفائها.»

فتاة هيفاء جميلة، شقراء، في أوائل العشرينات، ارتسمت على ثغرها ابتسامة فرحة. قال فينس في نفسه: «أنت تُحسن الاختيار، أيّها المجرم السافل.» سأل كارن: «هل يمكنني أخذ هذه الصورة؟ سوف أنسخها وأعيد إليك الأصليّة.»

كانت العلبة على الطاولة في الردهة، ملفوفة بورق بنّيّ عاديّ كُتِب عليه العنوان بالأحرف الكبيرة. أُرسِلت من نيويورك. ميزتها الوحيدة ذاك الرسم على الغطاء الذي يظهر حذاء عالي الكعب. وجد

في العلبة فردة حذاء بيضاء وأخرى ذهبيّة اللون، مفتوحة عند الطرف وعالية الكعب، والفردتان من القياس نفسه.

«هل أنتِ متأكّدة من أنّ الحذاء الأبيض لها؟»

«نعم. لديّ زوج مشابه. لقد اشترينا الزوجين معًا من نيويورك.»

«منذ متى تردّ أختك على الإعلانات الشخصيّة؟»

«منذ حوالى ستّة أشهر. لقد استجوبت الشرطة الأشخاص الذين ردّت على إعلاناتهم أو أقلّه الأشخاص الذين وجدتهم.»

«هل وضعت هي إعلانًا؟»

«لا، ليس على حدّ علمي.»

«أين كانت تسكن في نيويورك؟»

«في الشارع الغربي، في مبنى من ثلاث طوابق. لقد دفع والدي الإيجار لسنة بعد اختفائها، ثمّ توقّف عن ذلك.»

«أين وضعتم أغراضها؟»

«لم نجد فائدة من شحن الأثاث. أمّا الملابس والكتب فهي في غرفتها، في الطابق العلويّ.»

«أودّ إلقاء نظرة عليها.»

وجد فينس على أحد رفوف الخزانة صندوقًا وُضّبت فيه بعض الأغراض. قالت له كارن: «أنا وضّبت هذه الأغراض: دفتر عناوين ومفكّرة وبعض القرطاسية والبريد. عندما أبلغنا عن اختفائها، قامت شرطة نيويورك بتفتيش أوراقها الشخصيّة.»

أنزل الصندوق وفتحه. أوّل ما رأته عينه مفكّرة تعود إلى سنتين. تصفّحها بسرعة. لقد كانت الصفحات، من يناير إلى أغسطس، مليئة بالمواعيد. لم يرَ أحد كلير بارنز بعد الرابع من أغسطس.

قالت له كارن بصوت مرتعش: «ما يُعقّد الأمور هو أنّ كلير اعتادت كتابة مصطلحات مختصرة. أُنظر حيث كتبت «جيم». قصدت بذلك ستوديو جيم هاورث حيث تدرّبت على الرقص. أنظر هنا إلى التاريخ، 5 أغسطس: «تومي». أي التمرين على عرض تومي تيون في الغراند أوتيل. كانت قد ضُمّت إلى الفرقة منذ مدّة وجيزة.»

راح فينس يقلّب الصفحات. في الخامس عشر من يوليو، عند الخامسة، وجد «تشارلي».

تشارلي!

أشار إلى الاسم، بدون أن يُولي الأمر أهمّية وسألها: «هل تعرفين من يكون هذا الشابّ؟».

«لا. مع أنّها كلّمتني عن شابّ يُدعى تشارلي دعاها إلى الرقص في إحدى المرّات. لا أظنّ أنّ الشرطة قد عثرت عليه.» شحُب وجه كارن بارنز. «فردة الحذاء تلك. إنّها للرقص.»

«صحيح. آنسة بارنز، من فضلك، فليبقَ إسم ذاك الرجل سرّاً بيننا. بالمناسبة، ما هي الفترة التي أمضتها أختك في الشقّة؟»

«حوالى سنة واحدة. قبل ذلك، كانت تسكن في شقّة في وسط المدينة.»

«أين؟»

«كريستوفر ستريت. في 101 كريستوفر ستريت.»

عند الخامسة إلّا ربعًا، سلّمت دارسي بيف الفواتير الأخيرة المستحقّة، واتّصلت بوالدة المراهِقة المريضة. علمت منها أنّ الفتاة عائدة إلى المنزل في نهاية الأسبوع التالي. عظيم! فالدهّان الذي استخدمته دارسي لطلاء الغرفة كان قد بدأ عمله. أكّدت دارسي للسيّدة: «سوف تجهز الغرفة بحلول يوم الأربعاء.»

ظنّت أنّها حسنًا فعلت بإحضار بعض الملابس معها هذا الصباح. استبدلت الجينز والكنزة بقميص من الحرير أسود بأكمام طويلة وتنّورة إيطاليّة الطراز، باللونين الأخضر والذهبيّ. سلسلة من الذهب حول عنقها. سوار في اليد وأقراط. كلّها من تصميم إيرين. نزعت الدبوّس من شعرها وراحت تسرّحه، فتدلّى خصلًا حول وجهها.

عادت بيف في اللحظة التي انتهت فيها من وضع ظلال الجفون. قالت لها: «تبدين رائعة الجمال دارسي.» تردّدت وأضافت: «أقصد أنّك تتجنّبين، في كثير من الأحيان، إبراز جمالك. وهذا المساء... ربّاه! لا أجد الكلام المناسب للتعبير عن رأيي. أعذريني!»

أجابتها دارسي بلهجة مطمئنة: «ذاك كان رأي إيرين أيضًا في أغلب الأحيان. لطالما دفعتني إلى التبرّج وإلى ارتداء الأزياء الفاخرة التي كانت والدتي تُرسلها إليّ.»

أمّا بيف فكانت ترتدي تنّورة وكنزة، كثيرًا ما رأتهما دارسي. «بالمناسبة، ماذا عن ملابس إيرين؟ هل ناسبت مقاسك؟»

«ممتازة. يُسعدني أنّك أعطيتني إيّاها. فأسعار الملابس قد ارتفعت من جديد. أقسم لك بأنّني مع ارتفاعها فكّرت في استخدام الستائر لخياطة الفساتين، على غرار سكارليت أوهارا.»

ضحكت دارسي. «ذاك هو المشهد المفضّل لديّ في فيلم «ذهب مع الريح». إسمعي. لقد تمنّيتُ عليك ألّا تحضري إلى المكتب بملابس إيرين، لكنّني الآن أؤكّد لك أنّها كانت لتُرحّب بذلك. لذا يمكنك ارتداؤها متى شئتِ.»

«أنت متأكّدة ممّا تقولين؟»

مدّت دارسي يدها وتناولت كاب الكاشمير إستعدادًا للمغادرة.

كانت على موعد مع صاحب صندوق البريد 1527، واسمه دايفيد ويلد. إتّفقا على اللقاء عند الخامسة والنصف في مطعم سميث وولينسكي. قال إنه سيجلس في انتظارها على الكرسيّ الأخير من البار، أو إنه سيكون واقفًا بالقرب منه. شعرٌ بنّيّ، عينان كستنائيّتان، الطول أكثر بقليل من متر وثمانين سنتيمترًا. يلبس بزّة داكنة.

كان سهلًا التعرّف إليه.

جلسا، وجهًا لوجه، إلى إحدى الطاولات الصغيرة. سُرعان ما استلطفته دارسي. لقد ولد وترعرع في بوسطن. عمل في مجموعة متاجر هولدن. في السنوات الثلاث الأخيرة، تنقّل في عمله بين الولايات الثلاث، متابعًا تطوّر المجموعة وتوسّعها.

قدّرت دارسي أنّه في أواسط الثلاثينات وما لبثت أن تساءلت عن العلاقة بين العمر هذا والسبب الذي يحدو بالشبّان العازبين إلى الردّ على الإعلانات.

لم تجد دارسي صعوبة في إدارة الحديث. أخبرها أنّه ترك منزل العائلة للاستقرار في شمال شرق البلاد. كان والده، ومن قبله جدّه، موظّفين في مجموعة متاجر هولدن. أمّا هو فبدأ يعمل هناك مذ كان طفلًا، بعد المدرسة، أيّام السبت، في عطلة الصيف. باح لها قائلًا: «لم يخطر ببالي يومًا أن أعمل في مجال آخر. فحبّ التجارة يجري في دم العائلة.»

لم يسبق له أن التقى إيرين. لقد قرأ عن وفاتها في الصحف.

«كلّ ما أرجوه من وضع الإعلانات هو التعرّف إلى فتاة ذكيّة جذّابة. وأنتِ كذلك.»

«شكرًا.»

«يسرّني تناول العشاء معك إن لم تكوني مرتبطة.» نظر إليها وكلّه أمل في أن تقبل دعوته، لكنّه لم يُصرّ.

«بصراحة، لا يمكنني قبول دعوتك. لكنّني واثقة من أنّك قد التقيت فتيات جذّابات عن طريق الإعلانات، أليس كذلك؟»

إرتسمت ابتسامة على ثغره وأجاب: «لقد التقيت فتاتين جذّابتين. الأولى كانت قد استُخدمت للتوّ في فرع هولدن في نيو جيرسي، في قسم المشتريات. وقد كنت مسؤولًا عنه قبل أن استلم المنصب في الإدارة».

«عمّ كنتَ مسؤولًا؟»

«عن شراء الأحذية لمتاجرنا في نيو إنغلند.»

عاد فينس إلى مكتبه في فيديرال بلازا عند الثالثة من بعد ظهر يوم الجمعة. وجد رسالةً مستعجلة تفيد بضرورة الاتّصال بمفوّض الشرطة مور في داريين. علم فينس منه بأمر العلبة التي أُرسلت إلى منزل آل شيريدان.

«أنت متأكّد من أنّهما نظيرتا الفردتين اللتين كانت نان شيريدان تنتعلهما؟»

«لقد أجرينا المقارنة. معنا الآن زوجا الأحذية.»

«هل علمت الصحافة بالأمر؟»

«لم تعلم شيئًا إلى هذا التاريخ. نحن نحاول التكتّم على الموضوع، لكن لا شيء أكيد. لقد التقيتَ كريس شيريدان. تعرف أنّ الموضوع كان شاغله الأوّل.»

أجاب فينس بسرعة: «وشاغلي أنا أيضًا. ما نعرفه الآن هو أنّ المجرم بدأ نشاطه منذ خمس عشرة سنة، إن لم يكن قبل ذلك. لديه

أسبابه لإرسال ذاك الحذاء في هذا الوقت. أودّ استشارة أحد الأطبّاء النفسيّين لدينا، لمعرفة رأيه في الموضوع. لكن، في حال تبيّن لنا أنّ أحد المستجوبين في قضية نان شيريدان مرتبط أيضًا بمقتل كلير بارنز، نكون قد أمسكنا بخيط جديد.»

«ماذا عن إيرين كيلي؟ هل تستثنيها؟»

«لا أريد التسرّع في الحكم على الأمور. قد يكون مقتلها مرتبطًا بالمجوهرات المختفية، وقد نُفّذ بحيث يبدو جريمة مقلّدة.»

إتّفق فينس معه على الحضور في اليوم التالي لأخذ الحذاء، ومن ثمّ أقفل الخطّ.

كان مُساعده، إيرني سيزيك، وهو شابّ من كولورادو، بانتظاره ليخبره عن اتّصال دارسي بخصوص لين باركر.

قال سيزيك: «هذا الشابّ غريب الأطوار. يعمل في فريق الصيانة في جامعة نيويورك، نابغة في الكهرباء. يمكنه أن يصلح أيّ شيء. وحيد. لكنّه لا يُحبّ إنفاق المال، مع أنّه يتحدّر من عائلة ثريّة. لم يسحب شيئًا من حسابه المصرفيّ منذ عدّة سنوات. بحسب الأمين على أمواله، قد يكون اشترى عقارًا. يبدو أنّه يعيش من مرتّبه في مبنى حالته مزرية، في الجادّة التاسعة. يقود سيّارة ستايشن قديمة، يركنها في الشارع.»

«ماذا عن سجلّه العدليّ؟»

«فيه شكاوى، مثل التي قدّمتها الآنسة سكوت. اللحاق بالفتيات إلى منازلهنّ. إطلاق التهديدات في وجههنّ. الضرب على الأبواب. بارع في وضع الإعلانات الشخصيّة. لكن لا أحد يُبالي برفقته. لغاية هذا التاريخ لم يقم بأيّ اعتداء جسديّ. لا إدانات بحقّه.»

«أحضره إلى هنا.»

«لقد تحدّثتُ إلى طبيبه النفسي. يقول إنه غير مؤذٍ.»

«حتمًا، ليس مؤذيًا. فأمثاله لا يستعرضون نزواتهم في الملأ. ونحن أدرى الناس بأمثاله.»

أعلمت سوزان زوجها بأنّها تنوي تمضية عطلة نهاية الأسبوع مع الأولاد عند والدها، في غيلفورد، كونيكتيكوت، فرحّب دوغ بالفكرة وتحمّس لها. فهو قد تواعد مع تلك الأرملة على الخروج للرقص. لكنّه تساءل ما إذا كان يجدر به فسخ الموعد. فقد تأخّر في العودة إلى المنزل لليلتين متتاليتين، هذا الأسبوع. وإن كانت سوزان قد قدّرت تناولهما العشاء معًا في نيويورك مساء الإثنين، فهي تتصرّف بطريقة غريبة تُحيّره.

لا بأس، فزيارتها منزل والدها مع الأولاد لغاية يوم الأحد ستمنحه ليلتين من الحرّية، سيّما وأنّه لم يعرض عليها مرافقتها. ولا جدوى من ذلك. فوالد سوزان لم يحبّه يومًا، ولطالما لمّح إلى مركز دوغ المهنيّ العظيم الذي يُحتّم عليه السهر لليالٍ طوال. وقد قال له في إحدى المرّات: «أستغرب دوغ أنّك تُرهق نفسك في العمل إلى هذا الحدّ، ومع ذلك تأتيني لاقتراض مبالغ طائلة من المال لشراء المنزل. لِمَ لا نراجع ميزانيتك معًا فأتبيّن المشكلة؟»

تركت سوزان والأولاد المنزل، صباح الجمعة، وودّعها دوغ قائلًا: «إستمتعوا بالعطلة عزيزتي. وبلّغي والدك تحيّاتي».

بعد الظهر من اليوم نفسه، انتظرت سوزان نوم الطفل واتّصلت بوكالة التحرّي للحصول على التقرير المعتاد. دوّنت، بهدوء، المعلومات التي أُبلغت بها، ومنها لقاء تلك السيّدة في حانة سوهو والتواعد معها على الرقص. الشقّة في لندن تيراس باسم دوغلاس

فيلدز. عن ذلك قالت للتحرّي: «كارتر فيلدز صديق قديم له، وهما من الجبلة نفسها. لا تكلّفوا أنفسكم عناء مراقبته من جديد. لا أودّ سماع المزيد عنه.»

كان والدها يُمضي السنة في منزل قديم رائع اعتادت العائلة، في الماضي، قضاء الصيف فيه. لم توفّره الأزمات القلبيّة المتكرّرة فتركت على وجهه شحوبًا كان قلب سوزان ينفطر له. مع ذلك، لم يفقد شيئًا من رجاحة التصرّف والحديث. بعد العشاء، قصد بيث ودوني الجيران للزيارة. أمّا سوزان فوضعت تريش والطفل في السرير ثمّ حضّرت القهوة وحملتها إلى المكتبة.

إنتبهت إلى والدها يرمقها بنظره، فيما تُحضّر له فنجان القهوة، وتضيف إليه المُحلّي وقليلًا من الحامض.

سألها: «متى سأعرف سبب زيارتك المفاجئة، ولو أنّك دومًا على الرحب والسعة؟»

إبتسمت سوزان، وردّت عليه: «أظنّ أنني سأطلّق دوغ».

إنتظر والدها أن تكمل حديثها.

صَلّت سوزان في سرّها: «أرجوك أبي، لا تقل إنّك قد حذّرتني منه قبل الزواج» وتابعت: «لقد كلّفت وكالة تحرٍّ مراقبته، فعرفتُ أنّه استأجر شقّة في نيويورك، تحت اسم دوغلاس فيلدز. يدّعي أنّه رسّام يعمل لحسابه الخاصّ. أنت تعرف أنّه بارع في الرسم. هناك يواعد الكثير من النساء. في الوقت نفسه، لا ينفكّ يقول إنه يعمل كالمجنون، ليُبرّر اجتماعاته الليليّة. لا تنطلي أكاذيبه على دوني الذي بات يحتقره. فهو لا يتوقّع منه أن يتغيّر».

«هل ترغبين في الانتقال للعيش هنا سوزان؟ فالمنزل كبير.»

ردّت عليه بابتسامة امتنان. «ستُصاب بالجنون في غضون أسبوع واحد. لا. المنزل في سكارسدايل واسع. لقد أصرّ دوغ على شرائه للتأثير في أصدقائنا في النادي. في ذلك الوقت، لم يكن لدينا المال لشرائه، واليوم أُدرك سبب ذلك. أنوي بيعه والبحث عن منزل أصغر. كما أنّني أنوي وضع الطفل في مركز يومي لرعاية الأطفال، السنة المقبلة. ثمّة مركز رائع في المدينة. بعد ذلك، أتدبّر وظيفة.»

«لن يكون ذلك سهلًا.»

«سيكون أفضل ممّا أنا عليه في الوقت الحاضر.»

«سوزان، منذ بداية الحديث أتجنّب أن أذكّركِ بأنّني حذّرتك منه. هاكِ الآن نتيجة عنادك. ذاك الرجل زير نساء وذو ميول سيّئة. هل تذكرين عيد ميلادك الثامن عشر؟ في تلك الليلة كان ثملًا عندما أعادك إلى المنزل، فطردته خارجًا. في اليوم التالي، وجدت نوافذ سيّارتي محطّمة.»

«لكنّك لم تتأكّد من أنّ دوغ كان الفاعل.»

«سوزان، لنكن منطقيّين. إن كنت قد قرّرتِ مواجهة الوقائع، فواجهيها كلّها. ردّي على سؤالي: ألم تتستّري عليه عندما استُجوب في موضوع مقتل تلك الفتاة؟»

«نان شيريدان؟»

«طبعًا، نان شيريدان.»

«دوغ ليس قادرًا على...»

«سوزان، في أي ساعة حضر لاصطحابك، صباح اليوم الذي توفّيت فيه؟»

«في تمام السابعة. كنّا ننوي حضور مباراة هوكي في براون.»

«سوزان، لقد انتزعتُ الحقيقة من جدّتك، قبل موتها. في صباح ذاك اليوم، انتظرته وأنت تبكين لأنّكِ حسبتِ أنّه تخلّى عنك. لقد وصل إلى منزلنا بعد التاسعة. على الأقلّ قولي لي الحقيقة اليوم.»

صفق باب المدخل بقوّة ودخل عليهما دوني وليزا. بدا دوني مرتاحًا وسعيدًا. كان يزداد شبهًا بدوغ في العمر نفسه. لقد أُعجبت سوزان بدوغ في الصفّ الثانوي الأوّل.

أحسّت سوزان بألم يعصر فؤادها، واعترفت لنفسها بأنّها لن تنساه تمامًا. تذكّرت أنّه توسّلها في ذاك اليوم: «سوزان، لقد تعطّلت سيّارتي. يحاولون إلقاء التهمة عليّ. يريدون إلقاء اللوم على أحدهم. أرجوك، قولي لهم أنّني أتيت إليك عند السابعة».

إقترب منها دوني وقبّلها. مدّت ذراعها وداعبت شعره، ومن ثمّ التفتت إلى والدها. «أبي، دعك من هذا الكلام. أنت تعرف حالة الضياع التي كانت جدّتي تعاني منها. في تلك الفترة، كانت تخلط بين الأيّام.»

السبت 2 مارس

كانت الساعة الثانية والنصف من صباح السبت، عندما بلغ تشارلي معقله السرّي. لم يسعه مقاومة الرغبة في الذهاب إلى هناك. هناك يكون تشارلي. لا شيء يجبره على الذوبان في الشخصيّة الأخرى. هناك يرقص ويذوب في فريد أستير. يضمّ بين ذراعيه طيف الراقصة، يبتسم له، ويهمس في أذنه. هناك يستمتع بالوحدة، وبروعة المكان. يُسدل الستائر فيحجب عنه أعين المتطفّلين. يكون هو هو، يتصرّف على سجيّته، بلا قيود أو حدود، بمنأى عن فضول الناس. هناك يغوص في بحر ذكرياته الجميلة.

نان. كلير. جانين. ماري. شايلا. ليسلي. أنيت. تينا. إيرين. جميعهنّ يبتسمن له، ويُعبّرن عن سرورهنّ برفقته. لن تتسنّى لهنّ الفرصة، من جديد، للسخرية منه، ولا لازدرائه. راح يتذكّر الشعور بالرضى الذي كان يغمره في نهاية كلّ رقصة، عندما كنّ يُدركن المصير الذي رسمه لكلّ منهنّ. نَدِم لأنّه لم يعط نان الفرصة لتدرك ما يحدث ولتتوسّله. ليسلي وأنيت قد توسّلتاه ليُبقيهما على قيد الحياة. أمّا ماري وتينا فأجهشتا بالبكاء.

غالبًا ما كان يستعيد ذكرى ضحاياه. أحيانًا يَراهُنَّ مجتمعات بينما تظهرن، في أحيان أخرى، كلّ على حدى. «غيّر شريكة الرقص وراقصني أنا.»

لا شكّ في أنّ أوّل علبتين أرسلهما قد وصلتا إلى الأشخاص المعنيّين. ليته يتحوّل إلى تلك الفأرة السحريّة ليتأمّل ردّة الفعل، لدى فكّ العلبة، وليرى القلق يستحيل إدراكًا للحقيقة.

جريمة مقلّدة.

بعد اليوم لن يطلقوا عليها هذه التسمية. أيّ علبة ستكون التالية؟ العائدة إلى جانين أو ماري؟ جانين. لقد قتلها في 20 سبتمبر منذ سنتين. سوف يُسارع إلى إرسال العلبة الخاصّة بها.

نزل إلى الطابق السفليّ. يا له من منظر جميل وساحر، منظر عُلب الأحذية. وضع قفّازات البلاستيك التي اعتاد استعمالها لدى التعامل مع مقتنيات الفتيات، وأمسك بالعلبة التي كُتب عليها «جانين». سوف يُرسلها إلى أهلها في وايت بلاينز.

توقّف عند البطاقة الأخيرة التي حملت اسم إيرين، وأطلق ضحكة عصبيّة. لِم لا يُرسل علبتها الآن، فيقضي بذلك على نظريّة الجريمة المقلّدة؟ كانت قد أخبرته أنّ والدها يعيش في مصحّ. سوف يُرسل العلبة إلى عنوانها في نيويورك.

لكن ماذا لو عمد أحد سكّان البناية إلى تسليم العلبة إلى الشرطة؟ سيذهب تعبه هدرًا وينتهي الأمر بالعلبة في زاوية مُغبرة.

ماذا لو أرسلها إلى المشرحة؟ فذاك كان عنوانها الأخير في نيويورك. أعجبته الفكرة.

يجدر به، قبل كلّ شيء، مسح الأحذية والعُلب بعناية، لمحو البصمات، ومن ثمّ إخراج الأوراق الثبوتيّة. صحيح أنّه تخلّص من

«الجزادين»، لكنّه أبقى على محافظ الجيب. أمّا الخطوة التالية فكانت لفّ فردتي الحذاء غير المتناسقتين بورق للهدايا. وضع الغطاء على كلّ علبة، وراح يتأمّل الرسوم التي نفّذها عليه. لاحظ أنّها كانت تتحسّن من فتاة إلى أخرى. فالرسوم على علبة إيرين أظهرت لمسة شخص محترف.

ورق بُنّي لِلفّ العلبة، وشريط لاصق. بطاقة عليها العنوان. كان يستعمل البطاقات العادية التي يمكن شراؤها من أيّ مكان في الولايات المتّحدة.

بدأ بتدوين العنوان على العلبة الخاصّة بجانين. والآن أتى دور إيرين. سوف يحصل على عنوان المشرحة من دليل هاتف نيويورك.

قطّب تشارلي حاجبيه. ماذا لو رفض أحد المسؤولين عن البريد فتح الطرد وأعاده إلى الساعي؟ «لا أحد بهذا الاسم يعمل هنا.» بالتالي، ينتهي الطرد في قسم الرسائل الضائعة.

فكّر تشارلي في احتمال آخر. تردّد، ومن ثمّ قهقه وقال في نفسه أنّ فكرته لربّما حيّرت المحقّقين وضلّلتهم.

بدأ بطباعة إسم الشخص الذي اختاره لاستلام جزمة إيرين وحذاء السهرة.

دارسي سكوت...

يوم السبت، التقت دارسي صاحب صندوق البريد 1143. كان يُدعى ألبرت بوث. تواعدا على تناول الغداء في مقهى فيكتوري. قدّرت عمره بأربعين سنة. خلال حديثهما عبر الهاتف، أعادت على مسمعه نصّ الإعلان الذي وضعه. فقد ادّعى أنّه خبير في المعلوماتيّة، يهوى

القراءة والتزلّج ولعب الغولف. من هواياته الأخرى رقص الفالس والتجوّل في المتاحف وسماع الموسيقى. وهو يتمتّع بروح النكتة. وهـذا ما لمسته، في بداية اللقاء. لكن، وفور انتهائها من فنجان القهوة الأوّل، عادت وشكّت في مزاعمه الأخرى، باستثناء براعته في المعلوماتيّة. فمظهره المترهّل لم يوحِ البتّة بأنّه متزلّج، أو لاعب غولف، أو راقص فالس.

إقتصر حديثه على تاريخ الكمبيوتر، ماضيه وحاضره ومستقبله.

«منذ أربعين عامًا كنّا بحاجة إلى مجموعة من التجهيزات لتنفيذ ما يقوم به، منفردًا، هذا الجهاز الموضوع على مكتبك.»

«لم أشترِ جهاز كمبيوتر إلّا في السنة الماضية.»

بدا متفاجئًا.

فيما كان يتناول طبق البيض، أبدى لها اشمئزازه من الحيلة التي يستخدمها التلامذة للتلاعب بالتقارير المدرسيّة، وذلك بواسطة البرامج المعلوماتيّة. «يجب أن يُسجَنوا لخمس سنوات وأن يُسدّدوا غرامة عالية.»

طلبا القهوة. فيما كانا يرتشفانها، راح يعرض لها نظريّته القائلة بأنّ مصير الحروب، في المستقبل، رهنٌ بخبراء قادرين على اختراق الأنظمة المعلوماتيّة الخاصة بالعدو وبتغيير البيانات. «أنت حتمًا تفهمين ما أعنيه. يحسب أحد الأطراف في الحرب أنه يملك 2000 رأس نوويّ في كولورادو. غير أنّ أحدهم يُحوّلها إلى 200 رأس. يُنشَر الجيش. تتغيّر الإحصاءات. أين الفرقة الخامسة؟ والسابعة؟ تختلط الأمور. هل توافقينني الرأي؟»

«بكلّ تأكيد.»

فجأة، ابتسم بوث وقال لها: «أنت مستمعة جيّدة، دارسي. نادرات هنّ الفتيات اللواتي يُحسنّ الاستماع.»

ملاحظةٌ كانت بمثابة الإشارة التي انتظرتها دارسي. «لقد بدأتُ مؤخّرًا بالردّ على الإعلانات الشخصيّة. أنتَ حتمًا تلتقي فئات متنوّعة من الفتيات. كيف تصف معظمهنّ؟»

«معظمهنّ مُضجرات.» مال ألبيرت قليلًا، وأضاف: «إسمعي، هل تودّين أن تعرفي مع من خرجت منذ أسبوعين؟»

«مع من؟»

«الفتاة التي قُتلت. إيرين كيلي.»

حاولت دارسي أن تحافظ على تماسكها وسألته: «وكيف كانت؟»

«فتاة جميلة وساحرة. لكنّها كانت منشغلة بمسألة ما.»

تمسّكت دارسي بفنجان القهوة. «هل أفصحت لك عمّا يشغل بالها؟»

«طبعًا. أخبرتني أنّها كانت تنهي قلادة تُعدّ بمثابة مشروعها الضخم الأوّل، وأنّها ستبحث عن شقّة أخرى ما إن تقبض ثمنها.»

«لأيّ سبب كانت تودّ تغيير الشقّة؟»

«قالت لي أنّ مُراقب المبنى كان دومًا يستغلّ مرورها إلى جانبه للتحرّش بها، ويختلق الذرائع لدخول شقّتها. تسرّبٌ للماء، عطلٌ في نظام التدفئة، وأشياء من هذا القبيل. برأيها لم يكن مؤذيًا، لكنّ مجرّد رؤيته في غرفة نومها كان يُزعجها. وأظنّ أنّ هذا ما حصل عشيّة لقائنا.»

«ألا ترى أنّه من الضروري إبلاغ الشرطة بالأمر؟»

«لن أفعل. فأنا أعمل لشركة أي. بي. أم. وهم لا يستحسنون أن تأتي الصحافة على ذكر اسم أحد موظّفيهم، إلّا في حالات الزواج

أو الوفاة. إذا عَلِمت الشرطة بالأمر بدأت التحريّات عني. لكن.. لربّما بعثت لهم برسالة من مجهول؟»

إستنفد جهاز المعلومات في الأف. بي. أي. طاقاته كاملة، وبسرعة قياسية، للعثور على التاجر الذي باع حذاء السهرة المُرسل إلى والدي كلير بارنز، وذاك الذي وجد حول قدم إيرين كيلي. في حالة نان شيريدان، كانت الشرطة قد رصدت، منذ خمس عشرة سنة، المتجر حيث بيع الحذاء، وهو كائن في ولاية كونيكتيكوت.

أمّا الحذاء الذي وجد حول قدم كلير بارنز، فكان من تصميم شارل جوردان، ومعروفٌ أنّه يُباع في المتاجر الفخمة في أنحاء البلاد كافّة. يُباع منه عشرة آلاف زوج. لذا من المستحيل رصده. أمّا بالنسبة إلى الحذاء العائد إلى إيرين كيلي فكان من تصميم سلفاتور فيراغامو.

إنكبّ محقّقو شرطة نيويورك على مسح المحلّات الكبرى مسحًا دقيقًا، ومنها محلّات بيع الأحذية والسلع ومحلّات التنزيلات.

استُدعيَ لين باركر للإستجواب. فبدأ يُخبر عن المعاملة الفظّة التي أبدتها تجاهه دارسي. «لقد أردتُ الاعتذار. أُقرّ بأنّني كنتُ خسيسًا معها. لربّما كانت على موعد مع أحدهم على العشاء. لحقتُ بها وتبيّنتُ أنّها لم تكن تكذب. إنتظرتها خارجًا، في جوّ بارد، فيما كانت تأكل في المطعم الفخم ذاك.»

«إكتفيتَ بانتظارها؟»

«نعم.»

«وبعد ذلك؟»

«إستقلّت سيّارة أجرة مع شابّ فحذوت حذوها، ولحقت بها. ترجّلَت من سيّارة الأجرة، عند طرف الشارع. رأيت الشابّ يُرافقها إلى

الباب، ومن ثمّ غادر. عند ذلك، عبرتُ الشارع إلى المبنى. أردتُ الاعتذار، لكنّها صفقت الباب في وجهي.»

«ماذا عن إيرين كيلي؟ هل لحقتَ بها؟»

«ولِمَ أفعل؟ فهي لم تُبالِ بي. ولربّما كان الذنب ذنبي. فلقد كنتُ سيّئ المزاج، يوم لقائنا. قلت لها إنّ النساء جميعهنّ، بلا استثناء، مغامِرات قذرات يسعين وراء المال.»

«لِم أخفيتَ الأمر عن دارسي سكوت؟ فهي عندما سألتك عن إيرين، نكرتَ معرفتها ولقاءها.»

«لأنّني عرفتُ أنني سأنتهي هنا.»

«هل تسكن في الجادة التاسعة من الشارع الثامن والأربعين؟»

«نعم.»

«عرّفنا من الأمين على أموالك في المصرف أنّك تملك مسكنًا آخر. فقد سحبتَ مبلغًا كبيرًا من المال منذ خمس أو ستّ سنوات.»

«المال مالي، أُنفقه كما أشاء.»

«هل اشتريتَ منزلًا آخر؟»

«هيّا، قدّموا الإثبات على ذلك.»

بعد الظهر من يوم السبت، وفور الانتهاء من استجواب لين باركر، قاد فينس دامبروزيو سيّارته إلى 101 كريستوفر ستريت ودقّ الباب. أتى غاس بوكسر لفتحه، متذمّرًا. كان يرتدي قميصًا داخليًّا طويل الأكمام، وسروالًا بشعًا. لم يعبأ بِشارة الأف. بي. أي. على سترة فينس بل قال له: «أنا خارج الخدمة. ماذا تريد منّي؟»

«أريد التحدّث إليك، غاس. فهل تفضّل أن نبقى هنا أو نقصد مقرّ الأف. بي. أي.؟ وأنصحك بأن تتخلّى عن موقفك المتعنّت والمكابر. ملفّك على المكتب عندي، سيّد هوفمان.»

إلتفت بوكسر يمينًا ويسارًا بارتباك وردّ على فينس: «تفضّل بالدخول، واخفض صوتك».

«لم أشعر بأنّني قد رفعته.»

سبقه بوكسر إلى شقّته في الطابق الأرضيّ. كانت الشقّة تعكس شخصيّة بوكسر تمامًا، كطريقة لباسه، فلم يتفاجأ فينس. أثاث قديم ومُتّسخ. بقايا سجّادة كانت في الماضي بلون البيج، طاولة متداعية تكوّمت عليها المجلّات الإباحيّة.

تصفّحها فينس بسرعة وقال: «لديك مجموعة كبيرة منها».

«هل من قانون يمنعني من ذلك؟»

ضرب فينس بيده على المجلّات وردّ على بوكسر: «إسمع هوفمان، لم يكن لدى الشرطة مأخذ عليك في يوم من الأيّام. غير أنّ اسمك يظهر تكرارًا على شاشة الكمبيوتر. منذ عشر سنوات، كنتَ بوّابًا في مبنى وجدت فتاة في العشرين من عمرها مقتولة في الطابق السفليّ منه».

«لا علاقة لي بالموضوع.»

«كانت الفتاة قد تقدّمت لإدارة المبنى بشكوى بحقّك، مفادها أنّك دخلت شقّتها في غيابها، ووجدتك تفتّش في خزانة ملابسها.»

«كنتُ أحاول كشف تسرّب للماء في الحائط، خلف الخزانة.»

«تلك هي الرواية نفسها التي اختلقتها لإيرين كيلي، منذ أسبوعين، أليس كذلك؟»

«من قال هذا؟»

«لقد باحت إيرين لأحدهم بأنّها تنوي الانتقال من الشقّة لأنّها وجدتك في غرفة نومها.»

«لقد كنتُ...»

«تبحث عن تسرّب للماء. أعرف. الآن، ننتقل إلى الحديث عن كلير بارنز. كم مرّة دخلتَ شقّتها بدون إنذار مسبق؟»

«لم يحصل ذلك قطّ.»

عندما انتهى فينس من بوكسر، قصد مكتبه مباشرة، وبلغه في الوقت المناسب للردّ على اتّصال من ابنه هانك. كان يستأذنه العودة إلى المنزل في تلك الليلة، بعد الثامنة. فقد قرّر أعضاء فريق كرة السلّة في المدرسة أن يتناولوا البيتزا بعد المباراة.

أكّد فينس لهانك أنّه لا يمانع في عودته المتأخّرة، واعتبر نفسه محظوظًا بهذا الإبن الرائع. لقد أحسن تربيته ولَقِيَ الثمار الجيّدة التي عوّضته عن محاولاته البائسة لسنوات طوال إصلاح زواجه من أليس. على الأقلّ هي اليوم سعيدة. كيف لا وهي الزوجة المُدلّلة لرجل فاحش الثراء. ماذا عنه هو؟ لقد تمنّى التعرّف بامرأة ما. فجأة راح يُفكّر في نونا روبرتس.

أبلغه مساعِده إيرني بجديد طارئ. فقد عثر أحد محقّقي دائرة الشرطة في ميدتاون نورث على بيتي بوترز، ذاك المتسكّع الذي كان يعيش على الرصيف حيث وجدت جثّة إيرين كيلي، واقتاده إلى دائرة الشرطة للاستجواب. لدى سماعه الخبر، سارع فينس إلى المصعد.

كان بيتي يعاني ضعفًا في النظر يجعله يرى الأشياء مزدوجة، بعد احتسائه المشروب إجمالًا. لذا، رأى أمامه ستّة رجال شرطة بدلًا من ثلاثة. ولم يلمح في نظرة أيّ منهم أيّ ودّ أو لطف.

فكّر في الشابّة الميتة. كم كانت باردة عندما اقترب منها ليسحب القلادة.

ماذا كان الشرطي يقول؟ «بيتي لقد وجدنا بصمات أصابع على عنق إيرين كيلي. سوف نقارنها مع بصماتك.»

في تلك اللحظة، حين اختلطت عليه الأمور وتشوّشت، فكّر بيتي في أحد أصدقائه الذي قام يومًا بطعن شابّ. فقد سُجن لخمس سنوات. في حين أنّ إصابة الشابّ المطعون اقتصرت على بعض الخدوش. لم يسبق لبيتي أن واجه مشاكل مع الشرطة. أبدًا. فهو غير قادر على إيذاء نملة. وهذا ما قاله لرجال الشرطة. لكنّه أدرك أنهم لم يُصدّقوا كلامه.

بادر بيتي المحقّق بثقة: «إسمعني، لقد وجدتُ تلك الشابّة. ولم يكن لديّ ما يكفي من المال لشراء فنجان قهوة». إغرورقت عيناه بالدموع، وهو يتذكّر العطش الشديد الذي أحسّ به في ذاك اليوم. «أدركتُ أنّ القلادة من الذهب. كانت السلسلة طويلة ومؤلّفة من قطع معدنيّة غريبة. ولو لم آخذها أنا لأتى غيري، حتمًا، وفعل، حتّى لو كان من الشرطة.» قالها ونَدِم.

«ماذا فعلتَ بالقلادة بيتي؟»

«بعتُها لقاء خمسة وعشرين دولارًا لذاك الشابّ في الجادة السابعة، بالقرب من سنترال بارك.»

علّق أحد رجال الشرطة الحاضرين: «سوف نضع اليد عليه.»

سأله فينس: «متى وجدت الجثّة بيتي؟»

«عندما استيقظتُ، في ساعة متأخّرة من صباح ذلك اليوم.» لمعت عينا بيتي مكرًا وحيلة. كانت الأمور تعود إلى نصابها. أضاف: «لكنّني سمعتُ في ساعات الصباح الأولى هدير سيّارة على الرصيف مرّت بالقرب من خميتي، وما لبثت أن توقّفت. قلت في نفسي أنّ السائق لربّما كان مدمن مخدّرات، لذا لم أخرج. أنا صادق في روايتي.»

سأله أحد التحرّيين: «لم تخرج، حتّى عندما سمعت السيّارة تنطلق بعيدًا؟ لم تُكلّف نفسك عناء إلقاء نظرة إلى الخارج؟»

«حسنًا، عندما تأكّدت من ابتعاد السيّارة...»

«هل ألقيت نظرة عليها بيتي؟»

صدّقوا روايته وأدرك هو أنّهم فعلوا. فكّر في ما يقوله لهم بعدُ ليوهمهم بأنّه يحاول التعاون معهم. قاوم بيتي تأثير الكحول لثوانٍ قليلة، وأجبر نفسه على التفكير الواعي. تذكّر تلك الأيّام الطويلة التي أمضاها واقفًا، وبيده الممسحة والمنظّف على طريق ويست سايد. فقد تسنّى له الوقت ليرى الواجهات الخلفيّة للسيّارات. في تلك اللحظة، رأى الأضواء الخلفيّة للسيّارة المتوارية عبر الرصيف. وتذكّر شيئًا في الزجاج الخلفيّ، فقال متباهيًا: «لقد كانت سيّارة ستايشن. أُقسم بأنّها كانت سيّارة ستايشن.»

كانت دارسي قد تواعدت مع نونا على تناول العشاء ليلة السبت، وتجاهلت دعوات العديد من الأصدقاء الآخرين. فهي لم تكن مستعدّة بعد للقاء أحد.

إتّفقتا على اللقاء في مطعم جيمي نيري، في الشارع السابع والخمسين. وصلت دارسي قبل نونا. كان جيمي قد حجز لهما طاولة في الزاوية. قال لدارسي وهو يرافقها إلى الطاولة: «جريمة مؤسفة. كانت إيرين واحدة من أجمل الفتيات اللواتي ارتدن المطعم. فلترقد بسلام». وربّت على يد دارسي.

«لقد كنتِ صديقتها المقرّبة. أعترف لك بأنّني كنتُ على علم بموضوع الإعلانات. فقد حصل، في بعض الأحيان، أن جلستُ معها

قليلًا، خلال مرورها السريع لتناول الطعام، وأن حذّرتها من مغبّة الردّ على الإعلانات.»

إبتسمت دارسي وأجابته: «يُفاجئني أنّها أخبرتك بأمر الإعلانات، جيمي. فهي كانت تعرف أنّك لن توافق على الموضوع.»

«تأكّدي من أنّني كرّرت لها رفضي الأمر. أذكر أنّني رأيتها، الشهر الماضي، توقع من جيبها قصاصة من إعلان في مجلة. صُعقتُ عندما التقطتها. فقلت لها: إيرين كيلي، آمل أنّك لا تُضيّعين الوقت في هذه التفاهات.»

قالت دارسي: «هذا ما كنتُ أخشاه. لقد كانت إيرين مُصمّمة مجوهرات لامعة، لكنّها لم تُتقن حفظ المعلومات. يحاول جهاز الأف. بي. أي. رصد أثر أيّ شخص راسلته إيرين أو التقته. لكنّني واثقة من أنّ اللائحة لم تكتمل بعد.»

إرتأت دارسي عدم البوح لجيمي بأنّها، هي أيضًا، تردّ على الإعلانات الشخصيّة وسألته: «هل تذكر نصّ الإعلان ذاك؟»

أطرق نيري رأسه، مفكّرًا، وأجاب: «لا. لكنّني ألقيت نظرة عليه وسأحاول أن أتذكّر. شيء عن الغناء... سوف أتذكّر. أنظري، لقد وصلت نونا برفقة أحدهم.»

لحق فينس بنونا إلى الطاولة، وقال لدارسي: «لن أبقى طويلًا. لا أودّ مقاطعة عشائكما، لكنّني، عبثًا، حاولت التحدّث إليك، فاتّصلت بنونا وعرفت منها أنّك هنا».

«تسرّني رؤيتك. لا مانع في أن تشاركنا العشاء.» لمحت دارسي في عيني نونا وميضًا لم ترَه من قبل.

«هل علمتَ بأنّ إيرين قد أخبرت أحد الشباب الذين خرجت معهم بأنّها وجدت مراقب المبنى في شقّتها من جديد؟»

«لقد رأيت بوكسر اليوم.» رفع فينس أحد حاجبيه.

«من جديد؟»

«إيرين أخبرتني بأنّها وجدته في شقّتها السنة الماضية، لكنّها لم تُعر المسألة اهتمامًا. فبرأيها أنّه ليس قادرًا على إيذائها. يبدو أنّها غيّرت رأيها منذ أسبوعين.»

«نحن نراقبه، كما نراقب غيره من الأشخاص. أودّ ان أسمع منك عن الشابّ الذي خرجت معه البارحة.»

«كان شابًّا لطيفًا...»

أتت ليز لتأخذ الطلبيّة. ابتسمت لدارسي ابتسامة سريعة مشوبة بالتعاطف. لقد كانت تهتمّ بالفتاتين. حتّى أنّها أخبرت إيرين، في إحدى المرّات، بأنّ شعرها الأصهب يعود إلى جذورها الإيرلنديّة.

طلبوا المشروب. قرّرت دارسي ونونا تناول السمك، فيما قالت نونا لفينس بتوتّر: «يجدر بك أن تأكل شيئًا». فطلب طبق لحم البقر المملّح مع الملفوف.

عاد فينس إلى موضوع الرجل الثاني الذي تواعدت معه دارسي.

«أودّ أن أعرف كلّ شيء عن الأشخاص الذين تواعدينهم. لقد خرجتِ إلى الآن مع اثنين أقرّا بمعرفة إيرين. من فضلك، إسمحي لي أن أقرّر مَن المهمّ ومَن ليس كذلك.»

أخبرته عن دايفيد ويلد. «هو موظّف إداريّ في محلات هولدن في بوسطن. علمتُ أنّه أمضى السنوات الأخيرة يتنقّل بين بوسطن ونيويورك، حيث افتُتح فرع جديد.» كانت تقرأ فكر دامبروزيو.

«يتنقّل بين بوسطن ونيويورك في السنوات الأخيرة.» قالت له دارسي: «ما لفت نظري هو أنّه مسؤول عن مُشتريات الأحذية.»

«مسؤول عن مُشتريات الأحذية؟ ما اسم هذا الشابّ؟» دوّن فينس الاسم في الدفتر الذي كان يحمله. «دايفيد ويلد، صندوق البريد 1527. سوف نتحرّى عنه. دارسي، هل أخبرتك نونا عن فردتَي الحذاء اللتين أُعيدتا إلى أهل الفتاة من لانكاستر؟»

«نعم.»

تردّد بعض الشيء، ونظر من حوله فرأى الجالسين إلى الطاولة القريبة، وقد انهمكوا في الحديث في ما بينهم. أضاف: «نحن نحاول التكتّم على هذا الموضوع. لقد أُرسلت علبة أحذية أخرى تعود إلى نان شيريدان، عندما وجدت جثّتها منذ خمس عشرة سنة.»

تمسّكت دارسي بحافّة الطاولة وقالت: «أستنتج أنّ جريمة قتل إيرين ليست مُقلّدة على الأرجح».

«لا نعرف. نحن نبحث عن شخص كان يعرف الفتاتين معًا، كلير بارنز ونان شيريدان.»

سألته نونا: «ماذا عن إيرين؟»

«قد تُثبت لنا تلك الجرائم أننا نتعامل مع تيد بوندي آخر نجح في الإفلات من الشرطة لسنوات طوال وفي رصيده عدد من جرائم القتل.»

وضع فينس الشوكة على الطاولة وأردف قائلًا: «سأكون صريحًا. يتبيّن أنّ عددًا كبيرًا من الأشخاص الذين يردّون على تلك الإعلانات هم، في الحقيقة، مختلفون عمّا يدّعونه. فكافة الفتيات اللواتي رصدهنّ جهاز الكمبيوتر لدينا على أنّهنّ ضحايا محتملات، يشبهنكما من حيث العمر والمظهر والذكاء. بعبارة أخرى، قد يواعد القاتل خمسين فتاة لم

تعجبه بينهنّ سوى واحدة. أعرف أنّني لا استطيع إقناعك بالعدول عن الردّ على الإعلانات. بصراحة، فقد قدّمتما لنا المساعدة في التحقيقات. مع ذلك، لستِ مدرّبة لتكوني طعمًا للمجرمين. فأنت شابّة كريمة وحسّاسة، غير قادرة على الدفاع عن نفسها، في حال أحسّت بالخطر».

«لا أنوي وضع نفسي في دائرة الخطر.»

رشف فينس القهوة بسرعة وانصرف. فابنه هانك قادم من لونغ أيلاند بالقطار، وهو يريد أن يكون في الشقّة قبل وصوله.

رافقته نونا بنظرها، فيما توقّف لدفع الفاتورة. سألت دارسي: «هل انتبهت إلى ربطة العنق التي يضعها؟ اليوم كانت سوداء وزرقاء، مع سترة من التويد البُنّي.»

«أنا أكيدة من أنّك لا تكترثين لذلك.»

«على العكس. فينس دامبروزيو مُصمّم على إيجاد قاتل تلك الفتيات، لدرجة أنّه لا يُعير التفاصيل الصغيرة أيّ أهميّة. لقد اتّصلتُ بمنزل آل بارنز في لانكاستر، بعيد فتحهم العلبة. انفطر قلبي لردّة فعلهم. اليوم اتّصلت بشقيق نان شيريدان لأسأله المشاركة في البرنامج، وتبيّنت الألم نفسه في صوته. دارسي، أرجوك أن تلزمي الحذر!»

الأحد 3 مارس

في التاسعة من صباح يوم الأحد، تلقّت دارسي اتّصالًا من مايكل ناش. قال لها: «كنتُ أفكّر فيكِ، لا بل، كنتُ قلقًا عليك. كيف الحال؟»

كانت دارسي قد نامت نومًا هادئًا وكافيًا. أجابته: «أظنّ أنّني بخير.»

«ما رأيكِ بأن نقصد بريدج واتر في نيوجيرسي ونتناول عشاءً مبكرًا؟» لم ينتظر ردّها. «في حال لم تنظري من النافذة إلى الخارج، أؤكّد لك أنّ الطقس رائع اليوم. لكأنّنا في فصل الربيع. إنّ مدبّرة منزلي طاهية ماهرة، تُصابُ بالإحباط في حال لم أدعُ أحدًا إلى المنزل، أقلّه مرّة في عطلة نهاية الأسبوع.»

كانت دارسي قد تطلّعت برهبة إلى هذا اليوم. فقد اعتادت وإيرين أن تتناولا الغداء معًا يوم الأحد، وأن تمضيا فترة بعد الظهر في مركز لينكولن، أو في أحد المتاحف. أجابته: «موافقة.» إتّفقا على أن يمرّ بها عند الحادية عشرة والنصف.

«لا ترتدي الملابس الرسميّة. فإذا كنتِ تحبّين ركوب الخيل، أنصحكِ بأن تأتي بسروال الجينز. عندي في الإسطبل حصانان مذهلان.»

«أنا أحبُّ ركوب الخيل.»

كانت سيّارته مرسيدس ستايشن. لدى رؤيتها، علّقت دارسي: «سيّارة أنيقة.»

كان ناش يلبس قميصًا رياضيًّا وسروال جينز وسترة من القطن. في تلك الأمسية، في أثناء تناولهما العشاء في المطعم، تنبّهت دارسي إلى نظرته اللطيفة الودودة. اليوم، بدا لها لطيفًا، لكنّه رمقها بنظرة مختلفة. أقنعت نفسها بأنّها لربّما كانت نظرة الرجل إلى المرأة التي يهتمّ لأمرها. راقت لها الفكرة.

كانت الطريق إلى بريدج واتر ممتعة. ففيما توغّلا، جنوبًا، على الطريق 287، غابت عنهما الضواحي، وبدت لهما المنازل أكثر بُعدًا وتَفرّقًا الواحد منها عن الآخر. راح ناش يتحدّث بعاطفة متّقدة عن والديه. «عند ولادتي، كان والدي قد بدأ يجمع ثروته. وقد غيّرنا المنزل عشر مرّات في غضون عشر سنوات وانتقلنا في كلّ مرّة إلى منزل أكبر، إلى أن اشترى هذا المنزل، وكنتُ يومها في الحادية عشرة من عمري. كما قلت لكِ، أنا أُفضّل البساطة، لكنّ والدي كان فخورًا، يوم انتقلنا إلى هنا. وقد حمل والدتي لتجاوز عتبة الباب.»

شعرت دارسي بالارتياح وهي تُخبر مايكل ناش عن والديها المعروفين وعن منزلهما الكبير في بيل إير. «لم أشعر يومًا بالراحة هناك، وكأنّ الإبنة الحقيقية للثنائيّ الملكي كانت تعيش في كوخ بينما أخذتُ أنا مكانها.»

كيف لشخصين بجمالهما أن يُنجبا هذه الفتاة القصيرة؟

وحدها إيرين كانت تعرف بتلك المقولة التي أثّرت في دارسي الطفلة. وها أنّ دارسي اليوم تُخبر مايكل ناش. أردفت قائلة: «اليوم الأحد. أنت خارج الخدمة، دكتور. حذارِ. أنت مستمع جيّد.»

رمقها بنظرة: «وعندما كبرتِ لم تنظري يومًا في المرآة، لتتأكّدي من أنّ الملاحظة لم تكن في محلّها؟»

«وهل يجدرُ بي أن أفعل ذلك؟»

«برأيي، نعم.»

تركت السيّارة الطريق العامّ واجتازت بلدة ساحرة، لتسلك بعد ذلك طريقًا جبليًّا.

«السياج يحدّ المنزل.»

سارا لدقيقة إضافيّة قبل عبور البوّابة.

سألته مذهولة: «يا إلهي، كم هكتارًا من الأراضي تملك.»

«200 هكتار.»

كان قد أخبرها في أثناء تناول العشاء في مطعم لو سيرك بأنّ ديكور المنزل مبالغ به. وافقته دارسي الرأي في سرّها لكنّها، مع ذلك، اعترفت بأنّ المنزل مهيب وباعث على الطمأنينة في الوقت نفسه. نظرت إلى الأشجار والشتول العارية. علّق ناش قائلًا: «في حال عدتِ الشهر المقبل، رأيتِ الحديقة بأبهى حلّة.»

كانت مدبّرة المنزل قد أعدّت لهما غداء خفيفًا: سندويشات بالدجاج المشويّ مع الجبنة، والقليل من الحلوى والقهوة. رمقت دارسي بنظرة إعجاب، وتوجّهت إلى مايكل، بنبرة شابها بعض اللوم: «آمل أن يكون الطعام كافيًا، آنستي. فالدكتور قد طلب منّي تحضير أطباق خفيفة، بما أنكما آتيان لتناول عشاء مبكر».

أجابتها دارسي بصدق: «الطعام ممتاز.»

أكلا في الحجرة المُخصّصة للفطور، بالقرب من المطبخ. بعد ذلك، رافقها مايكل في جولة سريعة في أرجاء المنزل.

سألها: «ما رأيك بالتحف؟ أليست مُختارة بعناية؟ قطع قديمة تُكلّف اليوم ثروة. أظنّ أنّ نصفها مُقلّد. في يوم من الأيّام، سأغيّر كلّ شيء. في الوقت الحاضر، لا أهتمّ للأمر، فأنا أمضي النهار في المكتب ما لم أستقبل ضيوفًا. ها قد وصلنا إلى المكتب.»

علّقت دارسي بسرور: «إنّها غرفة مريحة. دافئة. فيها حياة. تُشرف على منظر خلّاب. إضاءة موفّقة. الجوّ نفسه الذي أحاول أن أضفيه على غرفة أقوم بتجديدها.»

«لم تخبريني الكثير عن عملك. يسعدني أن أعرف عن الموضوع. لكن، ما رأيك الآن بنزهة على الخيل؟ لقد جهّز جون الخيول.»

بدأت دارسي ركوب الخيل في الثالثة من عمرها. من الأنشطة القليلة التي لم تتشاركها مع إيرين. قالت لمايكل، وهي تركب فرسًا سوداء: «كانت إيرين تخشى الخيل».

«لذا، لن يوقظ ركوب الخيل فيكِ أيّ ذكرى مؤلمة. الحمد لله.»

إبتسمت. تنشّقت الهواء النقي والعليل الذي محا أثر رائحة الأزهار التي وضعت على نعش إيرين، وكانت إلى ذاك اليوم تُعشّش في أنفها. جابا محيط المنزل، ومن ثمّ خفّفا السير، وهما يمرّان بوسط البلدة. هناك إنضمّا إلى مجموعة من الخيّالة الآخرين الذين قدّمهم مايكل إليها بصفة جيران.

عند السادسة، كانت درجات الحرارة قد انخفضت، فتناولا العشاء في غرفة الطعام الصغيرة أمام النار المتّقدة. كان النبيذ الأبيض باردًا بينما انتظرتهما قنّينة أخرى من النبيذ الأحمر على الطاولة المجاورة. قدّم لهما جون هاغز الطعام الشهيّ الذي حضّرته زوجته: كوكتيل من السلطعون، قِطَع من لحم العجل، أصابع الهليون، البطاطا المُحمّرة، السلطة مع الجبنة، العصير المثلّج والقهوة.

تنهّدت دارسي، وهي ترتشف قهوتها: «يعجز لساني عن شكرك. فلو لازمتُ المنزل، وحيدة، لكان يومي طويلًا».

«ولو لازمتُ المنزل وحيدًا، لكان يومي مملًّا.»

فيما كانا يهمّان بالرحيل، سمعت السيّدة هاغز تقول لزوجها: «إنها شابّة فاتنة. آمل أن يصحبها الدكتور إلى المنزل مرّة أخرى».

الإثنين 4 مارس

مساء الإثنين، إلتقى جاي ستراتون ميريل أشتون في إحدى الحانات. عرض عليه السوار المشغول بأحجار من الألماس، صُفّت بحسب الطراز الفيكتوريّ القديم، فلقي استحسانه للحال.

«أنا واثق من أنّ فرانس ستحبّه. حسنًا فعلتَ بأن أقنعتني بشرائه.»

«كنت متأكّدًا من أنّه سيعجبك. فزوجتك امرأة رائعة الجمال. سيبدو السوار تُحفة في معصمها. كما قلت لك، أنت حرّ بتخمينه لدى وصولك إلى حيث تسكن. وفي حال يبلغك تاجر المجوهرات بأنّه يساوي أقلّ من أربعين ألف دولار بسنتٍ واحد، نوقف عمليّة البيع. في الحقيقة، سيهنّئك على الصفقة الرابحة التي قمت بها. كلّي أمل بأنّك ستفكّر في إهداء فرانس قطعة أخرى، في عيد الميلاد المقبل. ما رأيك بقلادة من الألماس؟ أو بأقراط من الألماس. سنرى.»

أجابه أشتون، ضاحكًا، وهو يُخرج دفتر شيكاته: «أفهم أنّك تسديني خدمة. لا بأس بالصفقة».

إنتابت جاي رعشة الإثارة التي كانت تنتابه كلّ مرّة يخاطر فيها. فأيّ تاجر مجوهرات متمرّس سيقول لأشتون أنّ السوار أيضًا صفقة رابحة بخمسين ألف دولار.

في الغد كان على موعد غداء مع إينيد أرمسترونغ. كان متشوّقًا لوضع يده على الخاتم.

قال في سرّه «شكرًا إيرين» وهو يقبل الشيك.

دعا أشتون جاي لتناول وجبة سريعة، قبل أن يغادر إلى المطار، فهو عائد إلى ونستون سالم عند التاسعة والنصف. لكنّ ستراتون أجابه بأنّه على موعد مع زبون عند السابعة. لم يُضف أنّ دارسي سكوت لم تكن من نوعيّة الزبائن التي يفضّل. حمل في جيبه شيكًا بقيمة 17500 دولار. دفعة العشرين ألف دولار من برتوليني ناقص العمولة المستحقّة له.

إفترق الرجلان بحرارة. «بلّغ فرانس تحيّاتي. أنا واثق من أنّها ستُسعد بهديّتك.»

لم ينتبه ستراتون لرجل يترك طاولة قريبة ويلحق بأشتون إلى ردهة الفندق.

«سيّدي، أودّ التحدّث إليك.»

مدّ إليه بطاقته، فأخذها أشتون. كان اسمه نايجل بروس، من شركة التأمين لويد في لندن.

تمتم أشتون: «لا أفهم شيئًا.»

«سيدي، أفضّل ألّا يراني السيّد ستراتون لدى خروجه. هل تمانع في دخول محلّ المجوهرات هناك؟ سيلتقيك أحد خبراء شركتنا. نودّ إلقاء نظرة على قطعة المجوهرات التي اشتريتَها للتوّ.»

شعر التحرّي بالشفقة لرؤية تعابير الذهول ترتسم على وجه أشتون. «إنها مسألة روتينيّة.»

«روتينيّة! هل تُلمّح إلى أنّ السوار الذي اشتريتُه للتوّ مسروق؟»

«لا ألمّح إلى شيء، سيّدي.»

«لا أصدّق! حسنًا! أودّ أن أعرف، في الحال، ما الخطب بشأن السوار. الشيك ليس مصدّقًا. يمكنني وقف الدفع في الصباح.»

لقد قام مراسل صحيفة نيويورك بوست بعمله على أكمل وجه. إستحصل على معلومات بشأن الطرد الذي أُرسل إلى منزل نان شيريدان، وفيه فردتا الحذاء غير المتناسقتين اللتين كانت تنتعلهما يوم وُجِدَت جثّتها. صورة نان شيريدان، صورة إيرين، صورة كلير بارنز، الواحدة إلى جانب الأخرى، على الصفحة الرئيسيّة. «قاتل بالجملة حُرّ طليق.»

قرأت دارسي الصحيفة وهي في سيارة الأجرة في طريقها إلى فندق بلازا.

«ها قد وصلنا، آنستي.»

«ماذا؟ حسنًا. شكرًا.»

لحسن الحظّ، تعاقبت المواعيد اليوم. مرّة أخرى جلبت معها الملابس إلى المكتب، حيث ارتدت بزّة الصوف الحمراء التي اشترتها من روديو درايف. تذكّرت، وهي تخرج من سيّارة الأجرة، أنّها كانت ترتدي البزّة نفسها في المرّة الأخيرة التي تحدّثت فيها إلى إيرين. تحسّرت قائلة: «ليتني أراها مرّة واحدة.»

كانت الساعة السابعة إلّا عشر دقائق، وقد وصلت قبل موعدها مع جاي ستراتون بقليل. قرّرت دارسي دخول المطعم. كان المدير

صديقًا قديمًا. لطالما كان والداها يمكثان في فندق بلازا حين يقصدان نيويورك.

بالأمس، قال مايكل ناش شيئًا حيّرها وأزعجها. فهل كان يُلمّح إلى حقد دفين ما زالت تكنّه منذ الطفولة بسبب ملاحظة لم يعد لها مبرّر اليوم، مهما كانت قاسية في تلك الفترة؟ كانت متلهّفة إلى لقاء ناش مرّة أخرى. لكأنّها كانت تحصل منه على معاينة مجّانيّة. قرّرت أن تسأله عن الأمر، فيما اقترب منها مدير الفندق، وعلى ثغره ابتسامة عريضة.

في تمام السابعة، توجّهت إلى الباب الذي يؤدّي إلى البار. كان جاي ستراتون جالسًا إلى طاولة في الزاوية. التقته لمرّة وحيدة في شقّة إيرين. يومها، لم تخرج من اللقاء بانطباع إيجابيّ. فقد كان غاضبًا بشأن قلادة برتوليني المختفية، واستحال غضبه، بعد العثور عليها، قلقًا حول كيس الألماس المفقود. لم يهمّه يومها اختفاء إيرين بقدر ما أقلقه اختفاء القلادة. أمّا الليلة، فكأنّها كانت في حضرة شخص آخر. كان يحاول ممارسة سحره عليها، لكنّها كانت واثقة من أنّ جاي ستراتون الحقيقي هو ذلك الذي رأته في المرّة الأولى.

سألته عن مكان لقائه إيرين.

«لا تضحكي. ردّت إيرين على إعلان وضعته بنفسي. كنت أعرفها بالاسم، فاتّصلتُ بها. صدفة سعيدة. كان برتوليني قد طلب منّي تدبّر أحد لتصميم القلادة. عندما قرأت رسالة إيرين، تذكّرت قطعة المجوهرات الرائعة التي صمّمتها وحصدت بفضلها الجائزة. التقينا. كان اللقاء لغرض العمل، حصرًا، مع أنّها سألتني مرافقتها إلى عشاء خيريّ أعطاها أحد الزبائن البطاقات لحضورها. أمضينا الليلة نرقص.»

لِمَ أصرّ على قول «لغرض العمل، حصرًا؟» منذ ستّة أشهر، أسرّت إيرين إليها بحزن: «تعرفين دارس، أودّ لو ألتقي اليوم شابًّا لطيفًا، وأُغرم به».

كان جاي ستراتون الجالس قبالتها يفي بالغرض. كيف لا، وهو وسيم، ويُقدّر موهبة إيرين.

«أيّ إعلان خاصّ بك ردّت عليه؟»

هزّ ستراتون كتفيه وأجاب: «بصراحة، أنا أضع الكثير من الإعلانات فأنساها. إبتسم وأردف قائلًا: «تبدين مصدومة، دارسي. سأقول لك ما قلته لإيرين. أنا سأتزوج امرأة ثريّة، في يوم من الأيّام. لم ألتقِها إلى اليوم. لكن، تأكّدي من أنّني سأفعل. فأنا ألتقي العديد من النساء من خلال الإعلانات. من السهل إقناع النساء المتقدّمات في السن بالتمتّع بقطعة من المجوهرات أو بإعادة شغل ما يملكنْه من خواتم وأساور أو قلادات. يُسعَدْن بذلك. وأنا أيضًا».

سألته دارسي: «لِمَ تقول لي هذا؟ آمل أنّها ليست طريقتك في إرضائي. لم آتِ لتغازلني. بالنسبة إليّ، يقتصر لقاؤنا الليلة على العمل.»

هزّ ستراتون رأسه.

«أُقسم بأنّني لست وقحًا. لقد أخبرتك بما قلته لإيرين، بعد أن أطلعتني على غايتها من الردّ على الإعلانات. أليس لذلك علاقة بالوثائقيّ الذي تُعدّه صديقتكما؟»

«بلى.»

«ما أجهد لأثبته لكِ هو أنّني لم أرتبط مع إيرين بأيّ علاقة رومنسيّة. كما أودّ الاعتذار عن تصرّفي في لقائنا الأوّل. فبرتوليني هو من زبائني المهمّين. ولم يسبق لي التعامل مع إيرين. بالتالي لم

أعرفها بما فيه الكفاية لأثق بأنّها لن تختفي وتنسى مهلة التسليم. صدّقيني، لقد راجعتُ تصرّفي معك، وأدركت الانطباع السيّئ الذي كوّنتِه عنّي يوم كنتِ قلقة على صديقتك المتوارية، فيما كنتُ أنا أتحدّث عن مهلة تسليم القلادة إلى الزبون.»

قالت دارسي في نفسها «خطبة مؤثّرة. كان يجدر بي إخباره بأنّني أمضيت معظم حياتي مع إثنين من أبرع الممثّلين في البلاد». فكّرت، لوهلة، في التصفيق له، لكنّها عادت وقالت: «هل تحتفظ بالشيك الخاصّ بالقلادة؟».

«نعم. لم أعرف بأمر مَن أحرّره. ما رأيكِ لو حرّرته باسم ورثة إيرين كيلي؟» لقد أمضت إيرين عمرها وهي تفتقر إلى ما اعتبره أصدقاؤها من الضروريّات. كانت فخورة بتحمّل نفقات والدها في مصحّ خاصّ ومستعدّة لخوض النجاحات العظيمة. قالت له دارسي، بحسرة: «حسنًا تفعل.»

نظرت إلى الشيك. 17500 دولار مُحرّرة لأمر ورثة إيرين كيلي ومسحوبة من مصرف تشايس مانهاتن. أمّا التوقيع فَلِجاي تشارلز ستراتون.

الثلاثاء 5 مارس

صباح الثلاثاء، دخل العميل دامبروزيو معرض شيريدان، وجال بنظره في المكان قبل أن يصعد إلى الطابق الأوّل حيث مكتب كريس شيريدان. ذكّره أثاث المكتب بأثاث غرفة الجلوس في منزل نونا روبرتس. لطالما فكّر في متابعة دروس في الفنّ وتاريخ الأثاث والتُحف القديمة. وما كان من البرنامج الذي أطلقه جهاز الأف .بي. أي، تحت اسم «سرقات التحف الفنّيّة» إلّا أن أزكى اهتمامه بهذا المجال.

لحق بالسكرتيرة في الرواق وتأسّف لكونه يعيش، يوميًّا، مع أخطاء أليس، زوجته السابقة. في خضمّ معاملات الطلاق، قال لها، وقد أدرك تمامًا أنّها لن تقوم بأيّ مبادرة إيجابيّة: «خذي ما شئت». من ناحيتها، تمسّكت بكلامه ونفّذته بحرفيّته.

كان شيريدان يتحدّث عبر الهاتف. إبتسم لفينس وأشار إليه بالجلوس. راح هذا الأخير يسمع الحديث من دون أن يبدو عليه ذلك. لقد دار الحديث عن مجموعة تمّ تقديرها بقيمة أعلى من قيمتها الأصليّة.

كان شيريدان يقول: «أرجوك، بَلّغ اللورد كيلمان بأنّهم قد يعدونه بدفع هذا المبلغ، لكنّهم لن يفوا بوعدهم. نفضّل فتح المزاد

بسعر منطقيّ. فالسوق ليست بالقوّة نفسها التي كانت عليها منذ سنوات قليلة. لكن، هل هو مستعدّ للانتظار ثلاث سنواتٍ أو خمسًا؟ برأيي، لو راجع تخميناتنا مراجعة دقيقة لأدرك أنّ معظم القطع التي اشتراها مؤخّرًا ستعود عليه بربح لا يُستهان به.»

رجل واثق من نفسه، جدّي في عمله، ودود بطبيعته. هذا ما تلمّسه فينس في كريس شيريدان، الأسبوع الفائت، عندما رافقه إلى داريين. في ذاك اليوم، كان شيريدان يلبس قميصًا رياضيًّا وسترة. أمّا اليوم فارتدى بزّة بلون الرماديّ الداكن، مع قميص بيضاء، وربطة عنق حمراء ورماديّة. كان يظهر بمظهر المدير.

أقفل كريس الخطّ وقام عن مكتبه ليسلّم على فينس. إعتذر هذا الأخير عن حضوره المفاجئ، وتطرّق إلى صلب الموضوع بدون لفّ أو دوران.

«عندما تقابلنا، الأسبوع الماضي، كنتُ واثقًا من أنّ مقتل إيرين كيلي جريمة مستوحاة من إعادة تمثيل مقتل أختك في برنامج جرائم واقعية. لم أعد واثقًا من ذلك.»

أخبره عن كلير بارنز وعن العلبة التي أُرسلت إلى منزل والديها.

أصغى إليه كريس باهتمام، وقال: «علبة أخرى!»

كلمتان بيّنتا لفينس الألم الذي ما زال يعصر قلب كريس لوفاة أخته.

سأله كريس: «كيف يمكنني المساعدة؟»

أجابه فينس بصراحة: «لا أعرف. أيًّا يكن من قتل أختك، فهو حتمًا كان يعرفها. ففردة الحذاء التي ناسبت قدمها ليست صدفة. أمامنا ثلاثة احتمالات. إمّا أن يكون القاتل نفسه قد استمرّ بقتل

@ktabpdf مكتبة الرمحى أحمد ٤٤

الشابّات، طوال السنوات المنصرمة، أو قد يكون توقّف عن القتل وعاوده منذ بضع سنوات. أمّا الاحتمال الثالث فهو أنّ قاتل نان قد باح لشخص آخر بطريقة عمله وقرّر هذا الأخير استلام المهمّة. وهذا الاحتمال أستبعده.»

«أفهم أنّك تبحث عن شخص قد يكون عرف نان والفتيات الأخريات في آن؟»

«بالضبط. مع أنّ قضية إيرين واختفاء الألماس قد يثيران احتمال التعامل مع مجرم مختلف. لهذا السبب إستبقينا الاحتمالين. وأنا اليوم هنا لمحاولة الربط بين الشخص نفسه وكلّ من نان وإيرين كيلي وكلير بارنز.»

«شخص كان على معرفة بأختي، منذ خمس عشرة سنة، والتقى أولئك الفتيات، مؤخّرًا، من خلال الإعلانات الشخصيّة؟»

«تمامًا. لقد كانت دارسي سكوت الصديقة المقرّبة لإيرين كيلي. اعتادت الفتاتان الردّ على الإعلانات، خدمة لصديقة تُعِدّ وثائقيًّا عن الموضوع. تركت دارسي المدينة لشهر كامل، وأعطت إيرين نموذجًا عن الرسالة التي كانت تبعث بها، بالإضافة إلى بعض الصور. علمنا أنّ إيرين ردّت على بعض تلك الإعلانات، باسمها، وباسم دارسي أيضًا. لذا تأمل دارسي سكوت أن يتّصل بها قاتل إيرين.»

قطّب كريس حاجبيه وقال: «تقصد أنّك ستسمح بأن تكون فتاة أخرى ضحيّة محتملة؟»

رفع فينس يده، لكأنّه يستبعد ما قاله كريس، وأجاب: «أنت لا تعرف دارسي سكوت. أنا لا أسمح بشيء. هذا ما هي مصمّمة عليه. لقد التقت رجالًا ذوي نفوذ، واستحصلت منهم على معلومات قد تكون مفيدة. وأنا ممتنّ لها من هذه الناحية».

لكنّ كريس علّق بصوت منخفض: «مع ذلك، لا أحبّذ الفكرة.»

«وأنا كذلك. الآن، وقد اتّفقنا على هذه النقطة، سأقول لك كيف بإمكانك مساعدتنا. كلّما أسرعنا في إلقاء القبض على المجرم، وفّرنا على دارسي وغيرها من الفتيات خطر الأذيّة. سوف نقصد جامعة براون، ونضع لائحة بالطلّاب والأساتذة في فترة دراسة أختك هناك. بعد ذلك، نقارن الأسماء بأسماء أولئك الذين التقتهم إيرين، أو الذين تلتقيهم دارسي. قد يكون مفيدًا أيضًا، إلى جانب كتاب الجامعة السنويّ الذي يمكننا الحصول عليه بأنفسنا، أن تفتّش عن الصور، أو عن شيء آخر يتعلّق بأصدقاء أختك ومعارفها. أَلفتُ نظرك إلى أنّ الشخص الذي يردّ على الإعلانات قد لا يستخدم اسمه الحقيقيّ. سوف أطلب من دارسي سكوت استعراض صور نان، علّها ترى بينها صورة شخص التقته.»

أجابه كريس: «بالطبع نحتفظ بصور كثيرة لنان. لقد أقنعتُ والدتي، منذ عشر سنوات، بعد وفاة والدي، بجمع معظم الصور في علبة ووضعها في العُلّيّة. إعترفت والدتي بأنّ غرفة نان تتحوّل إلى مزار.»

«أنا مسرور بذلك. لا بدّ أنّك كنت مقنعًا.»

إبتسم كريس وقال: «لقد لفتُّ نظرها إلى أنّ الغرفة هي أكثر غرف المنزل رحابةً، وأنّ حفيدها سيُسرّ، يومًا ما، بزيارتها. المشكلة، بحسب ما تُذكّرني والدتي دومًا، أنّني لم أفِ بوعدي.»

إختفت الابتسامة عن ثغره وأضاف: «لن أقصد كونيكتيكوت قبل نهاية الأسبوع. سوف أُحضر كلّ شيء معي يوم الأحد».

قام فينس من مكانه وقال: «أُقدّر لك ذلك. أتفهّم معاناة والدتك، لكن، في حال وجدنا المجرم المسؤول عن مقتل أختك سوف نكون قد زرعنا السلام والعزاء في قلبها».

فيما تأهّب للمغادرة، سُمِعَتْ رنّة جهازه اللاسلكيّ المحمول. سأل فينس: «هل يمكنني الاتّصال بمكتبي؟»

مرّر إليه شيريدان الهاتف، وراح يتأمّل وجهه وقد بدت عليه علامات الصدمة.

سمعه يقول: «وكيف حال دارسي؟»

أحسّ شيريدان بالخوف. لم يكن يعرف الفتاة، مع ذلك خشي على حياتها. لم يسبق له أن أخبر أحدًا بأنّه سمع نان تخرج للهرولة، في الصبيحة التي تلت حفلة عيد ميلادها. أراد النهوض، ولم يستفق بَعْدُ كليًّا. أحسّ بضرورة اللحاق بها، لكنّه أبعد الفكرة عن رأسه وعاد للنوم.

أقفل فينس الخطّ، واستدار نحو كريس. سأله: «هل من طريقة للحصول على تلك الصور في الحال؟ لقد اتّصلت شرطة وايت بلاينز وأبلغتنا بأنّ والد جانين ويتزل، وهي واحدة من الفتيات المختفيات، قد استلم، للتوّ، علبة تُشبه تلك التي استلمتها والدتك وعائلة بارنز. فيها فردة حذاء الفتاة وأخرى عالية الكعب، من الساتان الأبيض.»

ضرب بيده على الطاولة، وأضاف: «وفيما كان أحد عملائنا يردّ على الاتّصال، اتّصلت دارسي. فتحت، هي أيضًا، طردًا أتاها مع بريد الصباح. فردتا الحذاء نظيرتا هاتين اللتين كانتا في قدمي إيرين، يوم وُجِدَتْ جثّتها».

أدرك كريس أنّ الغضب العارم الذي لمحه في وجه العميل دامبروزيو ليس سوى انعكاس لغضبه هو. فصرخ: «بحقّ الله، لِمَ يتصرّف القاتل على هذا النحو؟ أليُثبت وفاة الفتيات؟ أليسخر من الناس؟ ماذا يجول في ذهنه؟» أجابه فينس بهدوء: «عندما أعرف الجواب، حتمًا سأعرف المسؤول. والآن، هل تمانع في أن استعمل هاتفك مرّة أخرى؟ يجدر بي الاتّصال بدارسي سكوت.»

منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها دارسي العلبة، عرفت محتواها. وصل ساعي البريد فيما كانت تهمّ بمغادرة عملها. سلّمها العلبة والرسائل والمجلّات وبعض البريد المتفرّق. بعد رحيله، تذكّرت تعابير الدهشة على وجهه، عندما لم تردّ على تحيّته.

إرتقت السلالم المؤدّية إلى شقّتها، وهي تجرّ خطاها، ووضعت العلبة على الطاولة، بالقرب من النافذة. وبدون أن تنزع قفّازيها، فتحتها، بعد أن أزالت الشريط اللاصق. طالعها رسم الحذاء على غطاء العلبة. رفعت الغطاء، وأزاحت الورق الذي لُفّ به الحذاء، فإذا بها ترى جزمة إيرين وحذاء بلوني الزهر والفضّي، جنبًا إلى جنب.

كان الحذاء رائعًا ويتلاءم تمامًا مع الفستان الذي دُفنت فيه إيرين.

لم تُضطرَّ إلى البحث عن رقم فينس دامبروزيو، بل تذكّرته بلا جهد. لم يكن في المكتب فطلبوا منها الانتظار، ريثما يبلّغونه باتّصالها.

«هل يمكنكِ الانتظار قليلًا؟»

«نعم.»

عاود الاتّصال بها، بعد بضع دقائق، وحضر إلى شقّتها بظرف نصف ساعة. قال لها: «الأمر مؤلم بالنسبة إليك.»

«لقد لمستُ كعب الحذاء بالقفّاز الذي كنت أرتديه. أردتُ التأكّد من أنّه يناسب قياس قدم إيرين. بالفعل، كان كذلك.»

نظر إليها فينس بشفقة: «ربّما يجدر بك أن تخلدي للراحة اليوم.»

هزّت دارسي رأسها: «سيكون أسوأ ما أفعله.» أرغمت نفسها على الابتسام، وأضافت: «يتعيّن عليّ إنجاز مشروع هامّ. وسوف أخرج الليلة».

عندما غادر فينس الشقّة حاملًا العلبة، قصدت دارسي الفندق الذي أُعيد شراؤه مؤخّرًا، في الشارع الثالث والعشرين. كان فندقًا صغيرًا يضمّ ثلاثين غرفة في حالة مزرية وتحتاج بشكل ملحّ إلى طلاء جديد. مع ذلك، كان فندقًا واعدًا. فسّر المالكان، وهما زوجان في أواخر الثلاثينات، لدارسي أنّ كلفة التصليحات الأساسيّة لن تترك لهما الكثير لشراء أثاث جديد. أبديا تحمّسًا لاقتراحها تصميمه على طريقة النُزل في الريف الإنكليزيّ. قالت لهما: «يمكنني تدبير الكثير من الكنبات والمقاعد المُنجّدة والمصابيح والطاولات بحالة جيّدة، وبأسعار مُخفّضة. لا تقلقا، سوف أضفي على المكان سحرًا خاصًّا.»

رافقتهما في جولة على الغرف، وراحت تُدوّن الملاحظات عن حجم كلّ منها، وشكلها، وعن قطع الأثاث الصالحة للاستعمال. إنقضى اليوم بسرعة البرق. كانت قد قرّرت العودة إلى المنزل لتبديل ثيابها، قبل الخروج إلى موعدها، غير أنها عدلت عن الفكرة. عندما اتّصل بها دوغ فيلدز لتأكيد الموعد، أبلغها بأنّه يرتدي ملابس غير رسميّة.

«بنطال فضفاض وسترة.»

كانا على موعد، عند السادسة، في إحدى حانات الشارع الثالث والعشرين. وصلت دارسي في الوقت المحدّد، بينما تأخّر دوغ في الوصول خمس عشرة دقيقة. دخل الحانة، كما الإعصار، مُستاء ومُعتذرًا. «أقسم بأنّني لم أشهد يومًا زحمة سير كتلك التي شهدتها اليوم. آسف، دارسي. ليس من عادتي التأخّر عن مواعيدي.»

«لا عليك.» نظرت إليه دارسي بإعجاب. وجدته وسيمًا وجذّابًا. لماذا أصرّ قائلًا بأنّه لا يتأخّر عادة عن مواعيده؟

طلبا النبيذ. وفيما كانا يرتشفانه، مالت إليه بسمعها. كان مرحًا وواثقًا من نفسه، وفصيح اللسان. تربّى في فيرجينيا، حيث تلقّى دروسه الجامعيّة، وتخلّى عن دراسة المحاماة.

قال لها: «لم أكن لأبرع في مهنة المحامي. إخترت دراسة الفنون. قلت يومًا لوالدي أنّني أصرف الوقت على تصوير الأساتذة برسوم كاريكاتورية، بدلًا من الانكباب على قراءة الكتب. لقد اتّخذت القرار الصائب. فأنا أهوى الرسم والتصوير، وأبرع في ذلك.»

«يُطالعني مَثَلٌ قديم: سعيدٌ ليَومٍ رابح اليانصيب، سعيدٌ للحياة عاشق مهنته.» حاولت دارسي أن تبدو مُسترخية. كان دوغ من نوع الرجال الذي كانت إيرين تسعد بلقائه، وتثق به، بعد موعد أو موعدين. فنّان؟ رسّام؟ هل كان الجميع في عداد المُشتبه بهم؟

بادرها بالسؤال المحتوم: «لماذا تهتمّ فتاة بجمالك بالردّ على الإعلانات الشخصيّة؟».

لم تجد صعوبة في تجنّب السؤال، لا بل ردّت عليه بآخر: «ولماذا يهتمّ شابّ ناجح ووسيم مثلك بالردّ على الإعلانات الشخصيّة؟».

أتى ردّه سريعًا: «الجواب سهل. كنت متزوّجًا لثمانية أعوام، والآن، لم أعد كذلك. لا أرغب في علاقة جِدّيّة. يحصل لي أن أتعرّف بفتاة في منزل أحد الأصدقاء وأخرج معها لبضع مرّات. وها إنّ الجميع ينتظرون الإعلان العظيم. لذا فضّلت طريقة التعارف عبر الإعلانات الشخصيّة حيث ألتقي الكثير من الفتيات الجميلات. أكلّمهنّ بصراحة، كما أفعل الآن، وأنتظر ردّة فعلهنّ. قولي لي، ما عدد المواعيد التي لبّيتِها، هذا الأسبوع، عن طريق الإعلانات؟»

«أنت الأوّل.»

«حسنًا. ماذا عن مواعيد الأسبوع الماضي؟ بدءًا بيوم الإثنين.»

يوم الإثنين، كانت دارسي تقف إلى جانب نعش إيرين. الثلاثاء راقبت النعش، وهو يوارى الثرى. الأربعاء، لازمت المنزل، تشاهد إعادة تمثيل جريمة قتل نان شيريدان... الخميس، إلتقت لين باركر. الجمعة، كان دور دايفيد ويلد، الشابّ الخجول الذي ادّعى بأنه موظّف في أحد المتاجر الكبرى، وأكّد أنّه لم يلتقِ إيرين. أمّا السبت فقابلت البيرت بوث، خبير المعلوماتية الذي كان على علم بالخوف الذي تُحسّ به إيرين تجاه مراقب المبنى.

غير أنّ دوغ أصرّ عليها: «إعترفي بأنّك خرجت الأسبوع الماضي. فقد اتّصلت بك، يوم الأربعاء، وقلت لي أنّك مرتبطة بمواعيد، ولا يمكنك الخروج معي قبل هذه الليلة.»

أجابته دارسي بتعجّب ودهشة: «آسفة. أنت محقّ، لقد خرجت مرّتين الأسبوع الماضي.»

«وهل استمتعت؟»

في تلك اللحظة تذكّرت لين باركر وهو يضرب على باب شقّتها.

«إلى حدّ ما.»

ضحك دوغ وأضاف: «جوابكِ يُخفي أمورًا كثيرة. أنا أيضًا خرجت مع أشخاص غريبي الأطوار. الآن وقد عرفتِ كلّ شيء عن حياتي، هلا حدّثتِني قليلًا عنك؟»

عرضت له نبذة مختصرة عن حياتها. رفع دوغ حاجبه وعلّق قائلًا: «يُخيّل إليّ أنّك حذفت الكثير من التفاصيل. لربّما أطلعتني عليها، مع تقدّم علاقتنا.»

رفضت كأسًا آخر من النبيذ. قالت له: «يجدر بي الرحيل.»

لم يُناقشها قرارها، بل قال: «وأنا أيضًا يجدر بي ذلك. متى سأراك من جديد دارسي؟ ليلة الغد؟ ما رأيك بالعشاء؟»

«أنا حقًّا مشغولة.»

«حسنًا، ما رأيك بيوم الخميس؟»

«أعمل على مشروع سوف يأخذ وقتي كلّه. هلا اتّصلت بي بعد بضعة أيّام؟»

«سأفعل. وفي حال خذلتني، أعدك بأنّني لن أكون ملحاحًا. لكنّني آمل ألّا تفعلي.»

فكّرت دارسي بأنّه رجل لطيف، أو ممثّل محنّك.

أوصلها دوغ إلى سيّارة الأجرة، واستقلّ بدوره سيّارة أخرى. ما إن بلغ الشقّة حتّى خلع سترته والبنطال على عجل، وارتدى البزّة التي كان قصد بها المكتب. في تمام الثامنة إلّا ربعًا، كان في قطار سكارسدايل. عند الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين، كان يقرأ قصّة لتريش قبل النوم، فيما تشوي له سوزان شريحة من الستيك. لا شكّ في أنّها تفهّمت الإزعاج الذي كانت تسبّبه له تلك الاجتماعات المتأخّرة. فقد قالت له بلطف، وهو يجرّ خطاه داخل المنزل: «دوغ حبيبي، أنت ترهق نفسك في العمل».

لم يفقد جاي ستراتون هدوءَه طوال الاستجواب. برأيه، لا تبرير لوجود الألماس في السوار الذي باعه إلى ميريل أشتون. ثمّة خطأ في مكان ما. فقد كُلّفت إيرين كيلي تصميم قِطع بعدد من أحجار الألماس الرائعة. قال ستراتون بأنه قد ارتكب غلطة، واستبدل الأحجار المُفترض وجودها في الكيس الذي سُلّم إلى إيرين، بأحجار أخرى. هذا

لا يعني أنّ هذه الأخيرة لا تُساويها قيمة. يكفي إلقاء نظرة على بوالص التأمين العائدة لها.

لم يعثر المحقّقون في شقّته على أيّ من أحجار الألماس المفقودة، فوجّهت إليه تهمة إخفاء مجوهرات مسروقة، وأخلي سبيله مقابل كفالة. ترك مركز الشرطة مرفوع الرأس، يرافقه محاميه.

حضر فينس الاستجواب مع محقّقي الدائرة السادسة. أجمعوا كلّهم على أنّه مذنب، لكنّ فينس قال: «لقد استجوبتُ مجرمين ولصوصًا كثرًا. ها أنا أمام أحد اللصوص الأكثر إقناعًا. وقد بات حرًّا طليقًا».

غادر فينس مركز الشرطة ليعود إلى مكتبه، وقال في نفسه «الغريب في الأمر أنّ دارسي سكوت ستشهد لمصلحة ستراتون». لقد فتحت الخزنة بحضوره، وهي ستؤكّد أنّها لم تجد كيس الألماس فيها. أمّا السؤال الرئيسيّ فيبقى: هل كان ستراتون ليعلن بثقة اختفاء أحجار الألماس تلك، لو لم يكن أكيدًا من أنّ إيرين كيلي لن تعود لتخبر عن مصيرها؟

لدى بلوغه المكتب، شرع فينس يُصدر الأوامر بغضب.

«أريد أن أعرف كلّ شيء، وأكرّر، كلّ شيء، عن جاي ستراتون. جاي تشارلز ستراتون.»

الأربعاء 6 مارس

تأمّل كريس شيريدان دارسي سكوت، من رأسها إلى أخمص قدميها، فأعجبه شكلها. كانت ترتدي سترة من الجلد بحزام على الخصر، مع بنطال بُنّي فضفاض، وجزمة أنيقة من الجلد البُنّي. وشاح من الحرير أبرز باطن رقبتها. أمّا شعرها البُنّي المتموّج بخُصل شقراء، فكان ناعمًا ومُنسدلًا على وجهها. عينان مائلتان إلى البُنّي، مع شيء من الأخضر، ورموش سوداء طويلة. بشرة فاتحة، وحاجبان داكنان. قدّر عمرها بحوالى ثمانية وعشرين عامًا.

إنّها تُذكّرني بِنان. حقيقة قَلَبت كيانه، بالفعل. مع ذلك، لم يكن من شَبه بين الفتاتين. فَنان كانت تتمتّع بجمال أهل الشمال. بشرة بيضاء زهريّة، عينان زرقاوان مفعمتان بالحيويّة، وشعر بلون النرجس البرّي.

أين كان الشَبَه بين الفتاتين؟ كان في الرشاقة التي تحرّكت فيها دارسي. لقد اعتادت نان السير مثلها، لكأنّها تسمع أنغامًا موسيقيّة وترقص على إيقاعها.

لم تخفَ على دارسي نظرة كريس شيريدان المتفحّصة. حتّى هي لم توفّره. فقد لفتتها ملامح وجهه الحادّة، والانتفاخ الخفيف على

زاوية الأنف، الذي نتج، على الأرجح، عن كِسر ما. كتفان عريضتان ولياقة ظاهرة، كلّها أوحت بأنّه رياضيّ من الطراز الأوّل.

منذ بضع سنوات، خضع كلّ من والديها إلى جراحة تجميليّة. عن ذلك قالت لها والدتها، وهي تضحك: «تعديلات طفيفة، لا داعٍ للاستغراب، صغيرتي دارسي. تذكّري، فمظهرنا الخارجيّ جزء أساسيّ من شهرتنا».

لماذا راودتها تلك الخاطرة؟ لا علاقة لها بموضوع إيرين. هل كانت تحاول، من خلالها، طمس الضيق الذي انتابها، وهي تفتح العلبة التي احتوت على فردتي الجزمة وحذاء السهرة العائدين لإيرين؟ صحيح أنّها تماسكت نفسها بالأمس وحافظت على هدوئها، غير أنّها استيقظت عند الرابعة فجرًا وقد بلّلت الدموع وسادتها لدى تذكّرها الألم الذي ألهب صدرها. عضّت على شفتها، وأرخت العنان لدموع جديدة تترقرق من عينيها. قالت لكريس: «أنا آسفة»، وحاولت استجماع قواها. «إنّها لبادرة لطيفة منك أن تقصد كونيكتيكوت البارحة لجلب الصور. قال لي فينس دامبروزيو أنّك عدّلت برنامجك لهذا الغرض.»

«لم يكن لديّ أهمّ من ذلك لأنجزه.» أدرك أنّ جُلّ ما أرادته دارسي هو أن يتجاهل حزنها. أضاف: «لقد جمعتُ الكثير من الصور المتفرّقة ووزّعتُها على طاولة في قاعة الاجتماعات. أقترح عليك استعراضها. في حال شئتِ أخذها إلى المنزل أو إلى المكتب، أوصلتُها إليك. وإذا أردتِ بعضًا منها، فيمكننا تدبّر الأمر أيضًا. أعرف معظم الأشخاص في الصور. وثمّة مَنْ لا أعرفهم. بأيّ حال، فلنلقِ نظرة عليها.»

نزلا إلى الطابق الأرضيّ. لاحظت دارسي أنّ عدد الزوّار الذين أتوا لتفحّص القطع المخصّصة للمزاد التالي قد ازداد خلال الربع ساعة الذي أمضته في مكتب كريس شيريدان. لقد استهوتها المزادات. لطالما كانت تحضرها، في سنّ المراهِقة، برفقة ممثّل عن والديها. فهما لم يستطيعا يومًا حضورها شخصيًّا، ذلك أنّ الاسعار كانت ترتفع ارتفاعًا جنونيًّا ما إن ينتشر خبر اهتمامهما بلوحة أو بقطعة أثاث. لقد كانت تشعر بالإزعاج لسماع والديها يسردان قصّة شرائهما التُحف والقطع الفنّية.

فيما كانت تتّجه مع كريس إلى القسم الخلفيّ من المبنى، رصدت مكتبًا بغطاء واقتربت منه. سألت كريس «هل هو من طراز رووينتغين؟»

مرّر كريس يده على سطح المكتب المصنوع من خشب الماهوغاني، وأجابها: «إنّه كذلك. أنت تعرفين تاريخ القطع الفنّية القديمة التي تملكين. فهل أنت خبيرة في ذلك؟»

فكّرت دارسي في مكتب رووينتغين في منزل والديها في بيل إير. لطالما استمتعت والدتها بإخبار الناس عن ماري أنطوانيت التي أرسلت المكتب إلى والدتها الأمبراطورة في فيينا، ما يُفسّر صموده خلال الثورة الفرنسيّة. من الواضح أنّ هذا المكتب أيضًا قد شُحن من فرنسا.

كرّر كريس السؤال: «هل تمارسين المهنة؟»

ردّت عليه بابتسامة: «أنا آسفة.» كانت تُفكّر في الفندق الذي كُلّفت إعادة فرشه واختارت لذلك قطعًا متفرّقة من هنا وهناك.

«إلى حدّ ما.»

رفع كريس حاجبيه، لكنّه لم يسألها أيّ تفسير. قال لها: «من هنا.» قطعا بهوًا عريضًا يُفضي إلى غرفة ببابين. في داخلها طاولة تعود إلى القرن الثامن عشر، وقد وضع عليها شرشف، وتوزّعت مجموعة من الألبومات والمجلّات المدرسيّة والصور المؤطّرة وعدد من الشُفافات.

نبّهها شيريدان قائلًا: «لقد التُقطت هذه الصور منذ حوالى ثمانية عشر عامًا.»

«أعرف ذلك.» وتأمّلت دارسي حجم المواد الموضوعة على الطاولة.

سألته: «هل تستخدم هذه الغرفة في كثير من الأحيان؟»

«لا.»

«إذًا هل من الممكن أن تترك كلّ شيء في مكانه، فأحضر من وقت لآخر لأتفحّص الصور؟ ففي مكتبي أكون دومًا منشغلة. أمّا شقّتي فليست كبيرة لتتّسع لهذا كلّه. ولا أتواجد فيها كثيرًا.»

لم يمنع كريس نفسه من التعليق رغم إدراكه أنّه يتدخّل في ما لا يعنيه: «لقد أخبرني العميل دامبروزيو أنّك تردّين على الإعلانات الشخصيّة». غير أنّه ما لبث أن تبيّن بعض البرودة في تعابير دارسي سكوت.

أجابته: «لم ترغب إيرين في الردّ على تلك الإعلانات. أنا اقنعتها بذلك. طريقة التكفير الوحيدة عن ذنبي هذا تكمن في المساعدة على إيجاد قاتلها. هل يُزعجك أن أتردّد إلى هنا من وقت إلى آخر؟ أعدك بأنّني لن أسبّب لك ولموظّفيك أيّ إزعاج.»

في تلك اللحظة فَهِم كريس ما قصده فينس دامبروزيو بقوله إنّ دارسي سكوت ستتعامل مع موضوع الإعلانات على طريقتها الخاصّة. أجابها: «لن تُسبّبي أيّ إزعاج. تصل إحدى السكرتيرات إلى المعرض

بحلول الساعة الثامنة صباحًا. أما عُمّال التنظيف فيصلون قرابة العاشرة. مع ذلك، أفضّل إعطاءك المفتاح.»

إبتسمت دارسي، وقالت: «أعدك بأنني لن ألوذ بالفرار حاملة إناء نفيسًا. هل تمانع بقائي لبعض الوقت الآن؟ فلديّ بضع ساعات من الفراغ».

«بكلّ تأكيد. وتذكّري، أنا أعرف العديد من أولئك الأشخاص في الصور. فإذا أردت معرفة اسم أحدهم، لا تتردّدي في سؤالي.»

عاد كريس شيريدان عند الثالثة والنصف، ولحقت به خادمة تحمل الشاي. «فكّرتُ في أنّك قد تستريحين لبعض الوقت. سأنضمّ إليك في حال لم تمانعي.»

«بكلّ سرور.»

أحسّت دارسي بصداع، وتذكّرت أنّها فوّتت وجبة الغداء. أخذت كوبًا من الشاي وأضافت إليه القليل من الحليب. حاولت إخفاء قلقها وهي تمدّ يدها لتناول بسكويتة. إنتظرت انصراف الخادمة ثمّ علّقت: «أُدرك الألم الذي عانيتَه لجمع هذه الصور. فاسترجاع الذكريات تلك لا يخلو من المرارة».

«والدتي هي التي اهتمّت بذلك. إنّها مذهلة. لقد أُغمي عليها عند وصول علبة الأحذية. لكنّ همّها الوحيد، في الوقت الحاضر، هو المساهمة في إيجاد قاتل نان ومنعه من إلحاق الأذى بفتاة أخرى.»

«ماذا عنك؟»

«لقد كانت نان تكبرني بستّ دقائق. ولطالما ذكّرتني بذلك. فكانت تناديني بأخي الصغير. لم تكن متحفّظة، أمّا أنا فبلى. هكذا، كان كلّ منّا يُكمل الآخر. لقد يئستُ، منذ سنوات عديدة، من رؤية

قاتلها يُساق أمام العدالة. أمّا اليوم، فقد عاد لي الأمل في حصول ذلك.» نظر إلى كومة الصور التي فرزتها. سألها «هل تعرّفتِ إلى أحد؟»

هزّت دارسي رأسها، وأجابت: «لم أتعرّف إلى أحد حتّى هذه اللحظة».

عند الخامسة إلّا ربعًا، أطلّت عند باب مكتبه وقالت له: «أنا ذاهبة».

قام من مكانه، وقال لها: «هاك المفتاح. كنت أنوي إعطاءك إيّاه عندما أتيت لرؤيتك منذ قليل».

أخذت دارسي المفتاح ووضعته في جيبها. «سأعود، في الصباح على الأرجح.»

لم يمنع كريس نفسه من السؤال: «هل تستعدّين لمقابلة أحد واضعي الإعلانات؟ عذرًا، لا يحقّ لي أن أسألك. لكنّني قلق على سلامتك لأنّني أرى في ذلك مخاطرة كبيرة.»

هذه المرّة، لم تُبد دارسي سكوت أيّ تحفّظ، ما أشعره بالرضى. إكتفت بالقول: «لن يُصيبني مكروه.»

وتركت المكتب.

وقف ينظر إليها فيما تغادر. في تلك اللحظة عاودته ذكرى المرّة الوحيدة التي ذهب فيها للصيد. يومها، اقتربت أنثى الأيل من الجدول لتشرب. وإذ استشعرت الخطر، رفعت رأسها وتأهّبت للفرار. لكنّ أحد الصيّادين ما لبث أن أرداها، فوقعت أرضًا. لا يزال يذكر صيحات الحماس التي أطلقها الصيّادون يومها تشجيعًا للرامي. لم ينضمّ كريس إليهم. كانت غريزته قد دفعته إلى الصراخ في محاولة لتنبيه الحيوان. كانت تلك الغريزة نفسها تحثّه الآن على تحذير دارسي.

سأل فينس نونا، وهو يُسوّي جلسته على الكنبة الخضراء: «ما أخبار البرنامج الذي تُعدّينه؟».

تنهّدت نونا وأجابته: «بَيْنَ بَيْن.»

بدا عليها التعب وهي تُمرّر يدها في شعرها. أضافت: «أصعب ما في الموضوع إحداث توازن بين الوقائع. عندما سألتَني تضمين الوثائقيّ فقرة عن المخاطر المُحتملة للردّ على تلك الإعلانات، لم أكن أعرف ما سيحمله الأسبوع المقبل من مُستجدّات. مع ذلك، ما زلتُ مقتنعة بالتصوّر الأوّل الذي وضعتُه. فأنا أودّ رسم صورة كاملة عن الموضوع، والانتهاء بتحذير.» إبتسمت وأردفت: «يسرّني أن أرافقك لتناول الباستا.»

لقد كان يومًا طويلًا. مع اقتراب المساء، راودت فينس خاطرة مفاجئة. كان قد وضع لائحة بالتواريخ التي شهدت اختفاء الشابّات الثماني، وأمَرَ المحقّقين بجمع الإعلانات التي نُشرت، قبل ثلاثة أشهر من تلك التواريخ، في الصحف والمجلّات الصادرة في نيويورك.

شعر بشيء من الارتياح لاحتمال ظهور أدلّة جديدة قد تُفيد التحقيق. كان مُنهكًا ولم يتحمّس لفكرة العودة إلى شقّته لتناول بقايا من الطعام في الثلّاجة، فأمسك بالهاتف وطلب رقم نونا.

كانت الساعة السابعة. بلغ مكتب نونا، فوجدها ترتّب أغراضها استعدادًا للمغادرة.

رنّ الهاتف. رفعت نونا عينيها إلى فوق والتقطت السمّاعة. سُرعان ما تبيّن فينس تغييرًا في تعابير وجهها.

«أنتَ على حقّ مات. لحُسن حظّك أنّني ما زلت في المكتب. بِمَ أساعدك؟» وراحت تُصغي إليه.

«مات، فلنوضّح الأمر. لا نيّة لديّ لشراء حصّتك، لا اليوم ولا غدًا. لا بدّ أنّك تتذكّر الشخص الذي عرض الشراء السنة الماضية، لكنّك لم توافق على المبلغ الذي اقترحه، كالعادة. اليوم، يمكنني إنتظار الشاري المناسب. وأنت أيضًا. فَلِمَ الاستعجال؟ هل أنت بحاجة إلى المال لتسديد كلفة عمليّات التجميل التي تُجريها جاني؟»

ضحكت نونا، وهي تُقفل الخطّ.

«إنّه الرجل الذي أقسمتُ على حبّه واحترامه مدى العمر. المشكلة أنّه نسي أن يتذكّر ذلك.»

«لا عليك. هذا ما يحصل في كثير من الأحيان.»

قصدا مطعم باستا لوفرز، في الشارع الثامن والخمسين. قالت له نونا: «من عادتي أن أقصده بمفردي. أنصحكَ بتذوّق الباستا. فهي دواء لكلّ داء.»

كأس من النبيذ الأحمر، طبق السلطة، الخبز الساخن. قال فينس: «لا بدّ من وجود رابط بين الرجل نفسه وأولئك الفتيات».

«الرابط يتمثّل بالإعلانات الشخصيّة، باستثناء نان شيريدان.»

«إنّه كذلك. لكن، هل من باب الصدفة أن يكون بحوزة القاتل فردة حذاء تناسب كلّ واحدة منهنّ؟ لنفترض أنّه اشترى الأحذية بعد أن قتل الفتيات، لكنّه حتمًا كان يملك الفردة التي تركها حول قدم نان شيريدان، عندما هاجمها. هذا النوع من المجرمين يتبع نمطًا مُحدّدًا في عملياته.»

«أفهمُ من كلامكَ أنّك تقصد شخصًا التقى أولئك الفتيات، وعرف قياس أحذيتهنّ، من دون أن تشكّ فيه أيّ واحدة منهنّ. بعد ذلك، استدرجهنّ إلى مكان ما وقضى عليهنّ، من دون أن يترك أيّ أثر لفعلته.»

«بالضبط.»

فيما كانا يستمتعان بتناول طبق التاغلياتيلي، أطلعها على فكرته استعراض الإعلانات التي نُشرت في نيويورك خلال الأشهر الثلاثة التي سبقت اختفاء كلّ من الشابات، بهدف رصد أيّ تكرار محتمل للإعلان نفسه.

«علمًا أنّنا قد نصل إلى باب مسدود آخر. فبحسب ما عرفنا، يقوم الشخص نفسه بوضع العشرات من الإعلانات المختلفة.»

طلبا الكابوتشينو. راحت نونا تخبره عن الوثائقيّ الذي تُعدّه. قالت له: «لم أجد، إلى الآن، الطبيب النفسيّ المناسب. بصراحة، لا أرغب في استضافة واحد من أولئك الاختصاصيّين الذين يُكثرون من الإطلالات التلفزيونيّة.»

أخبرها فينس عن مايكل ناش. «إنه شابّ فائق الذكاء. يُحضّر كتابًا عن الإعلانات الصغيرة. وسبق له أن التقى إيرين.»

«دارسي كلّمتني عنه. فكرة رائعة، حضرة المحقّق دامبروزيو.»

رافق فينس نونا إلى منزلها في سيّارة أجرة، وسأل السائق انتظاره فيما يدخل معها المبنى. دعته إلى تناول كأس أخير عندها فأجابها: «الحقيقة أن كلينا منهك الليلة. لكن هل أحظى بدعوة أخرى؟».

«طبعًا. الدعوة مفتوحة.» إبتسمت نونا وأضافت: «أنت محقّ. فأنا منهكة، وما يزيد الطين بلّة أنّ عاملة التنظيف لم تحضر منذ يوم الجمعة الماضي. لا أظنّك مستعدًّا لرؤيتي على حقيقتي.»

تركها فينس، راضيًا عن تأدية مهمّته الوظيفيّة. لكنّ ذلك لم يمنعه من التساؤل عن الشعور الذي قد يعتريه وهو يضمّ نونا روبرتس بين ذراعيه.

في شقّته، وجد فينس رسالة على آلة تسجيل المكالمات. كانت من مساعده إيرني. «لا أمر طارئًا، لكنّني حسبتك ستهتمّ بسماع هذا الخبر فينس. لقد حصلنا على لائحة بأسماء طلّاب جامعة براون، في الفترة التي كانت نان شيريدان ترتاد الكلّية. إحزر من تسجّل في السنة الأولى، وفي بعض الصفوف التي حضرتها نان؟ صديقنا تاجر المجوهرات جاي ستراتون.»

كانت دارسي على موعد، في الساعة الخامسة والنصف، مع صاحب صندوق البريد 4307 كال غريفين. إتّفقا على اللقاء في حانة تافيرن. أوّل ما لفتها فيه أنّه لم يكن في أواخر الثلاثينات بل ناهز الخمسين من عمره. كان رجلًا سمينًا، سرّح شعره بحيث يُخفي رقعة الصلع في رأسه، وارتدى ثيابًا فاخرة. تحدّر من ولاية ميلوكي لكنّه كان يقصد نيويورك بانتظام.

كان سعيدًا بزواجه، لكنّه كان يستأنس ببعض الرفقة خلال إقامته في نيويورك. لقد أحسن معاملة النساء. فكان يدعوهنّ إلى مشاهدة العروض المسرحيّة وارتياد المطاعم الفخمة.

سألته دارسي عن المرّة الأخيرة التي قصد فيها نيويورك. كان ذلك منذ فترة طويلة. في الشهر الماضي، إصطحب معه زوجته والأولاد للتزلّج في فايل. فهو يمتلك منزلًا هناك كما أنّه بصدد بناء منزل أكبر. لا يعاني مشاكل ماديّة. والأولاد يدعون أصدقاءهم لمشاركتهم العطلة فيسود الهرج والمرج. فهم يهوون موسيقى الروك. ما يُصيب المرء بالجنون.

طلبت دارسي مشروب بيريي. شربت نصفه ونظرت إلى ساعتها. قالت له: «لقد بدا ربّ العمل مستاء من مغادرتي المكتب. أنا مضطرّة إلى الرحيل الآن.»

قال لها غريفين بما يُشبه الأمر: «دعكِ منه. سوف نمضي ليلة لطيفة».

كانا جالسين على مقعد طويل. ضمّها إليه وطبع على أذنها قبلة.

لم تشأ دارسي توبيخه علنًا. قالت «يا إلهي» وهي تُشير إلى طاولة قريبة جلس إليها رجلٌ وحيد، وقد أدار لهما ظهره. «هذا زوجي. عليّ الخروج من هنا.»

أزاح ذراعه عن خصرها، وبدا عليه الاضطراب. قال لها: «لا أرغب في إثارة المشاكل.»

همست دارسي: «سوف أخرج بهدوء.»

في سيّارة الأجرة التي أقلّتها إلى المنزل، قاومت دارسي رغبتها في الضحك طويلًا. كانت واثقة من أنّ الرجل ليس بالمجرم المطلوب.

سمعت رنّة الهاتف وهي تدير المفتاح في قفل الباب. كان دوغ فيلدز. «مرحبًا دارسي. لماذا أعجز عن نسيانك؟ أعرف أنّك مشغولة الليلة، لكن حصل تعديل في برنامجي، وقرّرت المحاولة. ما رأيك بتناول الهامبرغر أو أي شيء آخر؟»

أدركت دارسي أنّها نسيت أن تُخبر فينس دامبروزيو عن دوغ فيلدز. لقد كان شابًّا لطيفًا، جذّابًا، رسّامًا، نوع الرجال الذي كان يجذب إيرين. ردّت عليه: «أُرحّب بعرضك. في أيّ ساعة نلتقي؟»

ساءلت سوزان، فيما جلست إلى طاولة المطبخ مع دوني لمراجعة عرض الرياضيّات: «إلى أيّ درجة يعتبرني دوغ غبيّة؟» كانت المستشارة المدرسيّة قد اتّصلت بها، بعد الظهر، تستعلم عن أي مشاكل عائليّة. فدوني، الذي اعتاد التألّق في دروسه، كان يتراجع في مواد كافّة.

قالت له بحماس: «لقد وجدتَ الحلّ الصحيح. أتذكّر، في هذه اللحظة، قول أستاذي: آنسة فراولي النيّة هي الأساس ومفتاح النجاح.»

إبتسم لها دوني، وراح يجمع كُتبه. قال بتردّد: «ماما...»

«دوني، لقد اعتدت أن تُكلّمني بصراحة. ما الخطب؟»

نظر من حوله.

طمأنته قائلة: «الصغيران يغطّان في النوم. بيث تستحمّ، ولن تنتهي قبل نصف ساعة. يمكننا التحدّث.»

أضاف دوني بحسرة ومرارة: «وأبي يحضر واحدًا من اجتماعاته الشهيرة.»

لم يخفَ على سوزان أنّه يشكّ في تصرّف والده. أدركت أنّها عبثًا تحاول إبعاده عن المشاكل. فالوقت مناسب للتحدّث بصراحة. قالت له: «دوني. والدك ليس في اجتماع.»

«تعرفين ذلك؟»

إرتسمت على وجهه القَلِق تعابير الارتياح.

أجابته: «نعم أعرف. لكن كيف عرفت ذلك أنت؟»

خفض رأسه وقال: «لقد قصد باتريك دريسكول، وهو واحد من أعضاء الفريق، نيويورك ليلة الجمعة، عندما كنّا نزور جدّي. فالتقى أبي برفقة سيّدة في أحد المطاعم. كانا في وضع حميم ومقرف. لقد أرادت والدة باتريك إعلامك بالأمر، لكنّ والده منعها من القيام بذلك.»

«دوني، أنا أنوي الطلاق من والدك. لم أرد يومًا أن يحصل ذلك، لكنّ حياتنا باتت مهزلة، وبات يتعذّر علينا العيش تحت سقف واحد. إذا ما حصل الطلاق، لن نبقى في المنزل ننتظر عودته ونتحمّل أكاذيبه. آمل أن يتدبّر أمره لرؤيتكم، لكنّني لا أضمن لكم ذلك. آسفة بُنيّ لِما آلت إليه علاقتنا. آسفة.» وأجهشت بالبكاء.

ربّت دوني على كتفها وقال: «أمّي، لا تحزني، فهو لا يستحقّ زوجة مثلك. أعدك بأنّني ساساعدك في تربية إخوتي. أقسم بأنّني سأنجح في ذلك، أكثر ممّا فعل».

قالت سوزان في نفسها «صحيح أنّ دوني يُشبه والده في الشكل الخارجيّ، لكنّ الجينات التي أخذها منّي تكفي لئلّا يتصرّف كوالده». طبعت قبلة على خدّه وقالت: «فليبقَ الأمر سرًّا بيننا».

خلدت سوزان إلى النوم عند الحادية عشرة. وكان دوغ لم يرجع بعد إلى المنزل. شغّلت جهاز التلفزيون لمشاهدة نشرة الأخبار الأخيرة، وإذ بمقدّم النشرة يستعيد قصّة الشابّات المختفيات، وعُلب الأحذية غير المتناسقة التي أعيدت إلى أهلهنّ.

قال: «مع أنّ الأف. بي. أي. يرفض التعليق، فقد علمنا من مصادر داخليّة أن فردتي الحذاء اللتين أعيدتا أخيرًا تطابقان هاتين اللتين كانتا على قدمي إيرين عندما وُجِـدَتْ جثّتها. إذا صحّت المعلومات، أمكننا ربط مقتل إيرين باختفاء شابّتين، الأولى من لانكاستير والثانية من وايت بلاينز، كانتا تقيمان في منهاتن. وقد يكون له علاقة أيضًا بجريمة قتل نان شيريدان التي وقعت، منذ زمن طويل، وبقيت إلى اليوم لغزًا لا تفسير له.»

نان شيريدان. إيرين كيلي.

قالت سوزان، منتحبة: «يا إلهي.» وراحت تُحدّق في الشاشة. ظهرت، تباعًا، صور لكلّ من كلير بارنز وإيرين كيلي وجانين ويتزل ونان شيريدان.

أضاف مُقدّم النشرة: «يبدو أنّ قافلة الموت قد انطلقت، في الصباح البارد ذاك من شهر مارِس، عندما قُتلت نان شيريدان

خنقًا وهي تهرول على مقربة من منزلها. الشهر المقبل نحيي الذكرى الخامسة عشرة لتلك الجريمة.»

أحسّت سوزان بضيق يعتريها. منذ خمس عشرة سنة، لدى استجوابها في قضية مقتل نان، اختارت الكذب لحماية دوغ. لو لم تفعل، أكانت أولئك الفتيات جميعًا على قيد الحياة اليوم؟ منذ أسبوعين، وبعد إعلان موت إيرين كيلي، رأى دوغ كابوسًا. ونادى إيرين في نومه.

«...يتعاون جهاز الأف. بي. أي. مع قسم شرطة نيويورك لرصد مصدر حذاء السهرة والوصول إلى الشاري. لقد فُتح ملفّ مقتل شيريدان من جديد...»

ماذا لو أعادوا استجواب دوغ؟ ماذا لو استجوبوني أنا؟ تساؤلات أربكت سوزان. هل من واجبها إخبار الشرطة بأنها كذبت، منذ خمس عشرة سنة؟

دوني. بيث. تريشر. كونير. ماذا ستكون عليه حياتهم إذا ما تبيّن أنّ والدهم قاتل بالجملة؟

وصرّح مُفوّض شرطة نيويورك: «نحن نتعامل مع قاتل بالجملة، شاذّ، ومنحرف.»

شاذّ.

تساءلت سوزان «ماذا يجدر بي أن افعل؟» ورنّت كلمات والدها في أذنيها «له ميول سيّئة».

عندما واجهته منذ سنتين بعلاقته مع المساعِدة التي استخدماها، إستشاط غيظًا. وها هي اليوم تشعر بالخوف الذي اجتاحها في تلك اللحظة. فيما كانت نشرة الأخبار تُشرف على نهايتها، أقرّت سوزان لنفسها بما لم تشأ الاعتراف به يومذاك. «حسبتُه سينهال عليّ بالضرب.»

«هل نرقص؟ هل نرقص؟ هل نرقص؟ هل نطير على غيمة من الموسيقى؟ هل سنكون معًا متعانقَين، هل سنذهب للرقص معًا؟ هل سنذهب للرقص؟»

قهقه تشارلي ضاحكًا، وقد أخذته حماسة الأنغام. ضرب الأرض بقدمه واستدار نحو نفسه. أخذه خياله فرأى نفسه يراقص دارسي ويدور بها. سوف يرقصان معًا الأسبوع المقبل! يا لسعادته! سبعة أيام تفصله عن الذكرى الخامسة عشرة لموت نان.

علمًا أنّ هذه الأمور قد تحدث، هل نرقص؟ هل نرقص؟ هل نرقص؟

توقّفت الموسيقى. أمسك بآلة التحكّم عن بعد، وأوقف شريط الفيديو. ليته يمضي الليلة هنا. لكنّ في الأمر مخاطرة. يجدر به أن ينفّذ ما أتى من أجله.

طقطقت الدرجات المؤدّية إلى الطابق السفليّ تحت وطأة خطواته، فقطّب حاجبيه. يجب أن يهتمّ بترميمها. تذكّر أنّ أنيت حاولت الهرب، مستخدمة تلك السلالم. يومها، أثارته طقطقة كعب حذائها على السلالم الخشبيّة. لم يشأ أن تخفي الطقطقة صوت حذاء دارسي إذا ما حاولت الهروب بالطريقة نفسها.

دارسي. يا له من عذاب، عذاب الجلوس قبالتها إلى الطاولة. لقد أراد أن يقول لها «تعالي معي». تمنّى لو يصحبها إلى هذا المكان، لو يصحب حبيبته إلى العدم.

عُلب الأحذية. بقي منها خمس عُلب. تلك العائدة إلى ماري وشايلا وليسلي وأنيت وتينا. فجأة أدرك أنّه يريد إعادتها كلّها في الوقت نفسه. وينتهي من أمرها لتبقى معه واحدة لا غير.

وحدها العلبة العائدة إلى دارسي ستكون هنا الأسبوع المقبل. ولن يُعيدها على الأرجح.

فتح الثلّاجة، ونظر إلى الداخل الخالي. إنّها تنتظر راقصة مجمّدة أخرى. وتلك الراقصة، لن يُعيدها.

الخميس 7 مارس

«هل كنتَ تعرف نان شيريدان؟» سؤالٌ من فينس، الذي تناوب مع أحد تحرّيي دائرة ميدتاون نورث على استجواب جاي ستراتون. حافظ هذا الأخير على هدوئه ولم تبدُ عليه علامات الاضطراب، فأجاب: «كانت طالبة في جامعة براون في أثناء وجودي هناك.»

«لقد عدلتَ عن اختصاصك وتسجّلت في صفّها؟»

«صحيح. لم أكن طالبًا جديًّا، في سنتي الأولى. حتّى أنّ عمّي، وقد كان وصيًّا عليّ، رأى أنّه يجدر بي اكتساب شيء من النضوج. فالتحقت ببيس كوربس مدّة سنتين.»

«أكرّر السؤال: هل تربطك بنان شيريدان معرفة وثيقة؟»

قال ستراتون في نفسه: «معرفة عميقة. لقد كانت نان رائعة. مراقصتها أشبه بمعانقة نسمة خفيفة.»

تَبيّن دامبروزيو طيف خاطرة برقت في عيني ستراتون، وقال له: «ما زلتُ أنتظر جوابك».

هزّ ستراتون كتفيه وقال: «لا جواب. أنا أتذكّرها. كنت في الجامعة عندما هزّ خبر مقتلها أوساط الطلّاب الذين شغلتهم المأساة لوقت طويل».

«هل كنت من بين المدعوّين إلى حفلة عيد ميلادها؟»

«لا لم أُدعَ. لقد تابعنا الدروس نفسها واقتصرت علاقتنا على ذلك.»

«لنتحدّث عن إيرين كيلي. كنت مستعجلًا لتبليغ شركة التأمين خبر اختفاء أحجار الماس.»

«كما يمكن أن تؤكّده الآنسة سكوت، كنتُ غاضبًا في لقائنا الأوّل. لم أكن على معرفة شخصيّة بإيرين، بل كنت مطّلعًا على عملها. عندما لم تحضر في الموعد المُحدّد لتسليم برتوليني القلادة، إستنتجتُ أنّها نسيت المهلة المُتّفق عليها. لكن، عندما التقيت دارسي سكوت، أدركتُ تسرّعي. كيف لا، وقد بدت دارسي قلقة على صديقتها؟ أدركتُ حينها خطورة الموقف.»

«هل يحصل أن تقوم، بين الحين والآخر، بالتلاعب بالأحجار الكريمة الخاصّة بالزبون؟»

«بالطبع لا.»

غيّر فينس طريقة الاستجواب، وقال: «كنت تعرف نان شيريدان معرفة سطحيّة، لكن هل كنت تعرف شخصًا مُعجبًا بها؟ عداك أنت طبعًا».

الجمعة 8 مارس

بعد الظهر من يوم الجمعة، قصدت دارسي شقة ويست ساید حيث أعادت تصميم الغرفة لليزا، المراهقة العائدة من المستشفى. أخذت معها بعض الشتول لتضعها على حافّة النافذة، وبعض الأرائك، بالإضافة إلى مزينة من البورسلين وقعت عليها في مزاد خاص. لم تنس البوستر المُحبّب إلى قلب إيرين.

أمّا القطعُ الكبيرة، فكانت قد وُضِعَت من قبل: السرير النحاسيّ والخزانة والطاولة الصغيرة والكرسيّ الهزّاز. السجّادة الهنديّة التي كست أرضيّة غرفة الجلوس في شقّة إيرين مُدَّت في المكان المناسب هنا. ورق الجدران المقلّم والملوّن أضفى على الغرفة شيئًا من الحركة والحياة، وقد تناسق مع الستائر ومع غطاء السرير.

إختارت دارسي بعناية مكان وضع البوستر. كان يُمثّل لوحة لإيغريت، واحدة من لوحاته الشهيرة التي نفّذها في صباه. راقصة شابّة في وضعيّة الرقص، الذراعان إلى الأمام، وقد وقفت على أطراف أصابعها. سمّى اللوحة «تهوى الموسيقى، تهوى الرقص».

ثبّتت المسامير في الحائط وهي تتذكّر صفوف الرقص التي حضرتها مع إيرين. وكانت هذه الأخيرة تقول: «لِمَ الهرولة تحت المطر وفي الجو البارد، في حين يمكننا المحافظة على لياقتنا بممارسة الرقص؟ لقد صَدق مَن قال: لإضفاء البهجة على حياتك ليس عليك سوى الرقص.»

رجعت دارسي خطوة إلى الوراء للتأكّد من أنّ البوستر في محلّه. عظيم. لكنّها كانت مشغولة البال. هل كان ذلك بسبب الإعلانات الشخصيّة؟ إذا كان الأمر كذلك، فلِم يراودها اليوم هذا الشعور؟ رفعت كتفيها وأغلقت عُلبة العُدّة.

سارعت في الذهاب إلى معرض شيريدان. لغاية اللحظة، لم يكن فحص الصور قد أفضى إلى أيّ نتيجة. كانت دارسي قد وقعت على صورة جاي ستراتون، غير أنّ فينس دامبروزيو سبقها وكشف عن اسمه بين مجموعة الطلّاب. بالأمس أشار كريس إلى أنّ الوقوع على وجه مألوف في الصور أشبه بالبحث عن إبرة في كومة من القشّ. خشيت أن يندم على قراره السماح لها باستخدام غرفة الاجتماعات، لكنّه لم يفعل.

بالأمس قال لها: «تبدين مُنهكة. عرفتُ أنّك هنا منذ الثامنة.»

«لقد تدبّرتُ تأخير بعض المواعيد. فعملي هنا أهمّ.»

البارحة كان دور صاحب صندوق البريد 3823. يُدعى أوين لاركين، وهو طبيب معاون، يعمل في مستشفى نيويورك. ومغرور جدًّا. قال لها: «مشكلة الطبيب العازب أنّه يتلقّى دعوات من الممرّضات لتناول الطعام في منازلهنّ.»

يتحدّر من تولسا، ولم يُحبّ نيويورك.

«ما إن أنهي مدّة اختصاصي حتّى أعود إلى بلدتي. فالمدن المكتظّة لا يطيب العيش فيها.»

بدأت معه الحديث وتوصّلت إلى زجّ اسم إيرين. ردّ عليها كمن يُفشي سرًّا: «لم ألتقِها، لكنّ أحد زملائي ممّن يردّون على الإعلانات تلك، قد التقاها، لمرّة واحدة، وهو يأمل أنّها لم تُسجّل اللقاء. فهو لا يُحبّذ فكرة أن يُستجوب في جريمة قتل».

«متى التقاها؟»

«في أوائل فبراير.»

«أتساءل ما إذا كنتُ أعرفه.»

«في تلك الفترة، كان قد انفصل عن صديقته، ومن ثمّ تصالحا.»

«ما اسمه؟»

«براد والن. هل هذا استجواب أم ماذا؟ لنتحدّث عنّا، نحن الإثنين.»

براد والن. إسم جديد يُضاف إلى لائحة فينس دامبروزيو.

كان كريس واقفًا عند نافذة مكتبه عندما توقّفت سيّارة الأجرة، ونزلت منها دارسي. هبّت الريح فيما أغلقت دارسي باب السيّارة، واستدارت نحو المبنى. رفعت ياقة معطفها وانحنت بعض الشيء إلى الأمام، وهي تجتاز الرصيف.

لقد كان يوم الأمس حافلًا إذ حضر بعض الزبائن اليابانيّين لمعاينة مجموعة الفضيّات التي ستُعرض في المزاد العلنيّ الأسبوع المقبل. أمضى معظم فترة بعد الظهر معهم.

حرصت السيّدة فايل، عاملة التنظيف في المعرض، على تقديم القهوة الصباحيّة والغداء الخفيف والشاي إلى دارسي سكوت.

وقالت لكريس بقلق: «هـذه الفتاة المسكينة ستُصاب بالعمى، سيّد شيريدان.»

عند الرابعة والنصف، انضمّ كريس إلى دارسي في غرفة الاجتماعات. لام نفسه لوصفه المهمّة بالمستحيلة. فقد سبق لسانه تفكيره، وها هو الآن يندم على ما قاله. مع ذلك، يبقى احتمال أن تلتقي دارسي سكوت شخصًا كان على معرفة بنان وأن تتعرّف إليه في صورة عمرها خمس عشرة سنة، احتمالًا ضعيفًا.

بالأمس، سألته عن علاقة محتملة بين نان والمدعوّ تشارلز نورث. لم يكن على علم بأيّ علاقة تربط أخته بذاك الشخص. عندما قصد داريين، طرح عليه فينس دامبروزيو السؤال نفسه، ولم يوفّر والدته أيضًا.

أحسّ كريس بضرورة النزول إلى الطابق السفليّ في الحال والتحدّث إلى دارسي. تخوّف من أن تكون قد حسبته مستعجلًا للتخلّص منها.

رنّ الهاتف. رفعت سكرتيرته السمّاعة، وما لبثت أن غمغمت «إنّها والدتك، كريس».

تطرّقت غريتا مباشرة إلى الموضوع: «كريس، أنت تذكر حتمًا أسئلة الشرطة حول المدعوّ تشارلز. لقد استغللتُ فرصة إخراج تلك الصور لأفتّش بين ما تبقّى من أغراض نان. لا جدوى من تكليفك هذه المهمّة بعد اليوم. أعدتُ قراءة رسائلها. ثمّة واحدة تعود إلى شهر سبتمبر، قبل وفاتها. كانت قد بدأت الفصل الأوّل من الدراسة. تُخبر فيها أنّها خرجت للرقص مع شابّ يُدعى تشارلي، أخذ عليها انتعالها حذاء مُسطّحًا.»

هذا النصّ الحرفيّ لِما كتبته: «لا أصدّق أنّ شابًّا من جيلي يفضّل أن تنتعل الفتيات حذاء عالي الكعب!».

«لقد غادر مريضي الأخير عند الثالثة، وارتأيتُ أن أتحدّث إليك هنا. فهذا أفضل من التحدّث عبر الهاتف.»

حاول ناش تسوية جلسته على الكنبة الخضراء في مكتب نونا. لم تكن مريحة. ما الذي قد يدفع بفتاة ذكيّة ومنفتحة مثل نونا روبرتس إلى إخضاع زوّارها لمصدر العذاب هذا؟

«آسفة دكتور.» إعتذرت نونا، ورفعت الملفّات عن مقعد قريب من مكتبها، وقالت له: «تفضّل إلى هنا، أرجوك.»

إنتقل ناش إلى المقعد، عن طيب خاطر.

«يجدر بي التخلّص من هذه الكنبة. لكن لم يتسنّ لي الوقت لذلك. فترتيب الأثاث ليس دومًا ضمن أولويّاتي.» إبتسمت بشيء من الندم. «لكن، باللّه عليك، لا تُخبر دارسي.»

إبتسم لها وأجاب: «أنا ألتزم السرّية ضمن مهنتي. والآن كيف يمكنني مساعدتك؟»

فكّرت نونا «إنّه جذّاب ووسيم. في أواخر الثلاثينات. أمّا النضوج الذي بدا عليه فاكتسبه من مهنة الطبّ النفسيّ». كانت دارسي قد أخبرتها عن زيارتها منزله في نيوجيرسي. في تلك اللحظة، تذكّرت نونا قولًا مأثورًا لطالما ردّدته عمّتها: «لا تتزوّجي للمال، لكنّ الوقوع في غرام رجل ثريّ أسهل منه برجل فقير». لم تكن دارسي بحاجة إلى الاقتران برجل ثريّ. فقد نشأت في عائلة ميسورة، وجمع والداها الثروة قبل ولادتها. مع ذلك، لطالما رأت فيها نونا شيئًا من

الوحدة، لكأنّها فتاة صغيرة تائهة، وقد ساءت حالها بموت إيرين. ليتها تلتقي الآن الشابّ المناسب.

إنتبهت إلى الدكتور ناش، وهو ينظر إليها مستغربًا. سألها: «هل نجحتُ في الامتحان؟»

«طبعًا.» وراحت تبحث عن ملفّ الوثائقيّ.

«لا بدّ أنّكَ علمتَ من دارسي السبب وراء ردّها وإيرين على الإعلانات الشخصيّة.»

هزّ ناش رأسه.

«لقد أنجزنا الحلقة بالمبدأ، لكنّني أودّ استطلاع رأي طبيب نفسي حول نوعيّة الأشخاص الذين يضعون الإعلانات والأسباب وراء قيامهم بذلك. لربّما استطعنا إعطاء بعض الإيضاحات عن التصرّفات المشبوهة. هل أحسنتُ التعبير؟»

«أنت واضحة في ما تقولين. أظنّ أنّ عميل الأف. بي. أي. سيركّز على فرضيّة القاتل بالجملة.»

شعرت نونا بالتوتّر وقالت: «نعم، هذا ما أظنّه أنا أيضًا.»

«سيّدة روبرتس، إسمحي لي أن أناديك بنونا، ليتك ترين التعابير المرتسمة على وجهك في هذه اللحظة. أنت ودارسي تتصرّفان بالطريقة نفسها. يجدر بكما التوقّف عن تعذيب نفسيكما. لستما مسؤولتين عن موت إيرين. فبعض الأحداث صنيع القدر. إحزنا على موت صديقتكما. إبذلا ما في وسعكما لتحذير الفتيات من مجرم مجنون يسرح على هواه. لكن لا تُنصِّبا نفسيكما الإله القادر على كلّ شيء.»

أجابته نونا: «إذا كان مقتل إيرين مؤلمًا بالنسبة إليّ، فهو أكثر إيلامًا بالنسبة إلى دارسي. آمل أن تكون قد وجّهتَ إليها الكلام نفسه.»

أجابها ناش، مبتسمًا: «لقد اتّصلت بي مدبّرة المنزل ثلاث مرّات هذا الأسبوع لتقترح عليّ بعض الأطباق في حال قرّرتُ دعوة دارسي مجدّدًا إلى المنزل. غير أنّ دارسي تنوي أن تقصد ويليسلي، يوم الأحد، لزيارة والد إيرين، على أن تُشاركني العشاء ليلة السبت.»

«عظيم! والآن لنعد إلى البرنامج. سوف نُسجّل الحلقة الأربعاء المقبل، وتُبثّ مساء الخميس.»

«لا أحبّذ عمومًا الإطلالات التلفزيونيّة، خلافًا لعدد كبير من زملائي الذين يتهافتون للظهور عبر الشاشات أو للشهادة في دعاوى جنائيّة. مع ذلك يمكنك الاعتماد عليّ في هذه القضيّة. فلربّما كنتُ مفيدًا.»

«رائع.» قاما عن مقعديهما في الوقت نفسه. أشارت نونا بيدها إلى المكاتب التي توزّعت في الردهة خارجًا.

«لقد فهمتُ أنّك تؤلّف كتابًا عن الإعلانات الشخصيّة. في حال احتجت إلى المزيد من المعلومات، يمكنك الاعتماد على خبرة معظم الموظّفين العازبين هنا.»

«شكرًا، لكنّ ملفّي بات غنيًّا بالمعلومات. فبحلول نهاية الشهر، أكون قد أنهيت الكتاب.»

نظرت إليه نونا وهو يتّجه إلى المصعد بخطى كبيرة. أغلقت باب مكتبها وطلبت رقم شقّة دارسي. تركت لها رسالة على آلة تسجيل المكالمات: «أعرف أنّك لم تعودي إلى المنزل إلى هذه الساعة، لكنّني أردت أن أخبرك بأمر هامّ. لقد تعرّفت إلى مايكل ناش للتوّ وهو ساحر».

إنتاب دوغ حدس مفاجئ. فعندما اتّصل بسوزان، هذا الصباح، وقال لها أنّه لم يشأ إيقاظها البارحة لإبلاغها بعودته المتأخرّة، ردّت عليه بتفهّم ولطف.

«هذا لطفٌ منك دوغ. لقد نمتُ في ساعة مبكرة.»

إنتابه الحدس هذا بعد أن أقفل الخطّ، وأدرك أنها لم تسأله عن ساعة عودته هذا المساء. فهي بقيت تُردّد، إلى فترة غير بعيدة، العبارة الروتينيّة نفسها: «دوغ، يجدر بزملائك أن يُدركوا أنّك مسؤول عن عائلة. ليس عدلًا أن يفرضوا عليك حضور تلك الاجتماعات المتأخّرة كلّ ليلة».

لقد بدت سعيدة تلك الليلة، عندما تناولا العشاء معًا في نيويورك. فكّر في الاتصال بها ودعوتها إلى العشاء هذه الليلة. أو لربّما يجدر به العودة إلى المنزل في ساعة مبكرة والاهتمام بالأولاد. فهو لم يرَهم الأسبوع الماضي.

ماذا لو غضبت سوزان، لا سيما بسبب تلك الجرائم الناتجة عن الإعلانات، والاهتمام بقضيّة نان...

كان مكتب دوغ في الطابق الثالث والأربعين من مركز التجارة العالميّ. وقف يحدّق في تمثال الحرّيّة، شارد الذهن. آن الأوان ليضطلع بدور الزوج والأب. وعليه أيضًا الامتناع عن ارتياد الشقّة لبعض الوقت. ملابسه. رسومه والإعلانات. سوف يحملها كلّها إلى الكوخ، ما إن تسنح له الفرصة، الأسبوع المقبل. لربّما يجدر به أن يترك سيّارة الستايشن أيضًا هناك.

هل يُعقل هذا؟ رفّت دارسي بعينيها، وأمسكت بالعدسة المكبّرة. راحت تُحدّق في الصورة حيث تظهر نان شيريدان مع أصدقائها على شاطئ البحر. لفتها عامل الصيانة، في خلفيّة الصورة. هل بدا لها مألوفًا أم أنّها تحلم؟

لم تسمع كريس شيريدان يدخل الغرفة. سلّم عليها بهدوء: «لا أريد مقاطعتك، دارسي»، فانتفضت. ما كان منه إلّا أن اعتذر قائلًا: «لقد طرقتُ الباب، لكنّك لم تسمعي. أنا آسف».

فركت دارسي عينيها وأجابت: «لست مُضطرًّا إلى دقّ الباب. فأنت صاحب المكان. لقد أصبحتُ عصبيّة».

نظر إلى العدسة المكبّرة بيدها وسألها: «هل أفضى بحثك إلى أي جديد؟» .

«لستُ أكيدة. هذا الشابّ هنا..»، وأشارت إلى الشابّ الذي وقف خلف مجموعة الفتيات، «يُشبه شخصًا أعرفه. هل تذكر مكان التقاط الصورة؟»

تفحّص كريس الصورة وقال: «نعم. في بيل أيلاند. تبعد بضعة أميال عن داريين. هناك تملك صديقة مقرّبة من نان منزلًا صيفيًّا».

«هل يمكنني أخذ هذه الصورة؟»

«طبعًا.»

إنشغل بال كريس وراح يتأمّل دارسي وهي تدسّ الصورة في حقيبتها وترتّب أكوام الصور التي استعرضتها. كانت حركاتها بطيئة، لا بل آلية، لكأنّها كانت منهكة القوى.

سألها: «دارسي، هل أنت على موعد الليلة مع أحد واضعي الإعلانات؟»

هزّت دارسي برأسها إيجابًا.

أضاف: «هل لتناول كأس أم عشاء؟»

«أحاول ان أحصر الجلسة بكأس من النبيذ. هذا يكفيني لأعرف ما إذا كان الشابّ قد التقى إيرين أو لأسمعه يُنكر معرفتها بطريقة غريبة.»

«أنتِ لا تركبين السيّارة معهم ولا تقبلين مرافقتهم إلى المنزل؟»

«بالطبع لا.»

«حسنًا تفعلين. فأنت غير قادرة على الدفاع عن نفسك، في حال اعتدى عليك أحدهم.» تردّد كريس قبل أن يُكمل: «صدّقيني، لستُ هنا لطرح الاسئلة حول موضوع لا يعنيني. أتيتُ أبلغك بأن والدتي قد وقعت على رسالة من نان، كتبتها قبل ستّة أشهر من وفاتها، تشير فيها إلى شابّ يُدعى تشارلي أراد لو تنتعل الفتيات أحذية عالية الكعب.»

رفعت دارسي عينيها ونظرت إليه. «هل أطلعتَ فينس دامبروزيو على هذه المعلومة؟»

«ليس بعد. سأفعل بكلّ تأكيد. لكنّني أتساءل عمّا إذا كانت مقابلة والدتي سوف تريحك. فهي قد وقعت على رسائل نان في أثناء بحثها عن الصور تلك. لم يسألها أحد القيام بذلك. برأيي، في حال كانت والدتي تُخفي معلومة ما، فهي حتمًا ستبوح بها لامرأة تتفهّم الألم الذي تتخبّط فيه منذ سنوات.»

«كانت نان تكبرني بستّ دقائق. ولطالما ذكّرتني بذلك. فكانت تناديني بأخي الصغير. لم تكن متحفّظة، أما أنا فبلى. كان كلّ منّا يُكمل الآخر.»

فكّرت دارسي «في النهاية تقبّل كريس ووالدته وفاة نان. لكنّ برنامج جرائم واقعيّة ومقتل إيرين وعلبة الأحذية، والآن أنا، كلّها

حرّكت الجراح من جديد. بالنسبة إليهما كما بالنسبة إليّ، لن يُدرك أحد السلام والعزاء ما لم يُحلّ لغز الجرائم كلّها وتُعرف هويّة القاتل».

ماذا حلّ بهالة الثقة والرخاء التي لمحتها دارسي منذ أيّام قليلة في كريس؟ فقد انسحبت لصالح غيمة من الحزن.

قالت له دارسي: «أودّ لقاء والدتك. إنها تعيش في داريين أليس كذلك؟»

«نعم. سوف أصحبكِ إلى هناك.»

«سأقصد ويليسلي صباح الأحد لزيارة والد إيرين كيلي. هل يوافقك أن أمرّ بمنزلك، بعد الظهر، في طريق العودة؟»

«سيكون يومك طويلًا. ماذا عن الغد؟»

أجابته دارسي: «أنا مرتبطة غدًا.»

وقفت إستعدادًا للرحيل. كانت على موعد مع روبرت كروس عند الخامسة والنصف. لغاية تلك اللحظة لم يتّصل أحد غيره. لقد استنفدت مخزون المواعيد عبر الإعلانات.

الأسبوع المقبل سوف تبدأ بالردّ على الإعلانات التي وضعت إيرين دائرة حولها.

مكتبة الرمحي أحمد

اليوم أمضاه لين باركر في العمل، عكِر المزاج. كان يعمل ضمن فريق الصيانة في جامعة نيويورك وأتقن تصليح كلّ شيء، بلا استثناء، مع أنّه لم يتقدّم في دراسته. غير أنّه عبقريّ تصليحات بالفطرة. لا يخفى عليه شيء من أسرار الكهرباء، أو المفاتيح، أو عضادات الأبواب، أو المحوّلات. طبيعة عمله تقتضي منه إصلاح الأعطال الروتينيّة، لكنّه غالبًا ما يُصلح أعطالًا أخرى من تلقاء نفسه وبدون أن يعلم أحدٌ بالأمر. باختصار، رأى في عمله، حصرًا، مصدر الهدوء والراحة.

غير أنّه اليوم مشّوش الفكر مرتبك. فقد تشاجر مع الأمين على أمواله في المصرف. فذاك المغفّل لمّح إلى امتلاك لين منزلًا في مكان ما. وما دخل الناس بذلك؟ هو حرّ في ما يفعل.

هل لعائلته دخل بالموضوع؟ وماذا عنها؟ ماذا حلّ بإخوته وأخواته؟ جميعهم تخلّوا عنه. لم يتلقَّ يومًا دعوة من أيّ منهم للزيارة.

تلك الفتاة دارسي، لربّما تصرّف معها بطريقة فظّة. لكنّها لم تنتبه إلى أنّه وقف ينتظرها خارج المطعم الفخم، في الطقس البارد، ليعتذر منها. تحدّث مع السيّد دوران، الأمين على حسابه المصرفيّ، عن الموضوع، فقال له هذا الأخير: «لليني، أنت تملك ما يكفي من المال لتناول العشاء، كلّ ليلة، في أي مطعم فاخر تنتقيه».

لكنّ السيّد دوران لم يفهم شيئًا. ما زالت، إلى اليوم، ترنّ في أذن ليني كلمات والدته الغاضبة، وهي تصرخ في وجه والده «حذارِ الاستمرار في استثماراتك المجنونة، فمصير أولادك التسوّل بسببها». كان ليني، لدى سماعه صراخ والدته، يخاف ويختبئ تحت غطاء السرير. كان يخشى أن يجد نفسه على الطريق، في الطقس البارد.

منذ تلك الفترة، بدأ يخرج إلى الشارع بملابس النوم ليعتاد ذلك، في حال وجدوا أنفسهم يومًا ما مرميّين على قارعة الطريق. لم يعلم أحد بخروجه الليليّ المتكرّر. وفيما كان والده يجمع الثروة، كان لين يُدرّب نفسه على تحمّل البرد.

أربكته تلك الذكريات، وشوّشت تفكيره. حصل له في بعض الأحيان أن تخيّل أمورًا لم تحدث قطّ.

منها قصّته مع إيرين كيلي. بحث عن عنوانها. كانت قد أخبرته بأنّها تقطن في غرينويش فيلاج، وتبيّن له أنها صادقة: إيرين كيلي، 101، كريستوفر ستريت.

في مساء أحد الأيّام لحق بها. هل لحق بها في الحقيقة؟ هل كان مخطئًا؟

ألم يحلم بأنها حضرت إلى تلك الحانة، وبأنّه ظلّ واقفًا في الخارج؟ جلست وطلبت مشروبًا. لم يعرف ما كان. نبيذ؟ صودا؟ ما الفرق؟ كان محتارًا في الدخول لملاقاتها.

في تلك اللحظة، خرجت من الحانة. كان يتأهّب للحاق بها والتحدّث إليها عندما توقّفت سيّارة الستايشن. لم يذكر أنّه نظر إلى السائق. ركبت إيرين السيّارة.

حصل ذلك ليلة اختفائها. لكنّ لين لم يكن واثقًا من أنّه شهد على تلك الأحداث في الحقيقة، أم أنّه حلم بها. وإذا ما أخبر رجال الشرطة بذلك، فهل سيعتبرونه مجنونًا ويُعيدونه إلى المكان حيث احتجزوه؟

السبت 9 مارس

ظهر يوم السبت، جلس عميلا الأف. بي. أي.، فينس دامبروزيو وإيرني سيزيك، في سيّارة كرايسلر رماديّة قبالة مبنى كريستوفر ستريت 101.

فجأة، صرخ فينس: «ها هو، إرتدى ثيابه الجميلة ليستمتع بيوم العطلة.»

كان غاس بوكسر يخرج من المبنى. يرتدي قميصًا أحمر وأسود مع بنطال بلون البُنّي الغامق. ينتعل جزمة عالية، بينما تخفي القبّعة السوداء معظم وجهه.

علّق إيرني بتعجّب: «أتسمّي هذه ثيابًا جميلة؟ يبدو فيها متنكّرًا.» «لم يسبق أن رأيتَه بملابسه الداخليّة. هيا بنا.» وفتح فينس باب السائق.

كان الرجلان قد علما من مدراء المبنى بمواعيد عمل بوكسر. بالإجمال، يكون في عطلة ابتداء من ظهر السبت ولغاية صباح الإثنين. في غيابه، يحلّ مكانه خوسي رودريغيز، فيسجّل الشكاوى ويهتمّ بالتصليحات البسيطة.

سمع خوسي رنّة الجرس، وأتى ليفتح لهما. كان شابًّا قويّ البنية في منتصف الثلاثينات. بدا متّزنًا. تساءل فينس عن السبب الذي يمنع الإدارة من توظيفه بدوام كامل. أبرز العميلان بطاقتي الأف. بي. أي.

«نحنُ نستجوبُ سكّان المبنى، تباعًا، في قضيّة مقتل إيرين كيلي. لكنّ عددًا منهم لم يكن موجودًا لدى مرورنا الأخير.»

لم يُضف فينس أنّه أتى اليوم، خصّيصًا، لمعرفة رأي السكّان بغاس بوكسر.

وقف عند باب الشقّة، في الطابق الثالث، وراح يدقّ عليه. فتحت سيّدة بعمر الثمانين، بدون أن تفكّ سلسلة الأمان. أبرز لها فينس شارته، وفسّر رودريغز: «لا داعٍ للقلق، سيّدة دوركين. يودّان طرح بعض الأسئلة عليك. سأبقى هنا معك».

صرخت المرأة: «أنا لا أسمعك.»

«أودّ أن...»

لمس رودريغز ذراع دامبروزيو وهمس قائلًا: «لو كلّمتها أنت ستسمعك، فهي لا تسمع ما أقوله».

«آنسة دوركين، كنت تستلطفين إيرين كيلي. أتذكرين كم مرّة عرضت عليك أن تجلب لك المؤن من المتجر، وكم مرّة رافقتك إلى الكنيسة؟ ألا تريدين أن تلقي الشرطة القبض على قاتلها؟»

فتحت العجوز الباب على مصراعيه وقالت: «هيّا، أنا مستعدّة للإجابة عن أسئلتكما». ورمقت فينس بنظرة قاسية مضيفة: «ولا تصرخ. صراخك يصيبني بالصداع.»

خمس عشرة دقيقة أمضتها العجوز، وهي تُخبر فينس وزميله عن رأيها بإدارة مدينة نيويورك، هي التي تتحدّر منها. قالت لهما،

وهي تهزّ رأسها الذي غطّاه الشيب: «أمضيتُ حياتي في هذه المدينة. لم يحدث أن أوصدنا أبواب منازلنا يومًا. ولِمَ نفعل؟ لم نكن نشعر بأيّ خطر. لكن، ها نحن اليوم نشهد على الجرائم تلك، ولا أحد يتحرّك لردع الفاعلين. الوضع مُقرف. برأيي، يجب إرسال تجّار المخدّرات جميعهم إلى الطرف الآخر من الأرض، وتركهم هناك».

أجابها فينس مُتعبًا: «أوافقك الرأي آنسة دوركين. الآن، لنتحدّث عن إيرين كيلي.»

تجهّم وجه العجوز، وقالت: «لقد كانت ألطف فتاة في العالم. آه لو أمكنني وضع يدي على قاتلها. منذ بضع سنوات، كنتُ جالسة عند النافذة، أنظر إلى المبنى المقابل. هناك وجدت شابّة مقتولة. أتى رجال الشرطة لاستجوابنا لكنّنا، جارتي ماي وأنا، قرّرنا التكتّم عن الموضوع، والامتناع عن الإدلاء بأيّ معلومة. رأينا كلّ شيء، ونعرف هوية المجرم. لكنّ الشابّة المقتولة لم تكن فاضلة، لذا ثمّة أسباب وجيهة لقتلها».

سألها إيرني بذهول: «لقد شهدتِ على جريمة ولم تبلّغي الشرطة؟»

«لربّما أسأتُ التعبير. كانت مجرّد شكوك. ماي وأنا اشتبهنا بالمجرم، هذا كلّ ما في الأمر.»

شكوك! فكّر فينس في نفسه: «يا إلهي! لقد شهدت على تلك الجريمة!» كان واثقًا من أنّ أحدًا لن يُقنعهما، هي وجارتها ماي، بأن تشهدا. تنهّد وقال: «آنسة دوركين، لقد كنت تجلسين عند النافذة. لديّ شعور بأنّك مراقبة جيّدة. هل لمحت إيرين كيلي تترك المبنى مع أحدهم، في تلك الأمسية؟»

«غادرت الشقّة بمفردها.»

«هل كانت تحمل شيئًا؟»

«حقيبة يدها.»

«هل كانت كبيرة؟»

«لطالما حملت إيرين حقيبة يد كبيرة. فهي غالبًا ما كانت تضع فيها المجوهرات، ولم تشأ أن ينشلها أحد من يدها.»

«أفهم أنّ الجميع كان على علم بأنّها تحمل المجوهرات في حقيبة يدها؟»

«أفترض ذلك. فالجميع كانوا يعرفون بأنّها مصمّمة مجوهرات. وكنّا، إذا مررنا بالشارع، رأيناها جالسة إلى طاولة العمل.»

«هل كانت تُكثر من المواعدة؟»

«نعم. ولن أستفيض في الموضوع. من الأكيد أنّها كانت تواعد الشبّان خارج شقّتها. وهذا ما يفعله جيل اليوم. في صباي، درجت العادة على أن يحضر الشابّ إلى منزل الفتاة التي كانت تنتظره عند عتبة الباب. في أيّامنا، كان هناك احترام لأصول المواعدة.»

«أوافقك الرأي.»

دار الحديث كلّه من دون أن يكون فينس وزميله قد دخلا الشقّة، بل وقفا عند المدخل.

«آنسة دوركين، ما رأيك لو دخلنا شقّتك لبعض الوقت. فأنا أفضّل أن يبقى حديثنا سرّيًّا.»

«آمل أنّ حذائيكما ليسا متّسخين بالوحل.»

«لا سيّدتي.»

قال لها رودريغز: «سوف أنتظر هنا آنسة دوركين.»

كانت الشقّة غاية في النظافة، تُشبه شقّة إيرين، من حيث التصميم الداخليّ. مقاعد تعلوها مساند للرأس. شماعد نفيسة، طاولات صغيرة ملمّعة، صور عائليّة لرجال بشوارب ولنساء صارمات. عادت الذكرى بفينس إلى منزل جدّته في جاكسون هايتس.

بقي فينس وزميله واقفين، فالعجوز لم تدعُهما إلى الجلوس.

«آنسة دوركين، ما رأيك بغاس بوكسر؟»

لدى سماعها الاسم، أجابت العجوز بسخط مشوب بشيء من الاحتقار: «ذاك الرجل! صدّقني، شقّتي هي الوحيدة التي لا يدخلها للتحقّق من تسرّب الماء المزعوم. وهي الوحيدة التي يحصل فيها تسرّب للماء. أنا لا أحبّ ذاك الرجل. أستغرب أنّ الإدارة ما زالت متمسّكة به. يتسكّع في المبنى بثيابه المقرفة. فظّ في التعامل مع الناس. التفسير الوحيد لبقائه هنا هو أنّه لا يتقاضى أجرًا عاليًا. قبل اختفاء إيرين بفترة قصيرة، سمعتها تهدّده بالاتّصال بالشرطة في حال وجدته في شقّتها من جديد».

«إيرين هدّدته بذلك؟»

«نعم. وكانت على حقّ.»

«هل كان غاس بوكسر يُدرك قيمة المجوهرات التي كانت بحوزة إيرين؟»

«لا تخفى على بوكسر أيّ شاردة أو واردة في المبنى.»

«آنسة دوركين، إنّ شهادتك مفيدة. هل من معلومة أخرى تودّين إطلاعنا عليها؟»

تردّدت وأجابت: «قبل أسابيع قليلة من اختفاء إيرين، كنتُ ألمح شابًّا يتسكّع في الشارع من وقت إلى آخر. إعتاد المجيء عند

حلول الظلام، ما كان يصعّب رؤيته بوضوح. أجهل نواياه. لكن في ليل الثلاثاء المشؤوم، عندما تركت إيرين المبنى للمرّة الأخيرة، رأيتها تخرج بمفردها وهي تحمل حقيبة يدها الكبيرة. كانت نظاراتي مغشاة بالبخار، فلم أتأكّد من أنّني رأيت الشابّ نفسه في الشارع. لكنّني أظنّ ذلك، وقد لمحته يلحق بإيرين، فيما خرجت من المبنى.»

«لم تتبيّني ملامحه واضحة في تلك الليلة، لكن حدث وأن رأيته في مناسبات أخرى. هلا وصفته لنا، آنسة دوركين؟»

«طويل نحيل. كان يرفع ياقة قميصه ويضع يديه في جيبه. وجه نحيف. شعر داكن غير مرتّب.»

إستنتج فينس: «ذاك لين باركر.» غمز إيرني، الذي راودته الخاطرة نفسها.

غرقت دارسي في مقعد المرسيدس، وابتسمت لمايكل قائلة: «إنتظرتُ هذه اللحظة بفارغ الصبر. لقد كان أسبوعي حافلًا.»

«هذا ما اعتقدته. عانيت الأمرّين لأتّصل بك، في المنزل أو في المكتب.»

«أعرف ذلك. أنا آسفة.»

«لا تعتذري. اليوم مناسب لركوب الخيل، ما رأيك؟»

كانا يسلكان الطريق 202، ويقتربان من بريدج واتر. علّقت دارسي: «أعرف القليل عن نيو جيرسي.»

«واثق من أنّك تعرفين ما يُحكى عن المنطقة من نكات. فهي مشهورة بمصافي البترول التي تزنّر طريقها الرئيسيّة. لكنّ ساحلها هو الأطول بين سواحل الولايات المتّحدة، وتضمّ أكبر عدد من الخيول في البلاد.»

ضحكت دارسي وقالت: «أنت تمزح!»

«أنا جادّ في ما أقوله. مَن يدري، فقد تهتدين وتصبحين من مُحبّيها، بفضل حماستي.»

إستقبلتهما السيدة هاغز بابتسامة عريضة. «آنسة سكوت، لقد حضّرت لك عشاء لذيذًا عندما علمت من الدكتور أنّك قادمة.»

«هذا لطف منك.»

«إنّ غرفة الضيوف في الطابق الأول جاهزة. يمكنك الاغتسال قليلًا بعد النزهة.»

«رائع.»

الحقيقة أنّ الطقس اليوم أجمل ممّا كان عليه الأحد الفائت، بارد ولكنّه مشمس. جوّ ربيعي. استسلمت دارسي لنشوة ركوب الخيل.

عندما توقّفا لإراحة حصانيهما، بادرها مايكل بالقول: «لن أسألك إن كنت تمضين أوقاتًا سعيدة.»

برد الطقس في فترة بعد الظهر فأشعل مايكل النار في موقد المكتب، وتصاعد اللهب عاليًا.

سكب لها كأسًا من النبيذ، وأضاف لكأسه بعض مكعبّات الثلج. جلس إلى جانبها، على كنبة الجلد المريحة، ومدّ رجليه على الطاولة الصغيرة. مدّ ذراعه وراءها على الكنبة. قال لها: «تعرفين، خلال الأسبوع فكّرتُ مليًّا في ما قلتِه لي. قد تؤذي ملاحظة عابرة طفلة إلى هذا الحدّ. لكن دارسي، قولي لي بصدق، ألا تنظرين إلى شكلك في المرآة، وترين أجمل سيّدة في العالم؟»

«بصراحة، لا.»

تردّدت دارسي قبل أن تُضيف: «أقسم بأنني لم آتِ طلبًا لمعاينة مجانية، لكنّني كنت عازمة على أن أفاتحك بالموضوع. لم يعد يهمّ.»

مرّر أصابع يده في شعرها وقال: «تفاتحينني بأيّ موضوع؟ هيّا، بوحي بما يزعجك».

نظرت إليه، وحاولت أن تُركّز على اللطف الذي بدا في عينيه. «مايكل، أشعر بأنّك تُدرك تأثير تلك الملاحظة في نفسي. مع ذلك، أن تحسب أنني أحمّل والديّ المسؤوليّة عنها طوال تلك السنوات...»

صفر مايكل وقال: «أنت تقومين بعملي. فمعظم الناس لا يتوصّلون إلى هذه النتيجة قبل سنة كاملة من العلاج.»

«لم تردّ على سؤالي.»

طبع قبلة على خدّها وقال: «ولا أنوي ذلك. هيّا بنا، أظنّ أنّ العشاء جاهز».

عادا إلى شقّتها في تمام العاشرة. ركن السيّارة ورافقها إلى الباب. «هذه المرّة لن أتركك قبل أن أتأكّد من دخولك الشقّة بأمان. ليتك تسمحين لي بأن أُقلّك غدًا إلى ويليسلي. فالرحلة ذهابًا وإيابًا طويلة في يوم واحد.»

«اعتدت القيام بها. وستكون لي محطّة أتوقّف عندها في طريق العودة.»

«أللقيام ببعض مشتريات القطع الفنّية؟»

لم تشأ التحدّث عن صور نان شيريدان. «شيء من هذا القبيل. عملية اصطياد أخرى.»

وضع يديه على كتفيها ورفع وجهها. إقترب منها، وطبع على شفتيها قبلة حنان ولو أنّها مختصرة.

«دارسي، إتّصلي بي لدى عودتك مساء الغد. أودّ الاطمئنان عليك.»

«سأفعل. شكرًا لك.»

بقيت واقفة عند الباب، ورأت السيارة تختفي في الشارع. ثمّ ارتقت السلالم، مسرعة، وهي تدندن.

كان فينس ينتظر هانك مساء السبت. فتح باب شقّته، وهو يقول في نفسه «للأسف، نحن لا نمضي معًا الكثير من الوقت». خلال فترة زواجهما، كان يعيش مع أليس في غريت نيك. بعد انفصالهما، لم يعد من ضرورة ليسكن في الضواحي. باع المنزل، واستقرّ في هذه الشقّة الكائنة في الشارع التاسع عشر من الجادّة الثانية، في المنطقة المحيطة بغراميرسي بارك. فهو لا يتحمّل كلفة السكن في حيّ غراميرسي بارك نفسه.

مع ذلك، فقد أحبّ الشقّة. كانت تقع في الطابق التاسع، وتشرف على وسط المدينة. إلى اليمين، يمكن رؤية غراميرسي بارك المُزنّر بمبانٍ فخمة من القرميد. ولا تخفى على الناظر أرتال السيّارات المارّة في الجادّة الثانية. من الجانب الآخر للشارع، يُطالعك عدد من المباني السكنيّة والمكاتب والمقاهي والمطاعم، بالإضافة إلى المتاجر الكوريّة ومحلّ لبيع تجهيزات الفيديو.

تألّفت الشقّة من غرفتي نوم وحمّامين، وغرفة جلوس واسعة، وحجرة للطعام ومطبخ صغير. كانت غرفة النوم الثانية لهانك، غير أنّه وضع فيها طاولة وبعض الرفوف، فاستخدمها مكتبًا أيضًا.

أمّا غرفة الجلوس وحجرة الطعام فقد فُرشتا على ذوق أليس. قبل سنة من انفصالهما، جدّدت أليس أثاث غرفة الجلوس واختارت له ألوان الباستيل. كنبة بلوني الأبيض والقرنفليّ، وقد نسّقت معها

سجّادة وكُرسيًّا منجّدًا بالألوان نفسها. أمّا الطاولات، فمن الزجاج، والمصابيح بشكل نبات الصبّار القاسي المنتصب في الصحراء. لم تسأله أليس رأيه عندما تخلّصت من قطع الأثاث التقليديّة المُحبّبة إلى قلبه. يومًا ما، سوف يرمي بهذا كلّه في الخارج ويشتري قطعًا قديمة مريحة. فقد سئم العيش في منزل أشبه بمنزل الدمى.

لم يكن هانك قد وصل. نزع فينس ثيابه وأخذ حمّامًا ساخنًا. إرتدى بنطالًا فضفاضًا مع كنزة، وانتعل الموكاسين. فتح زجاجة من الجعة، تمدّد على الكنبة، وراح يستعرض القضيّة.

كان التحقيق مُحيّرًا. فكلّ معلومة جديدة كانت تضع الشرطة أمام احتمالات جديدة.

بوكسر. هدّدته إيرين بإبلاغ الشرطة عنه. بالأمس، اتّصلت دارسي سكوت تقول إنها وقعت على صورة لنان شيريدان، في بيل أيلاند، يظهر في خلفيّتها عامل صيانة قد يكون بوكسر. فأخذوا منها الصورة، وهم بصدد التحرّي عن الموضوع.

أمّا الآنسة دوركين فقد رأت رجلًا يُشبه إلى حدّ كبير ذاك المُختلّ، لين باركر، كان يتسكّع في كريستوفر ستريت. وهي تظنّ بأنه لحق بإيرين كيلي ليلة اختفائها.

ماذا عن ذاك المحتال، جاي ستراتون؟ ثمّة علاقة جمعته بنان شيريدان، وأخرى، مباشرة، جمعته بإيرين كيلي.

سمع فينس صوت المفتاح في الباب. دخل عليه هانك كالإعصار.

«مرحبًا أبي.»

رمى الكيس الذي كان يحمله، وطبع على خدّ والده قبلة سريعة. لقد اعتاد أن يلجم التعبير عن المحبّة الكبيرة التي يكنّها لابنه، تجنبًّا لإحراجه.

أجابه: «مرحبًا، بُنيّ. كيف الحال؟»

«عظيم. لقد حصلت على علامة 20/18 في الكيمياء.»

«لا شكّ في أنّك استحققتَها.»

خلع هانك سترته، ورمى بها إلى الطرف الآخر من الغرفة.

«أنا سعيد بالعطلة بعد امتحانات نصف السنة.» توجّه إلى المطبخ، وفتح الثلاجة. *مكتبة الرمحي أحمد*

«أبي، لم يبقَ أمامنا سوى الاتّصال بمطعم البيتزا السريعة.»

«أنت محقّ بُنيّ. لقد كان أسبوعي حافلًا.» مع ذلك راودته فكرة. فقال لهانك: «لقد وقعت على مطعم إيطاليّ يُقدّم الأطباق الشهية. يمكننا تناول العشاء فيه، والذهاب إلى السينما، بعد ذلك.»

«فكرة رائعة.» تمطّى هانك، وأضاف: «يُسعدني أنّني هنا معك. فأمّي وزوجها السمين عكرا المزاج في هذه الفترة».

قال فينس في سرّه: «مشاكلهما لا تعنيني». مع ذلك لم يمنع نفسه من السؤال «لماذا؟»

«لقد طلبت منه ساعة روليكس هديّة في عيد ميلادها. روليكس 16-5.»

«روليكس بستة عشر ألف وخمسمئة دولار؟ لقد تلمّست فيها ميلًا إلى الترف عندما تزوّجتها.»

ضحك هانك وقال: «أنا احبّ أُمّي، لكنّك أدرى الناس بها. فهي تهوى حياة الترف. ماذا حلّ بقضية القاتل بالجملة؟»

رنّ الهاتف. قطّب فينس، وقال في نفسه «آمل أنّه ليس اتّصال عمل، فالليلة مُخصّصة لهانك». بدت على وجه هذا الأخير علامات

الفضول والاهتمام. قال لفينس، وهو يرفع السمّاعة ليردّ: «لربّما استجدّ أمر ما.»

كانت نونا روبرتس. «فينس، لا أحبّ الاتّصال بك بعد دوام العمل، لكنّك أعطيتني رقم المنزل. لقد كنت خارج المكتب طوال اليوم، وعدت للتّوّ. وجدت رسالة من الدكتور ناش، يُعلمني فيها أنّ ناشر الكتاب لا يستحسن مشاركته في نقاش حول الإعلانات الشخصيّة. فالكتاب سوف يصدر في موسم الخريف المقبل. هل تعرف طبيبًا نفسيًّا آخر قد تعرض عليه المشاركة في البرنامج؟»

«أنا أتعامل مع عدد قليل من المحلّلين النفسيّين المتخصّصين في المسائل القانونيّة. سوف أبذل ما في وسعي لإقناع أحدهم بالمشاركة في حلقة الإثنين.»

«شكرًا جزيلًا. وآسفة، مرّة أخرى لإزعاجك. الآن، سوف أقصد مطعم باستا لوفرز لتناول طبق السباغيتي المفضّل عندي.»

«في حال سبقتنا في الوصول، إحجزي طاولة لثلاثة أشخاص. لقد كنّا هانك وأنا على وشك الذهاب إلى هناك.»

لكنّه عاد وقال: «ما لم تكوني برفقة بعض الأصدقاء.»

وفكّر «برفقة صديق».

«سوف أقصد المطعم بمفردي. إلى اللقاء هناك.»

وأقفلت الخطّ. إلتفت فينس إلى هانك وسأله: «هل لديك مانع أيّها الزعيم؟ هل كنت تُفضّل أن نكون لوحدنا؟»

تناول هانك السترة التي رمى بها على الكرسيّ وأجاب: «بالطبع لا مانع لديّ. فمن واجبي مراقبة صديقاتك».

الأحد 10 مارس

عند السابعة من صباح الأحد، إنطلقت دارسي إلى ماساتشوستس. فيما سلكت طريق إيست ريفر، تذكّرت المرّات العديدة التي ترافقت وإيرين لزيارة بيلي. كانتا تتشاركان القيادة وتتوقّفان في الطريق لاحتساء القهوة في ماك دونالد. وكانتا، في كلّ مرّة، تقرّران شراء زجاجة حافظة للحرارة كتلك التي اعتادتا استخدامها أيّام الجامعة.

في المرّة الأخيرة التي تطرّقتا فيها إلى موضوع الزجاجة، لم تمنع إيرين نفسها من الضحك. «المسكين بيلي، سوف يموت ويُدفن قبل أن نشتري تلك الزجاجة.»

اليوم، إيرين هي الميتة والمدفونة.

قطعت دارسي المسافة بدون أن تتوقّف، وبلغت ويليسلي عند الحادية عشرة والنصف. توقّفت عند كنيسة القدّيس بولس، ودقّت على باب بيت الكاهن الذي ترأسّ مراسم جنازة إيرين. دخلت وشربت القهوة معه.

قالت له: «أتمنّى عليك، كما تمنّيتُ على المسؤولين في المصحّ، الاتّصال بي في حال احتاج بيلي إلى أيّ شيء، في حال تدهورت صحّته، أو على العكس، استعاد وعيه.»

أجابها الكاهن بهدوء: «لن يستعيد وعيه. وذاك أفضل له. برأيي إنّها نعمة من لدن الربّ.»

حضرت دارسي قدّاس الظهر، وتذكّرت العظة التي قيلت منذ أسبوعين. «من قد ينسى منظر تلك الفتاة الصغيرة وهي تدفع بوالدها داخل هذه الكنيسة؟» بعد القدّاس، قصدت المدفن. لم يكن التراب قد كُدّس بعد على قبر إيرين. كست الأرض طبقة من الجليد راحت تلمع تحت شمس مارس الضعيفة. جثت دارسي على ركبتيها، نزعت قفّازها، ووضعت يدها على القبر.

«إيرين. إيرين.»

من المدفن، توجّهت دارسي إلى المصحّ، وجلست ساعة كاملة إلى جانب بيلي وهو يرقد نائمًا. لم يفتح عينيه، لكنّها أمسكت بيده وراحت تُكلّمه بصوت خافت.

«لقد جُنّ مدير برتوليني بالقلادة التي صمّمتها إيرين. وطلب منها أن تشتغل لهم المزيد من القطع.»

بعد ذلك، انتقلت إلى التحدّث عن عملها «بصراحة، بيلي، لو رأيتنا إيرين وأنا نفتّش في العُلّيات، لظننت بأنّنا قد أصبنا بالجنون. لقد عثرت إيرين على بعض قطع من الأثاث لم أكن لأراها».

همّت بالرحيل، فانحنت وطبعت قبلة على جبينه. «فليباركك الربّ بيلي.»

أحسّت به يضغط برفق على يدها. فكّرت «هو يُدرك أنّني هنا». وعدته قائلة: «لن أتأخّر في العودة إليك.»

كانت قد استأجرت سيّارة ستايشن، من طراز بويك، مجهّزة بهاتف. سارت السيّارات بطيئة باتّجاه الجنوب. عند الخامسة، اتّصلت بآل شيريدان في داريين. ردّ عليها كريس.

فسّرت له: «سوف أتأخّر قليلًا عن موعد وصولي. لذا، لا أريد أن أعطّل برنامج والدتك أو برنامجك.»

طمأنها قائلًا: «لا عليك، ليس عندنا أيّ برنامج محدّد. نحن في انتظارك.»

عندما دخلت دارسي باحة منزل آل شيريدان، بعد ثلاثة أرباع الساعة من اتّصالها، كان الظلام قد حلّ. أنار أهل البيت الأضواء الخارجيّة للمنزل العريق الرائع. سلكت الممرّ الطويل الذي التوى أمام المدخل الرئيسيّ. تجاوزته وركنت السيّارة.

كان كريس شيريدان في انتظارها. انفتح باب المدخل وخرج لاستقبالها. قال لها: «قطعت المسافة بسرعة. يسرّني أن أراك هنا.»

كان يرتدي قميصًا مُخطّطًا وبنطالًا من المخمل. إنتعل الموكاسين. فيما مدّ يده لمساعدتها على الترجّل من السيّارة، لفتت دارسي مرّة جديدة كتفاه العريضتان. سَرَّها أنّه لم يكن يرتدي سترة وربطة عنق. فهي كانت قد انتبهت في الطريق إلى أنّها ستصل وقت العشاء، وأنّ بنطال المخمل والكنزة اللذين ارتدتهما لن يكونا مناسبين.

منزل رائع، جمع داخله بين الرفاهية والأناقة. تميّز البهو بسقفه العالي، وزيّنت أرضيّته سجّادة فارسيّة. أمّا السُلّم الحلزونيّ فرائع بزخارفه، وقد أضاءته ثرّيات واترفورد ومصابيح جداريّة منسّقة. توقّف نظر إيرين عند اللوحات التي زيّنت حائط الدَرج، وتمنّت لو أنّها تُمعن في تأملّها.

قال لها كريس: «إنّ والدتي، على غرار الناس جميعًا، تمضي الوقت في الحجرة الصغيرة. من هنا.»

ألقت دارسي نظرة عابرة على غرفة الجلوس، وفطن كريس لذلك، فعلّق «المنزل بكامله مفروش بقطع من الأثاث الأميركيّ القديم، منذ

عهد الاستعمار وصولًا إلى النصف الأوّل من القرن التاسع عشر. كانت جدّتي مولعة بقطع الأثاث القديمة، وبرأيي، فقد أورثتنا ذوقها».

كانت غريتا شيريدان جالسة في مقعد وثير بالقرب من الموقد، حولها أعداد مبعثرة من صحيفة نيويورك تايمز. كانت «مجلة الأحد» مفتوحة على صفحة الكلمات المتقاطعة فيما غريتا تبحث في أحد القواميس. وقفت بلباقة تحيّي دارسي. أمسكت بيدها وقالت «آسفة بشأن صديقتك».

هزّت دارسي رأسها. يا لها من سيّدة رائعة الجمال! لا شكّ في أنّ العديد من الممثّلات زميلات والدتها كنّ ليحسدنها على الوجنتين العاليتين، كما على ملامحها الارستقراطيّة، وقدّها النحيل. كانت تلبس بنطالًا من الصوف الأزرق الفاتح وكنزة عالية الياقة من اللون نفسه. وضعت في أذنيها قرطين من الألماس، وعلّقت دبّوسًا من الألماس بشكل حدوة.

قالت دارسي لنفسها «إنّها ذات حسب ونسب».

سكب كريس كؤوس الخمر. وضع على الطاولة صحنًا من الجبنة والبسكويت الرقيق، وأضرم النار في الموقد.

«عند مغيب الشمس، نُدرك أنّنا ما زلنا في شهر مارس.»

سألتها غريتا شيريدان عن الطريق وقالت «لن أجرؤ يومًا على قطع المسافة، ذهابًا وإيابًا، من نيويورك إلى هنا».

«أنا معتادة على القيادة.»

قال كريس: «دارسي، أنا أعرفك منذ خمسة أيّام. هلا حدّثتني عن عملك؟» إلتفت إلى غريتا وأضاف: «عندما رافقتُ دارسي للمرّة الأولى في جولة عبر المعرض، انتبهت لمكتب روتنغين. ثمّ قالت لي إنّها ضليعة في مجال عملنا».

ضحكت دارسي وردّت: «لن تصدّقني، لكنّها الحقيقة».

بدا على وجه غريتا الاهتمام. «يا لها من فكرة رائعة. ففي حال كنتِ مهتمّة بهذا المجال، قد أساعدك وأرشدكِ إلى بعض قطع الأثاث. ستصابين بالدهشة لدى رؤية قطع الأثاث الجميلة التي يتخلّص منها الناس في هذه المنطقة، أو التي يبيعونها بأسعار زهيدة.»

عند السادسة والنصف، قال كريس: «أنا الطاهي اليوم. آمل أنّكِ لستِ نباتيّة، دارسي. فقد حضّرت شرائح الستيك والبطاطس في الفرن مع السلطة».

«لستُ نباتيّة، وأتضوّر جوعًا.»

إنتظرت غريتا شيريدان خروجه من الحجرة لتتحدّث عن ابنتها، وعن إعادة تمثيل جريمة قتلها في برنامج «جرائم واقعيّة».

«عندما تلقّيتُ تلك الرسالة، وفيها أن فتاة راقصة ستلقى حتفها في نيويورك في ذكرى مقتل نان، طار صوابي. فالمرء لا يتحمّل البقاء مكتوف اليدين، عاجزًا عن التدخّل للحؤول دون وقوع مأساة يعلم بحدوثها الوشيك.»

«ما بالك لو أحسّ بالمسؤوليّة عن وقوع المأساة؟ لقد حثثتُ إيرين على الردّ على الإعلانات المشؤومة، ولن أكفّر عن ذنبي إلّا بردع قاتلها عن إيذاء فتيات أخريات. يبدو لي أنّك تسعين إلى الهدف نفسه. أتفهّم الألم الذي عصر قلبك وأنت تستعرضين صور نان ورسائلها، وأنا ممتنّة لك.»

أشارت غريتا إلى كومة من الألبومات وضعت أمام الموقد، وقالت: «وجدت صورًا أخرى. إنّها هنا. كانت على رفّ في أعلى المكتبة ولم أنتبه لوجودها». مدّت يدها، وتناولت الألبوم الأوّل. سحبت دارسي كرسيًّا وجلست إلى جانبها وانحنتا تتأملان الصور.

قالت غريتا: «لقد أظهرت نان اهتمامًا بالتصوير، تلك السنة، فأهديناها آلة كانون في عيد الميلاد. بالتالي، التقطت هذه الصور بين نهاية ديسمبر وبداية شهر مارس.»

لدى رؤية الصور، فكّرت دارسي في سنوات الطيش. لقد احتفظت بألبومات مماثلة عن فترة الدراسة في ماونت هوليوك. الفارق الوحيد هو أنّ جامعة ماونت هوليوك كانت للفتيات حصرًا. من اللافت في تلك الصور عدد الشبّان المساوي لعدد الفتيات. راحت غريتا ودارسي تتفحّصانها. وإذا بكريس يُطلّ، عند عتبة الباب، ويقول: «سوف يجهز العشاء بعد خمس دقائق».

«أنت طاهٍ بارع»، قالت دارسي، وهي تأكل اللقمة الأخيرة من الستيك.

دار الحديث حول تلميح نان إلى شابّ يُدعى تشارلي كان يحبّ الفتيات اللواتي ينتعلن الكعب العالي.

عن الموضوع، قالت غريتا: «هذا ما كنتُ أحاول جاهدة أن أتذكّره. لقد كَثُر الحديث في الإعلام وتكرّر عن الأحذية العالية الكعب. ما كان يُزعجني ويُحيّرني هو تلك الرسالة من نان بشأن الكعب العالي. للأسف لن تُفيدنا تلك الرسالة، أليس كذلك؟»

أجابها كريس: «لن تُفيدنا في الوقت الحاضر.»

أحضر كريس صينيّة القهوة إلى المكتب. علّقت والدته بحنان: «يناسبك دورُ مدير الخدم في مطعم.»

«بما أنّكِ ترفضين بعناد وجود خادمة تساعدك في المنزل، وجدتني مضطرًا لتعلّم الأعمال المنزليّة.»

فكّرت دارسي في منزل والديها، في بيل إير، حيث يعمل ثلاثة خدم.

أنهت القهوة، وتأهّبت للمغادرة. «كم أودّ أن أبقى لفترة أطول، لكن يلزمني أكثر من ساعة لبلوغ منزلي. وفي حال تأخّرت في السهرة، غفوت على المقود.» تردّدت وأضافت: «هل بإمكاني إلقاء نظرة أخيرة على الألبوم الأخير؟»

في الصفحة الأخيرة من الألبوم ذاك، كانت صورة تضمّ مجموعة من الطلّاب. قالت دارسي «ذاك الشابّ، الذي يشيح بوجهه عن الكاميرا، لفت نظري...» رفعت كتفيها وأضافت: «يُخيّل إليّ أنّني رأيته في مكان ما.»

تفحّص كريس وغريتا الصورة، وقالت هذه الأخيرة: «يمكنني أن أتعرّف إلى بعض أولئك الشباب، لكنّه لم يسبق لي أن التقيتُ ذاك الشابّ. ماذا عنك كريس؟».

«لم يسبق لي أن التقيته. لكن أنظري إلى جانيت. فهي تبدو في الصورة.» وقال، مفسّرًا لدارسي: «كانت واحدة من الصديقات المقرّبات لنان، وهي تعيش في ويست بورت».

التفت إلى والدته قائلًا: «إنّها تُحبّ زيارتك. لِمَ لا تقومين بدعوتها قريبًا؟»

«إنّها مشغولة مع الأولاد. قد أزورها بنفسي.»

عندما همّت دارسي بالمغادرة، قالت لها غريتا، مبتسمة: «دارسي، لقد أمضيتُ السهرة أتأمّلك. باستثناء لون شعرك، فأنت تشبهين باربرا ثورن إلى حدّ كبير. هل سبق وقال لك ذلك أحدهم؟»

أجابت دارسي بصدق: «مُطلقًا.» لم تكن اللحظة مؤاتية لتعلن أنّ باربرا ثورن هي والدتها. إبتسمت وأردفت: «لكنّني اعترف لك سيّدة شيريدان بأنّني مسرورة لسماع ذلك.»

رافقها كريس إلى السيّارة وسألها: «هل يمكنك القيادة؟ ألستِ متعبة؟».

«لا. يجدر بك مرافقتي في تلك المسافات الطويلة التي أقطعها، وأنا أصطاد قطع الأثاث.»

«نحن نعمل في المجال نفسه.»

«صحيح، لكنّك تعمل على مستوى أعلى.»

«هل ستعودين إلى المعرض غدًا؟»

«سأفعل. ليلة سعيدة، كريس.»

كانت غريتا شيريدان تنتظر عند الباب. قالت لابنها: «إنّها فتاة رائعة، كريس. رائعة.»

رفع كريس كتفيه وقال: «أوافقك الرأي.»

تذكّر احمرار وجنتي دارسي عندما دعاها بالأمس لزيارتهما. «لكن، أرجوك أمّي، لا تبدأي التخطيط. لديّ إحساس بأنّها مرتبطة.»

خلال عطلة نهاية الأسبوع، كان دوغ مثال الزوج والوالد المُخلص. لكنّ سوزان كانت واثقة من أنّه يخدعها. مع ذلك فقد أستبعدت فكرة أن يكون قاتلًا بالجملة.

ذهب يشاهد دوني وهو يتمرّن في ملعب كرة السلّة ثمّ نظّم مباراة كرة قدم في الحديقة مع أصدقاء الأولاد. بعد ذلك، دعا الجميع إلى الغداء في البرغر كينغ، وقال مازحًا: «الطعام هناك صحّي».

كان المكان مكتظًا بالعائلات الفتيّة، وأسفت سوزان لكون أسرتها تفتقر إلى هذا النوع من اللقاءات. لكنّ الأوان قد فات. نظرت إلى دوني الذي بالكاد تلفّظ بكلمة.

لدى عودتهم إلى المنزل، لعب دوغ مع الطفل وساعده على بناء قصر من المكعّبات. «هيّا نضع الأمير الصغير في الداخل»، صرخ كونر ابتهاجًا. ثمّ رافق تريش في جولة على درّاجتها. «سوف نتجاوز المارّة في الشارع، أليس كذلك، صغيرتي؟»

كان له أيضًا حديث ودّي مع بيث، حديث الأب مع ابنته. قال لها: «إنّ فتاتي الصغيرة تزداد جمالًا يومًا بعد يوم. سوف أشيّد سياجًا حول هذا المنزل لأبعد الشُبّان الذين سيلحقون بك.»

وبينما كانت سوزان تُحضّر العشاء، إقترب منها، ومرّغ أنفه في رقبتها: «يجدر بنا أن نخرج للرقص في إحدى الأمسيات، حبيبتي. أتذكرين كم كنّا نرقص، أيّام الجامعة؟».

وقعت كلماته عليها وقع ريح قارسة، ولم تمحُ من ذهنها فكرة أن يكون زير نساء. فكّرت في أحذية الرقص التي وجدت في أقدام الفتيات المقتولات.

في السرير، مدّ دوغ يده نحوها وقال: «سوزان، هل سبق وعبّرت لك عن حبّي الكبير لك؟»

«لقد قلتَ لي ذلك مرارًا، لكنّني ما زلت أذكر مرّة من تلك المرّات أكثر من غيرها. عندما كذبتُ من أجلك، بعد موت نان شيريدان.» إستوى دوغ في جلسته وراح يُحدّق فيها في العتمة. سألها بنبرة ساخرة: «متى كانت تلك المرّة؟»

لا يجب أن يقرأ فكركِ.

ضحكت بعصبيّة وأجابت: «يوم زواجنا طبعًا».

لم تتحمّل أن يلمسها. أدركت أنها خائفة منه فقالت: «أرجوك دوغ. أنا متعبة الليلة».

«سوزان، ما بك. أنت ترتجفين.»

إنقضى يوم الأحد كما السبت. يوم اجتماع العائلة. لكن سوزان أدركت علامات التعب في عيني دوغ والقلق على وجهه.

هل يجدر بي إعلام الشرطة بشكوكي؟ ماذا لو اعترفت بأنّني كذبت من أجله، منذ خمس عشرة سنة، فهل سأدخل السجن أنا أيضًا؟ في هذه الحالة، ماذا سيكون مصير الأولاد؟ وماذا لو شكّ في نواياي، فكيف سيمنعني من التدخّل؟

الإثنين ١١ مارس

صباح الإثنين، اتّصل فينس بنونا. قال لها: «لقد تدبّرتُ لك طبيبًا نفسيًّا للبرنامج. إنّه الدكتور مارتن ويس، شابّ لطيف وحسّاس وحسن الاطّلاع. لا يُجامل، بل يُحلّل، بصراحة وصدق. وافق على المشاركة في البرنامج. هل تريدين رقم هاتفه؟»

أجابت نونا: «بكلّ تأكيد»، ثمّ أضافت: «لقد أحببتُ هانك، فينس. إنّه شابّ مُذهل.»

«يريد أن يعرف ما إذا كنت تهتمّين بمشاهدته يلعب البايسبول.»

«سوف أُحضر الفُشار.»

إتّصلت نونا بالدكتور ويس الذي قَبِل الحضور إلى الأستديو في تمام الرابعة من يوم الأربعاء. قالت له نونا: «سوف نبدأ تسجيل الحلقة عند الخامسة، على أن تُبثّ الثامنة من مساء الخميس.»

يوم الإثنين، أمضت دارسي معظم وقتها في المستودع تُسعّر قطع الأثاث التي اختارتها للفندق. عند الرابعة، وصلت إلى دار شيريدان، بالتزامن مع بدء مزاد علني. لمحت كريس واقفًا في الصفّ الأوّل، وقد

أدار لها ظهره. اجتازت الرواق بخفّة وبلغت قاعة الاجتماعات. كان عدد كبير من الصور مؤرّخًا. أرادت العثور على صور تعود إلى الحقبة نفسها، علّها تقع على صورة لذاك الطالب الذي بدا لها مألوفًا.

دقّت السادسة والنصف، وهي لم تُنهِ بحثها بعد. دخل كريس الغرفة. رفعت رأسها وابتسمت له قائلة: «لقد بدت المزايدة حامية. هل كان اليوم مثمرًا؟»

«نعم، كان كذلك. لم يعلمني أحد بوجودك هنا. لكنّني انتبهتُ للنور مضاء.»

«لقد أتيتَ في الوقت المناسب. كريس، ألا يُشبه الشابّ في هذه الصورة ذاك الذي دللتكَ إليه بالأمس؟»

تفحّص كريس الصورة وأجاب: «بلى يُشبهه. لقد تركت والدتي رسالة منذ دقائق قليلة. فهي قد قابلت جانيت اليوم. ذاك الشابّ كان من بين الذين خضعوا للاستجواب في قضية نان. أظّنّه كان معجبًا بها. إسمه دوغ فوكس».

سألها، وقد انتبه للصدمة البادية على وجهها: «هل تعرفينه؟»

«تحت اسم دوغ فيلدز، عن طريق إعلان شخصيّ.»

«حبيبتي، لقد دعونا إلى اجتماع طارئ. لا يمكنني التحدّث إليك. تبلّغنا، للتوّ، إفلاس إحدى الشركات التي يتعامل معها واحد من عملائنا البارزين.»

تدبّرت سوزان أمرها لتمضية السهرة. فحمّمت الطفل وتريش، وساعدت دوني وبيث في إنجاز فروضهما المدرسيّة.

بعد الانتهاء من واجباتها المنزليّة أطفأت الأنوار، وخلدت إلى النوم. لكنّها بقيت لساعات طويلة مُمدّدة في السرير، وقد هجرها

النعاس. كانت تُفكّر في دوغ. فبعد أن أمضى عطلة نهاية أسبوع كاملة في المنزل، ها هو الآن يتسكّع في مكان تجهله. وفي حال كان مسؤولًا عن موت إحدى الفتيات، فهي أيضًا مُذنبة.

جُلّ ما تمنّته هو الهروب... وضع الأولاد في السيّارة والهروب إلى أبعد مكان في العالم. لكنّ الرياح تجري عكس ما تشتهيه السفن. للأسف، لن يكون ذلك ممكنًا.

بعد ظهر اليوم التالي، انتظرت ذهاب تريش في باص المدرسة، ووضعت كونير في السرير للقيلولة، ورفعت سمّاعة الهاتف طالبةً من الاستعلامات رقم المقرّ الرئيسيّ للأف. بي. أي. في منهاتن.

طلبت الرقم وانتظرت. ردّ عليها أحدهم قائلًا: «هنا الأف. بي. أي.»

لم يكن الأوان قد فات لتقطع الخطّ. لكنّ سوزان أغمضت عينيها وهمست: «لديّ ما أقوله عن الجرائم الأخيرة المرتبطة بأحذية الرقص. قد أدلي بمعلومات تُفيد التحقيق».

مساء الإثنين، إنضمّت دارسي إلى نونا لتناول العشاء في مطعم نيري، حيث أخبرتها عن دوغ فوكس. «لم يكن فينس في مكتبه، عندما اتّصلت. فتركت له رسالة مع مساعده.»

كسرت قطعة من الخبز ودهنتها بالقليل من الزبدة.

«نونا، لا يهمّ ما كان اسمه، دوغ فوكس أو دوغ فيلدز، فهو من نوع الشبّان الذي قد يجذب إيرين ويوحي لها بالثقة. هو فنّان وسيم ولامع. يتميّز بملامح صبيانيّة تُحرّك في إيرين غريزة الأمومة.»

بدت نونا مشغولة البال. علّقت بالقول: «لقد خضع للاستجواب في قضية نان شيريدان، وهذا ليس مُطمئنًا. أفضّل ألّا تقابليه بعد

اليوم. وفقًا لفينس، فإنّ الكثير من الشبّان لا يُفصحون عن اسمهم الحقيقيّ عند الردّ على تلك الإعلانات».

«لكن، ما هو عدد الآخرين الذين خضعوا للاستجواب في قضية نان شيريدان؟»

«لا تتوهّمي. كلّ ما نعرفه إلى الآن هو أنّ جاي ستراتون تلقّى هو أيضًا دروسه في جامعة براون، وأنّ مراقب المبنى، حيث شقّة إيرين، قد عمل لدى آل شيريدان منذ خمس عشرة سنة.»

تنهّدت دارسي وقالت: «ليتنا ننتهي من هذه القضيّة.»

«دعينا من الحديث في هذا الموضوع. لقد قضّ مضجعك في الآونة الأخيرة. ما هي أحوال العمل؟»

«في الفترة الأخيرة، أهملت عملي. لكنّني تلقّيت اليوم اتّصالًا هاتفيًّا سرّني، وهو يتعلّق بغرفة أعدت تصميمها لفتاة في السادسة عشرة من العمر تعرّضت لحادث سير مُروّع. استخدمتُ بعضًا من أغراض إيرين في فرش الغرفة. اتّصلت الوالدة لتعلمني بأنّ ابنتها ليزا قد عادت من المستشفى وأحبّت تصميم الغرفة. إحزري ما الذي أحبّته أكثر من أيّ شيء آخر؟»

«ماذا؟»

«أتذكرين البوستر الذي كانت إيرين تضعه على الحائط المقابل لسريرها؟ ذاك الذي يُصوّر رسمًا لإيغريت؟»

«بالطبع أذكره. مطلوب فتاة تهوى الموسيقى، تهوى الرقص.»

لم تنتبها لجيمي نيري، وهو يقترب من طاولتهما.

صرخ: «يا إلهي، إنّها الجملة نفسها. بهذه الجملة بدأ الإعلان الذي وقع من جيب إيرين في هذا المكان بالذات.»

الثلاثاء 12 مارس

يوم الثلاثاء، استخدمت سوزان حاضنة للأولاد طوال اليوم، واستقلّت القطار المُتّجه إلى نيويورك. كان فينس قد سألها مقابلته في مكتبه. قال لها بحذر: «أنا أتفهّم الحرج الذي تشعرين به، سيّدة فوكس.» لم يُخبرها بأن المحقّقين يتعقّبون زوجها. «سنبذل ما بوسعنا لإخفاء الأمر عن الإعلام. لكن، بقدر ما نحصل على معلومات، نُحرز تقدّمًا في التحقيق.»

وصلت سوزان إلى مقرّ الأف. بي. أي. في تمام الحادية عشرة. قالت لفينس: «يمكنك الاتّصال بوكالة هاركنس للتحرّي. فهم يتعقّبون دوغ. ليت القضيّة تقتصر على كونه زير نساء، لكن، في حال كان متورّطًا في مسألة أخرى، لا يمكنني السكوت.»

إنتبه فينس لملامح الحزن تُشوّه ذاك الوجه الجميل. قال لها بهدوء: «لا، لا يمكنك السكوت. لكن كيف توصّلت إلى أنّ زوجك قاتل، وقفزت بهذه السرعة من فرضيّة أن يكون زير نساء؟»

«كنتُ في العشرين من عمري وقد أغرمت به.» لكأنّ سوزان كانت تكلّم نفسها.

«منذ متى حصل ذلك؟»

«منذ خمس عشرة سنة.»

حافظ فينس على هدوئه، وسأل: «ماذا حصل في تلك الحقبة، سيّدة فوكس؟»

حدّقت سوزان في الحائط وراء فينس، وأخبرته بأنّها كذبت في قضية نان شيريدان لمصلحة دوغ، وبأنّ هذا الأخير لفظ اسم إيرين في نومه، ليلة اكتشاف جثّتها.

عندما أنهت كلامها، قال فينس: «هل يعرف محقّقو وكالة هاركنس عنوان الشقّة التي يسكن فيها؟»

«نعم.»

إنتاب سوزان إرهاق شديد ما إن انتهت من الإدلاء بإفادتها. لم يبقَ لديها الآن سوى العيش مع نفسها، لما تبقّى من حياتها.

«سيّدة فوكس، سوف أسألك طلبًا صعبًا بالنسبة إليك. نحن بحاجة إلى مقارنة المعلومات التي بحوزتنا مع تلك التي جمعتها وكالة هاركنس. فقد تكون ذات فائدة بالنسبة إلينا. هل يمكنك التصرّف بشكل طبيعيّ معه في اليومين المقبلين؟ لا تنسي، فالتحقيق الذي نجريه قد يثبت براءته.»

«ما تطلبه ليس صعبًا. لطالما بدونا دوغ وأنا زوجين سعيدين أمام الناس. وهو لا ينتبه لوجودي إلّا للتذمّر والشكوى.»

عندما غادرت المكتب، إتّصل فينس بإيرني. «نحن نقبض على فرصة نجاحنا الأولى، ولا أودّ تفويتها. هاك الخطّة التي وضعتها...»

بعد ظهر يوم الثلاثاء، ألقي القبض على جاي ستراتون بتهمة السرقة. فقد عثر تحرّيو شرطة نيويورك، بالتعاون مع موظّفي الأمن في شركة لويد في لندن، على التاجر الذي يحتفظ بقسم من أحجار الألماس المسروقة. أمّا القسم الثاني فكان في خزنة مُستأجرة باسم جاي تشارلز.

كان الاجتماع طويلًا والجوّ متوتّرًا في المكاتب. ما الطريقة الفضلى لتفسّر لواحد من أهمّ عملائك أنّ محاسبي الشركة التي يتعامل معها قد اختلسوا ماله؟ لا يُفترض أن يتكرّر هذا الموضوع بعد اليوم.

إتّصل دوغ بالمنزل مرارًا، وتعجّب لسماع الحاضنة تردّ عليه. ثمّة ما يحدث في غيابه. يجدر به العودة إلى المنزل هذا المساء. لن يصعب عليه وضع النقاط على الحروف مع سوزان. بدا له أنّه يفقد ثقته بنفسه. فهل بدأت سوزان تشكّ في أمره؟ أو أنّها قد عرفت كلّ شيء؟

مساء الثلاثاء، قصدت دارسي المنزل مباشرة بعد العمل. كانت ترغب في تسخين القليل من الحساء والخلود إلى النوم. فقد أخذ منها الإرهاق كلّ مأخذ، سيّما وأنّها عاشت، في الأسبوعين الأخيرين، أوقاتًا عصيبة لم تخلُ من التوتّر.

في تمام الثامنة، تلقّت اتّصالًا من مايكل. «لطالما سمعتُ أصوات أشخاص مرهقين، لكّن صوتكِ قد يفوز بالجائزة الأولى.»

«أنا واثقة من ذلك.»

«أنت ترهقين نفسك، دارسي.»

«لا تقلق. من الآن حتّى نهاية الأسبوع، أنوي العودة من العمل مباشرة إلى المنزل.»

«فكرة سديدة دارسي. سوف أكون خارج المدينة لبضعة أيّام، لكن هلا حجزتِ لي يوم السبت؟ أو الأحد؟ أو اليومين؟»

ضحكت دارسي. «إتّفقنا على يوم السبت. أتمنّى لك وقتًا ممتعًا.»

«لا متعة في الموضوع. سوف أحضر مؤتمرًا حول الأمراض النفسيّة. لقد طُلب مني ان أحلّ محلّ زميل اضطُرَّ لإلغاء مشاركته. هل بإمكانك أن تتخيّلي 400 طبيب نفسيّ مجتمعين في صالة واحدة؟»

«يصعب عليّ تخيّل ذلك.»

الأربعاء 13 مارس

إنّه اليوم المُنتظر. خاطرةٌ مرّت بِبال نونا، وهي تخلع معطفها وترميه على الكنبة. لم تكن الساعة الثامنة بعد. أحسّت بالامتنان لكوني التي كانت قد وصلت، وبدأت بتحضير القهوة.

لحقت بها كوني إلى المكتب.

«سيلاقي البرنامج أصداء ممتازة، نونا.»

أجابت نونا بسُخرية: «أظنّ أنّ إعداد هذا البرنامج قد استغرق وقتًا أطول ممّا يستغرقه إخراج فيلم سنيمائي.»

«تذكّري أنّك أنهيتِ برامجك المعتادة فيما كنت تعملين عليه.»

«لربّما كنتِ محقّة. يجدر بنا تأكيد حضور الضيوف عبر الهاتف. هل بعثتِ إلى كلّ منهم برسالة لتأكيد حضوره؟»

«طبعًا.» تعجّبت كوني من سؤال نونا. لكنّ هذه الأخيرة ابتسمت، وأردفت قائلة: «آسفة لملاحظتي. أنتِ على علم بالتردّد الذي أبداه هاملتون إزاء البرنامج. ولم يخفَ عليك أنّ ليز مصمّمة على الاستفادة من الأصداء الايجابية، فيما أتحمّل أنا العواقب السلبيّة».

«أعرفُ ذلك.»

«أحيانًا أتساءل عمّن يدير المكتب، أنتِ كوني، أم أنا؟»

وقفت كوني تنتظر أن تُكمل نونا كلامها.

«ليتكِ تُخاطبين النباتات. فأنتِ مثلي. لا تنتبهين حتّى لوجودها.» وأشارت إلى النبتة عند حافّة النافذة. تلك النبتة المسكينة تلفظ أنفاسها الأخيرة. هلا سقيتِها، من فضلك؟»

صباح الأربعاء، استفاق لين باركر من نومه متعبًا. فقد أمضى الأمسية بطولها يُفكّر في دارسي سكوت. عندما ترك عمله، راح يتسكّع حول شقّتها. رآها تترجّل من سيّارة أجرة قرابة السادسة والنصف أو السابعة. وقف ينتظر، لغاية الساعة العاشرة، لكنّها لم تظهر من جديد. أحسّ برغبة عارمة في التحدّث إليها. في المرّات السابقة، كان مستاءً من معاملتها البغيضة. حاول أن يتذكّر تفصيلًا هامًّا خطر بباله، منذ أيّام قليلة، لكنّه لم ينجح في ذلك. لم يكن متأكّدًا من أنّه سيتذكّره مجدّدًا.

إرتدى بزّة العمل. كم أحبّها! بفضلها، لم يكن يُنفق المال لشراء ملابس، إذ يرتديها كلّ يوم إلى الوظيفة.

قبل وصول فينس إلى مركز عمله، صباح الأربعاء، تلقّت سكرتيرته رسالة من دارسي سكوت. ستكون غائبة عن المكتب، طوال اليوم، لكنّها أرادت إبلاغه بأنّ إيرين قد ردّت على الأرجح على إعلان يبدأ بعبارة «مطلوب فتاة تهوى الموسيقى، تهوى الرقص». فكّر فينس في أنّ هذا الإعلان قد يكون من النوع الذي ردّت عليه الفتيات المختفيات الأخريات.

كم كانت شاقّةً معرفة هويّة واضعي الإعلانات، سيّما وأنّ معظمهم كان يلجأ إلى تزوير أوراقه الثبوتيّة وفتح حساب مصرفي،

أو تعيين صندوق بريد، لتلقّي ردود الصحف والمجلّات. بهذه الطريقة لا يكشف عن اسمه ولا عن عنوان إقامته. فخدمة صندوق البريد تؤمّن لزبائنها السرّية الكاملة.

سوف يطول البحث. غير أنّ هذا الاعلان بالذات كان يُذكّره بشيء. إتّصل بالمحقّقين ليعرف منهم نتائج التحرّي والتقصّي. عرف أن الخناق يضيق حول المدعوّ دوغ فوكس، المعروف أيضًا باسم دوغ فيلدز. لقد كان الملفّ الذي جمعته عنه وكالة هاركنس هديّة من السماء.

عرف أنّ فيلدز كان يستأجر الشقّة منذ سنتين، أي منذ اختفاء كلير بارنز.

جلس جو بابست، التحرّي العامل لحساب الوكالة، إلى طاولة على مقربة من فوكس في حانة سوهو، وقد تأكّد من أنّ هذا الأخير التقى السيّدة التي رافقته عن طريق إعلان شخصيّ. تواعد معها على الرقص، وكان يقود سيّارة ستايشن.

بحسب التحرّي نفسه، إنّ فوكس كان حتمًا يلجأ إلى مكان سرّيّ. فقد سمعه يُخبر السمسارة العقاريّة، في حانة سوهو، عن شقّة يختلي فيها ويودّ لو تزورها.

إدّعى بأنّه رسّام. وكان مراقب المبنى في لندن تيراس قد دخل شقّة فيلدز، ورأى فيها الكثير من الرسوم الجميلة المتقنة.

أضف إلى أنّه خضع للاستجواب في قضية مقتل نان شيريدان.

مع ذلك، اعتبر فينس في قرارة نفسه أنّ المعلومات التي جُمعت ليست سوى إثباتٍ غير مباشر. فهل كان فوكس يضع الإعلانات، أو يردّ عليها أو يقوم بالعملين معًا؟ هل يجدر بالمحقّقين مراقبة مكالماته الهاتفيّة لبعض الوقت، والخروج باستنتاج؟

هل يجدر بهم جلبه للاستجواب؟ كان القرار صعبًا. في كلّ الأحوال، كانت دارسي سكوت تعرف أنّ فوكس مشتبه به. لذا، لن تسمح له باصطيادها.

ماذا لو تبيّن أنّ فوكس هو من وضع الإعلان الذي كانت تحمله إيرين: «مطلوب فتاة تهوى الموسيقى، تهوى الرقص»؟

عند الظهر، تلقّى فينس تحذيرًا من المقرّ العامّ للأف. بي. أي. في كوانتيكو. فقد تبلّغ هذا الأخير رسائل من أقسام الشرطة، في كلّ من فيرمونت وواشنطن وأوهايو وجورجيا وكاليفورنيا، تُفيد عن إرسال خمس علب جديدة من الأحذية غير المتناسقة. كانت كلّ منها تحتوي على فردة حذاء أو جزمة، وعلى خُفٍّ عالي الكعب. أُرسِلَت كلّها إلى عائلات الفتيات اللواتي سكنّ في نيويورك، وأُعلن اختفاؤهنّ خلال السنتين الماضيتين.

عند الثالثة والنصف، كان فينس يهمّ بمغادرة مكتبه قاصدًا استوديوهات هادسون كايبل. لكنّ سكرتيرته أوقفته لدى مروره من أمام مكتبها وأعطته الهاتف.

«الاتّصال من السيد تشارلز نورث. يقول إنّ المسألة طارئة.»

رفع فينس حاجبيه. هل قرّر ذاك المحامي المدّعي التعاون أخيرًا مع الشرطة؟

ردّ بنبرة باردة: «دامبروزيو يتكلّم.»

«سيّد دامبروزيو، لقد فكّرتُ مليًّا في هذه القصّة.»

إنتظر فينس أن يُكمل حديثه.

«لم أجد سوى تفسير وحيد لتسرّب المعلومات حول تغيير مكان عملي ومشاريعي المهنيّة.»

مكتبة الرمحي أحمد

بدأ فينس يهتمّ لما يقوله الرجل.

«عندما قدمتُ إلى نيويورك، في أوائل فبراير، لوضع اللمسات الأخيرة على مكان سكني، دعاني شريكي إلى تمضية سهرة في فندق بلازا. لقد كان عشاء خيريًّا من تنظيم جمعيّة كُتّاب الدراما في شركة 21st Century. كان الحضور من نخبة الوجوه المعروفة. هيلين هايز وتوني راندال ومارتن تشارنين ولي غرانت ولوسيل لورتيل. عرّفني شريكي إلى عدد لا بأس به من الشخصيّات. تجاذبتُ أطراف الحديث مع مجموعة من أربعة أشخاص أو خمسة، قبل الانتقال إلى العشاء. وقد مرّر لي واحد منهم بطاقته، غير أنّني لم أعد أذكر اسمه.»

«كيف كان شكله؟»

«مشكلتي أنّني لا أقوى على تذكّر الوجوه والأسماء، ما يُربكني في عملي. مع ذلك، أتذكّر شكله، ولو مُبهَمًا: طوله حوالى متر وثمانية وخمسين سنتيمترًا، في أواخر الثلاثينات، عذب الحديث.»

«برأيك، في حال حصلنا على لائحة بالمدعوّين إلى تلك الحفلة، هل ستتحرّك ذاكرتك؟»

«لا أعرف. ربّما.»

«حسنًا، سيّد نورث، أنا ممتنّ لاتّصالك. سوف نتدبّر لائحة المدعوّين، ولربّما سألتَ شريكك عن أسماء الأشخاص الذين تحدّثتَ إليهم.»

بدا نورث قلقًا.

«وكيف أُبرّر له حاجتي إلى المعلومات؟»

بعد أن شعر فينس بالامتنان للرجل، ها هو الآن خائب الظنّ. أجابه ببرودة: «سيّد نورث، أنت محامٍ، ولا بدّ أنّك معتاد الحصول على معلومات من دون إعطاء أيّ تبرير.»

أقفل الخطّ واتّصل بإيرني. قال له: «أريد لائحة المدعوّين إلى العشاء الخيري الذي نظّمته جمعيّة كتّاب الدراما لشركة 21st Century في فندق بلازا، في أوائل فبراير. لن يكون صعبًا الحصول عليها. تعرف أين تجدني.»

إنّه الثالث عشر من مارس، عيد ميلاد نان وكريس. لو كانت نان حيّة ترزق لكانت أكملت الرابع والثلاثين.

غير أنّ كريس غيّر العادة منذ فترة طويلة، إذ أصبح يحتفل بعيد ميلاده في الرابع والعشرين من الشهر نفسه، تاريخ ميلاد غريتا، فوفّر على كليهما ألم الذكرى.

اتّصلت والدته بالأمس قبل أن يغادر عمله. قالت له: «كريس، أنا أشكر الربّ، كلّ يوم، لأنّه رزقني إيّاك. عيد ميلاد سعيد، عزيزي.»

في صباح ذلك اليوم اتّصل هو بها. «إنّه اليوم المؤلم، أمّي.»

«أفترض أنّه سيكون كذلك مدى الحياة. هل أنت متأكّد من أنّك تريد المشاركة في البرنامج؟»

«أريد ذلك؟ لا. لكن، إذا كانت مشاركتي ستساهم في حلّ هذه القضيّة، فالمحاولة تستحقّ العناء. لربّما تذكّر أحد من المشاهدين شيئًا عن مقتل نان.»

تنهّدت غريتا وقالت: «آمل ذلك.» ثمّ سألته، وقد تغيّرت نبرة صوتها: «كيف حال دارسي؟ كريس، إنّها فتاة ساحرة.»

«أظنّ أنّ هذه القصّة قد أضنتها.»

«هل ستشارك هي أيضًا في الحلقة؟»

«لا. ولا تريد حتّى مشاهدتها.»

كان يومًا هادئًا في المعرض، فتسنّى لكريس مراجعة أوراقه وتنظيم عمله المكتبيّ. ترك تعليمات بإبلاغه بحضور دارسي متى وصلت. لكنّها لم تـأتِ. لربّما كانت مريضة. عند الثانية، اتّصل بمكتبها. أعلمته السكرتيرة بأنها تعمل خارج المكتب طوال اليوم، وسوف تقصد المنزل مباشرة بعد الانتهاء من العمل.

عند الثالثة والنصف، أوقف كريس سيّارة أجرة للذهاب إلى هادسون كايبل. كان مُصمّمًا على إنهاء القضيّة.

تجمّع الضيوف في الردهة، حيث عرّفت نونا بكلّ واحد منهم. الزوجان كورا، في منتصف الأربعينات. كانا مطلّقين. تعارفا عن طريق الإعلانات الشخصيّة التي قرّبت بينهما. الزوجان داليس، في الخمسينات من العمر. لم يسبق لأحدهما أن تزوّج. تردّدا قبل وضع الإعلان. إلتقيا منذ ثلاث سنوات. عن ذلك تُخبر السيدة دالي: «لقد اتّفقنا، منذ البداية. لطالما كنت متحفّظة. معه أطلقت العنان لمكنونات نفسي». كانت باحثة في مجال العلوم. أما هو فأستاذ جامعيّ.

أدريان غرينفيلد، المطلّقة المرحة، في أواخر الأربعينات. أخبرت الحضور: «لقد أمضيتُ أوقاتًا مسليّة. حصل خطأ مطبعي في كتابة الإعلان. كان يُفترض بهم القول إنّني ودودة لطيفة. عوضًا عن ذلك كتبوا إنّني ثريّة. فأمطرت عليّ السماء رسائل.»

واين هارش، ذاك الشاب الخجول، مدير مصنع للألعاب. كان في أواخر العشرينات. بحسب فينس، إنّه العريس المثالي الذي تحلم به كلّ أمّ لابنتها. كان يستمتع بالتواعد عن طريق الإعلانات. كتب في الإعلان الخاصّ به عن حزنه لرؤية أطفال العالم يستمتعون بالألعاب

التي يصنعها، في حين أنّه محروم من الأطفال. كان يرغب في لقاء فتاة من عمره لطيفة وذكيّة تبحث عن شابّ يعود إلى منزله كلّ مساء، ولا يرمي أغراضه هنا وهناك.

عصفورا الحبّ الزوجان كايرون. أصابهما سهم كيوبيد، منذ الموعد الأوّل. في نهاية الأمسية، جلس هو إلى البيانو في الحانة، حيث التقيا، وعزف لها أغنية «خذيني إلى الكنيسة في الحال». تزوّجا بعد شهر من ذلك.

لدى وصول فينس إلى الأستديو، قالت له نونا: «كنتُ أخشى ألّا يحضر أحد من الأزواج الشباب. هذا الثنائي يعود بك إلى قصص الحبّ فتصدّقها».

دخل الطبيب النفسيّ، الدكتور مارتن ويس، فتقدّم فينس لتحيّته. كان ويس في أواخر الستّينات يشعّ نشاطًا وقد تكلّل رأسه بالشيب. أمّا عيناه فزرقاوان تلمعان ذكاء. قال له فينس: «شكرًا دكتور لحضورك في اللحظة الأخيرة.»

«صباح الخير فينس.»

إستدار فينس ورأى كريس يتوّجه نحوهما. تذكّر أنّ اليوم يُصادف ذكرى وفاة نان شيريدان.

«اليوم ليس يومك المفضّل.»

عند الخامسة إلّا ربعًا، غرقت دارسي في المقعد الخلفيّ لسيّارة الأجرة، وقد أغمضت عينيها. لقد عوّضت، اليوم، الوقت الضائع. الإثنين المقبل، يبدأ فريق الدهان العمل في الفندق. وكانت قد أحضرت للمالكين هذا الصباح كُتيّبًا عن فندق بيلهام في لندن.

«أنيق وحميم. في الواقع هذا الفندق يُشبه فندق بيلهام، من حيث الحجم الصغير لِغرف النوم وردهة الاستقبال. أمّا الصالون، فحجمه مناسب لاستقبال النزلاء. أنظرا إلى البار في الزاوية. يمكننا أن نلحظ بارًا مماثلًا في الفندق هنا. تأمّلا الغرف. لن تكون الغرف هنا بالفخامة نفسها، لكنّنا قد نُضفي عليها لمسة من الترف.»

بدت عليهما علامات الرضى. من ناحيتها، فكّرت دارسي بالاتّصال بمُصمّم واجهات المحلّات. كم كانت صدمتها كبيرة عندما علمت بأنّ الأقمشة المُستخدمة في تصميم الواجهات كانت تُباع بأبخس الأسعار ما إن يتمّ فكّ الواجهات! أمتار وأمتار من القماش من النوعيّة الممتازة.

هزّت رأسها، وقد حاولت جاهدة التغلّب على الصداع الذي انتابها. «أجهلُ ما إذا كنتُ قد التقطت فيروسًا ما، أو أنّه مجرّد صُداع، لكنّني سوف أنام الليلة باكرًا.» توقّفت سيّارة الأجرة أمام المبنى الذي تسكن فيه.

دخلت الشقّة ولفتها وميض آلة تسجيل المكالمات. لقد تركت بيف رسالة لها: «دارسي، لقد تلقّيتِ، منذ عشرين دقيقة، مكالمةً غريبة. عاودي الاتّصال بي».

سارعت دارسي إلى الاتّصال بمكتبها. «بيف، ماذا عن الاتّصال؟»

«لقد كانت سيّدة تتحدّث بصوت خافت. بالكاد، سمعتُها. طلبَت مقابلتكِ. لم أشأ إعطاءها رقم الهاتف في شقّتك، فوعدتُها بنقل رسالتها إليك. قالت إنّها في الحانة التي قصدتها إيرين، ليلة اختفائها، وإنّها أخفت الامر، لأنّ الرجل الذي رافقها في تلك الليلة لم يكن زوجها. رأت إيرين بصحبة رجل، دخل الحانة، بالتزامن مع خروجها. ومن ثمّ تركا الحانة معًا. وهي تذكره جيّدًا.»

«كيف يمكنني الاتّصال بها؟»

«لا يمكنك ذلك. فهي لم تترك لي اسمها، بل طلبت أن توافيها إلى تلك الحانة. إنّها حانة إيدي أورورا، في الشارع الرابع من جادة واشنطن سكوير. طلبت أن تحضري بمفردك، وأن تنتظريها عند البار. سوف تصل قرابة السادسة، ما لم يطرأ عليها ما يؤخّرها. لذا لا تنتظريها بعد السادسة. سوف تعاود الاتّصال بك في حال لم تتقابلا هذا المساء.»

«شكرًا بيف.»

«إسمعي دارسي، سوف أتأخّر في المكتب، وأستفيد من الهدوء هنا للتحضير لامتحان الغد. ففي شقّتي، لا مجال للتركيز مع الجلبة التي يُحدثها أصدقاء زميلتي. لذا عاودي الاتّصال بي لأطمئنّ إلى حسن سير الأمور.»

«لا عليك. سأكون بخير. لكنّني سأعاود الاتّصال بك.»

نسيت دارسي أنّها كانت متعبة. كانت الساعة الخامسة إلّا خمس دقائق. لديها الوقت لغسل وجهها، وتسريح شعرها، وخلع الجينز المغبر الذي كانت ترتديه. إستبدلته بتنّورة وكنزة. فكّرت: «إيرين! لربّما يُشارف الكابوس على النهاية، وتنجلي الحقيقة.»

جلست نونا تشاهد مرور مقدّمة البرنامج، فيما كان الضيوف يدردشون بهدوء وقد بدت صورتهم على الشاشة ولكن من دون صوت.

عند نهاية الحلقة، تنفّست الصعداء وقالت «آمين». هبّت من مكانها إلى منصّة التصوير، وقالت للضيوف: «لقد كنتم رائعين. كلّكم. لا يسعني إلّا أن أشكركم».

ابتسم الضيوف ارتياحًا. قام كريس وفينس والدكتور ويس، في الوقت نفسه، عن مقاعدهم.

قال كريس: «يسرّني أنّنا انتهينا من تسجيل الحلقة.»

أمّا الدكتور ويس فعلّق: «أفهمك. بحسب ما قيل لي، لقد أظهرتما، والدتك وأنت، شجاعة لافتة في هذه القصّة.»

«كان ذلك ضروريًّا دكتور.»

إقتربت نونا منهم وأعلنت: «الضيوف الآخرون يغادرون الأستديو، لكنّني أودّ دعوتكم، أنتم الثلاثة، إلى تناول كأس في مكتبي. لقد استحققتموها عن جدارة.»

هزّ ويس رأسه وقال: «لا أظنّ أنّ بإمكاني البقاء». تردّد وأضاف: «يجدر بي الاتّصال بالعيادة. هل يمكنني إجراء الاتّصال من هنا؟»

«بكلّ تأكيد.»

من ناحيته، تردّد كريس في قبول الدعوة. فقد انتابه، فجأة، شعور بالإحباط. تذكّر أنّ سكرتيرة دارسي كانت قد أعلمته بعودة هذه الأخيرة مباشرة من العمل إلى المنزل. تساءل عن إمكانيّة دعوتها إلى العشاء.

سأل: «هل يُمكنني أنا أيضًا إجراء اتّصال هاتفيّ؟»

«تفضّل.»

سُمع صوت الجهاز اللاسلكي المحمول على حزام فينس.

«نونا، آمل أن يكون المكتب مجهّزًا بأكثر من هاتف واحد.»

أجرى فينس الاتّصال من مكتب السكرتيرة، وتلقّى رسالة بضرورة الاتّصال بإيرني في مقرّ العشاء الخيري لكُتّاب الدراما. لقد كان في جعبته مجموعة من الأخبار المهمّة.

قال لفينس: «حصلت على لائحة المدعوّين إلى السهرة. إحزر مَن كان هناك، في تلك الليلة؟»

«مَن؟»

«إيرين كيلي وجاي ستراتون.»

«غير معقول.»

في تلك اللحظة، استرجع في ذهنه الأوصاف التي أعطاه إيّاها نورث عن الرجل الذي مرّر له بطاقته، أواخر الثلاثينات أو أوائل الأربعينات. لكنّه لم يذكر إيرين كيلي!

تذكّر بعد ظهر ذلك اليوم، عندما رافق دارسي إلى شقّة إيرين، فاختارت لصديقتها الفستان الزهريّ والفضّي لتُدفن فيه. في ذاك اليوم، أخبرته دارسي بأنّ إيرين قد اشترت الفستان بمناسبة حضورها حفلة ساهرة. ومن ثمّ، عندما قصدها لأخذ علبة الأحذية التي أرسلت إلى عنوانها، قالت له إنّ حذاء السهرة الموجود في العلبة كان يُناسب الفستان الزهريّ أكثر ممّا يناسبه زوج الأحذية الذي اشترته إيرين. فجأة، فهم لماذا كان الحذاء يُناسب الفستان إلى هذا الحدّ. لقد كان قاتل إيرين في الحفلة الساهرة، ورآها ترتدي ذاك الفستان.

قال لإيرني: «وافِني إلى مكتب نونا روبرتس. سوف نقصد وسط المدينة معًا.»

في المكتب، بدا الدكتور ويس أكثر استرخاء.

«لا مشاكل تُذكر. توقّعتُ أن يتّصل أحد مرضاي طلبًا لمقابلتي الليلة. آنسة روبرتس، سوف أستغلّ لطفك لأخبرك عن إبني الأصغر الذي يتخصّص في الاتّصالات، وسيتخرّج من الجامعة، في يونيو المقبل. كيف يمكنه أن يخطو خطواته الأولى في المهنة؟»

أمّا كريس شيريدان فكان قد حمل جهاز الهاتف من طاولة نونا إلى النافذة. مرّر إصبعًا على النبتة المغبرة، وهو شارد الذهن. لم تكن دارسي في المنزل. عندما اتّصل بمكتبها، كان ردّ السكرتيرة غامضًا. فهي لا تعرف عنها شيئًا، وتنتظر أخبارًا منها، في وقت لاحق. «كانت في اجتماع هامّ تقرّر في اللحظة الأخيرة.»

أنبأه حدسه بخطب ما. كان متأكّدًا من ذلك.

لم يُفترض بدارسي أن تنتظر بعد الساعة السادسة. لكنّها بقيت لغاية السادسة والنصف، ثمّ قرّرت العدول عن الانتظار، تلك الليلة. من الواضح أنّ المرأة التي اتّصلت لم تتمكّن من لقائها. سدّدت ثمن المشروب وغادرت الحانة.

خرجت إلى الشارع. كانت الريح قد هبّت، باردة، من جديد، بحيث اخترقت عظامها. قالت دارسي في نفسها «آمل أن أجد سيّارة أجرة».

«دارسي. يسرّني أنّني وجدتك هنا. لقد أخبرتني سكرتيرتك عن مكانك. هيّا إركبي بسرعة في السيارة.»

«أنتَ مُخلّصي! كم أنا محظوظة!»

إختبأ لين باركر في مدخل أحد المباني في الجهة المقابلة من الشارع، ورأى نور المصابيح الخلفيّة للسيّارة يتلاشى، مثلما فعل في المرّة الأخيرة التي رأى فيها إيرين تخرج لينانديها سائق سيّارة الستايشن تلك. ماذا لو كان الشخص نفسه الذي قتل إيرين كيلي؟ هل يجدر به الاتّصال بعميل الأف. بي. أي.؟ إسمه دامبروزيو. كان لين يحمل بطاقته.

هل سينعتونه بالمجنون؟

لقد تركته إيرين كيلي وحيدًا في الحانة، أمّا دارسي سكوت فرفضت تناول العشاء معه. لكنّه كان خسيسًا معهما.

لربّما يجدر به الاتصال بدامبروزيو. لقد كلّفه ركوب سيارات الأجرة واللحاق بدارسي سكوت في الأيام القليلة الماضية الكثير من المال. أمّا الاتّصال الهاتفيّ فلن يكلّفه سوى ربع دولار.

إبتعد كريس عن النافذة وقد حيّره سؤال ملحّ. كان فينس دامبروزيو قد دخل، للتوّ، إلى المكتب فعاجله كريس بالسؤال: «هل تعرف ما إذا كانت دارسي تردّ على واحد من تلك الإعلانات المشؤومة الليلة؟»

رأى فينس القلق باديًا على وجه شيريدان، فتجاهل نبرته العدائيّة. عرف أنّه لم يكن معنيًّا بالسؤال.

«فهمتُ من نونا أنّ دارسي تنوي النوم باكرًا الليلة.»

«لقد كانت تنوي ذلك.» قالت نونا وقد اختفت الابتسامة عن وجهها.

«عندما اتّصلتُ بمكتبها، أعلمتني السكرتيرة بأنّها ستقصد المنزل مباشرة من الفندق الذي تعيد تصميمه.»

ردّ كريس: «حسنًا، يبدو أنّ أمرًا ما حثّها على تغيير رأيها. فالسكرتيرة كانت مُبهَمة في ردّها.»

أمسك فينس بالهاتف وسأل: «ما هو رقم مكتبها؟» طلبه فردّت بيف. عرّف بنفسه وقال: «أنا قلق بشأن مشاريع الآنسة سكوت. إذا كنتِ على علم بما تُخطّط له، عليك إخباري.»

ردّت بيف: «أفضّل أن تعاود هي الاتّصال بك...» لكنّه قاطعها وتابع: «إسمعي آنستي، لا أنوي التدخّل في حياتها الشخصيّة، لكنّني

أريد أن أعرف ما إذا كانت مشاريعها مرتبطة بإعلان شخصيّ. نحن بصدد حلّ هذه المسألة، لكنّنا لم نوقف أحدًا إلى الآن».

«حسنًا، عِدني بألّا...»

«أين هي دارسي سكوت؟»

أطلعته بيف على مكان دارسي. مرّر إليها فينس رقم نونا، وقال: «بلّغي الآنسة سكوت ضرورة الاتّصال بي ما إن تعرفي شيئًا عنها».

وأقفل الخطّ.

«إنّها على موعد مع سيّدة تؤكّد رؤية إيرين كيلي وهي تغادر حانة إيدي أورورا مساء اختفائها. حتّى أنها قادرة على وصف الرجل الذي التقته إيرين في الخارج. لكنّ السيّدة لم تتّصل من قبل لأنّها كانت برفقة رجل غير زوجها، في تلك الأمسية.»

سألته نونا «هل تُصدّق روايتها؟»

«يبدو لي الأمر مريبًا. لكن، لا أرى ما يمنع أن تقابلها دارسي في تلك الحانة. كم الساعة الآن؟»

أجاب الدكتور ويس: «إنّها السادسة والنصف.»

«سوف تّتصل دارسي بمكتبها بين دقيقة وأخرى. يُفترض بها ألّا تنتظر السيدة بعد السادسة.»

سأل كريس: «ألم يحدث الأمر نفسه مع إيرين كيلي؟ فبحسب ما فهمت، قصدت، هي أيضًا، حانة إيدي أورورا، وانتظرت شخصًا تخلّف عن المجيء، ومن ثمّ تركت الحانة واختفت.»

إنتابت فينس رعشة فقال: «سوف أتّصل بالحانة». مرّروا له الساقي، عند البار، فأمطره بوابل من الأسئلة وأصغى إلى ردّه ليقفل بعد ذلك الخطّ بسرعة.

«يقول الساقي إنّ شابّة بأوصاف دارسي قد خرجت من الحانة منذ بضع دقائق. إنتظرت أحدهم، لكنّه لم يأتِ.»

راح كريس يلعن ويشتم بصوت خافت. فقد استعاد اللحظة التي اكتشف فيها جثّة نان، منذ خمس عشرة سنة، بشكل جليّ وشنيع.

وإذا بموظّفة الاستقبال تدقّ على الباب المفتوح قليلًا وتقول لنونا: «إنّه السيّد سيزيك من الأف. بي. أي. يقول إنّك تنتظرينه».

هزّت نونا رأسها، وردّت عليها: «حسنًا، فليدخل».

دخل سيزيك، وهو يحاول أن يُخرج من المغلّف السميك لائحة المدعوّين إلى العشاء الخيريّ الذي نظّمته جمعيّة كُتّاب الدراما. غير أنّ اللائحة علقت، فهزّ المغلّف. كانت النتيجة أن تبعثرت الأوراق على الأرض، فهبّت نونا والدكتور ويس لمساعدته على جمعها.

بدت على كريس علامات التوتّر التي لم تخفَ على فينس. قال له هذا الأخير: «نحن نشتبه بشخصين ونتعقّبهما.»

كان الدكتور ويس، من ناحيته، يقرأ إحدى الصفحات التي التقطها. فعلّق، لكأنّه كان يفكّر بصوتٍ عال: «حسبته مشغولًا بالإعلانات الشخصيّة بحيث لا يلبّي الدعوات إلى السهر».

فجأة، إلتفت فينس نحوه وسأل: «عمّن تتكلّم؟»

بدا ويس محرَجًا، وأجاب: «عن الدكتور مايكل ناش. المعذرة، فإنّ ملاحظتي بعيدة كلّ البعد عن السلوكيّات المهنيّة».

أتى ردّ فينس باردًا: «في هذه المرحلة لا تهمّ السلوكيّات المهنيّة. فوجود الدكتور ناش في تلك الحفلة قد يكون عنصرًا هامًّا. يُخيّل إليّ أنّك لا تستلطفه. لماذا؟»

توجّهت أنظار الحضور إلى مارتين ويس. ردّ بتردّد بعد أن راجع نفسه: «أرجو منكم إبقاء الأمر سرّيًا. حصل أن التقت واحدة من مرضى

الدكتور ناش السابقين، والتي أتابعها حاليًا، الدكتورَ في أحد المطاعم، برفقة صديقة لها. وقد عادت وقابلت الفتاة بعد ذلك، وراحت تحدّثها عن الموضوع، على سبيل الدعابة والمزاح.»

أحسّ فينس برعشة لطالما انتابته كلّ مرّة تبيّن فيها بشائر حلّ لقضيّة ما.

«أرجوك تابع، دكتور.»

بدا ويس منزعجًا. مع ذلك أكمل: «بحسب صديقة مريضتي، التقت الرجل عن طريق إعلان شخصيّ ولم تتفاجأ بأنّه قد كذب عليها بشأن اسمه وأنشطته. فهي لم تشعر بالراحة معه.»

لم يخفَ على فينس أنّ الدكتور ويس كان يعتني باختيار كلماته. قال له: «دكتور، أنت أدرى الناس بالقضيّة التي بين أيدينا. لذا، ألتمس منك الصراحة. ما هو رأيك بالدكتور مايكل ناش؟»

أتى ردّ الدكتور ويس حَذِرًا: «برأيي لا تسمح أخلاقيّات المهنة له بأن يجري أبحاثًا تُفيد الكتاب الذي يؤلّفه، وذلك باستخدام ذرائع مزيّفة».

لكنّ فينس أصرّ قائلًا: «أنت تتحاشى الردّ على سؤالي. في حال دُعيت للشهادة، كيف تصفه؟»

أشاح ويس بنظره، وأجاب: «منعزل. مكبوت. في الظاهر ودود، لكنّه في الواقع غير اجتماعيّ. يعاني، على الأرجح، مشاكل متجذّرة في الطفولة. مع ذلك، فهو يُتقن إخفاء ما يُضمر وقد يخدع الكثير من زملائه في المهنة».

أحسّ كريس بالدم يغلي في عروقه، فقال: «هل التقت دارسي ذاك الشابّ؟».

همست نونا قائلة: «نعم.»

تابع فينس بسرعة: «دكتور، أودّ مقابلة تلك الشابّة في الحال لأعرف منها تفاصيل الإعلان الذي وضعه.»

أجابه ويس: «لقد جلبت مريضتي نصّ الإعلان معها لتطلعني عليه. وهو في عيادتي.»

سأله فينس: «هل تذكر إن كان الإعلان يبدأ بجملة «تهوى الموسيقى، تهوى الرقص؟»

في اللحظة التي كان ويس يُجيب فيها «في الواقع، الإعلان يبدأ بهذه الجملة»، سُمع صوت الجهاز اللاسلكيّ المحمول العائد إلى فينس، فأمسك بالهاتف، وطلب الرقم. عرّف بنفسه بنبرة عالية هجوميّة. أمّا نونا وكريس والدكتور ويس وإيرني فجلسوا ينتظرون، وسط صمت مطبق، فيما بدت على وجه فينس دامبروزيو علامات القلق والتعجّب. فسّر لهم، فيما السمّاعة بيده: «اتّصل ذاك المخبول لين باركر. كان يتعقّب دارسي. خرجت من الحانة، وركبت سيّارة الستايشن نفسها التي استقلّتها إيرين كيلي ليلة اختفائها». توقّف قليلًا ثمّ أضاف باقتضاب: «السيّارة سوداء، من نوع ميرسيدس، مُسجّلة باسم الدكتور مايكل ناش، من بريدج واتر، نيو جيرسي».

«لقد غيّرتَ سيّارتك.»

«أستخدم هذه السيّارة في الريف.»

«لم تتأخّر في ورشة العمل.»

«في الواقع، لقد حضر زميلي الذي كان يُفتَرض بي أن أحلّ محلّه، بعد أن شعر بتحسّن في حالته.»

«جيّد. مايكل، هذا لطف منك، لكنّني أودّ العودة مباشرة إلى المنزل هذا المساء.»

«ماذا تعشّيت بالأمس؟»

إبتسمت دارسي وأجابت: «شربتُ الحساء».

«هلّا سندتِ رأسك إلى ظهر المقعد وأخذت قسطًا صغيرًا من الراحة. يمكنك أن تنامي إن استطعت ذلك. لا بدّ أنّ السيدة هاغز قد أشعلت الموقد الآن. نتعشّى ثمّ تنامين في طريق العودة.»

مال بعض الشيء وداعب شعرها برفق. قال لها: «إنّها أوامر الطبيب، دارسي. تعرفين أنّني أحبّ رعايتك.»

«يسرّني أن يعرض أحدهم رعايتي.» مدّت يدها لتناول هاتف السيّارة. سألته: «هل يمكنني الاتّصال بسكرتيرتي؟ وعدت أن أطلعها على مكان تواجدي.»

وضع يده على يدها، وضغط عليها قائلًا: «للأسف، عليك انتظار وصولنا إلى المنزل لتفعلي ذلك. فهاتف السيّارة معطّل. إسترخي الآن».

كانت دارسي تعرف أنّ بيف لن تغادر المكتب قبل بضع ساعات. أغمضت عينيها واستسلمت للنوم. عندما اجتازا نفق لينكولن، كانت تغطّ في سبات عميق.

قال فينس: «سوف نُفتّش شقّة ناش. لكنّه لن يصحبها إلى هناك، كما أنّه لن يصحبها إلى عيادته مخافة أن يراهما البوّاب.»

«دارسي أخبرتني بأنّ منزله في بريدج واتر يمتدّ على مساحة مئتي هكتار. قصدته مرّتين.»

كانت نونا تتمسّك بطرف المكتب لتمنع نفسها من الارتجاف.

«بالتالي، في حال عرض عليها مرافقته إلى هناك هذا المساء، فهي ستفعل بكلّ ثقة.»

كان فينس حانقًا على نفسه.

عاد إيرني إلى الغرفة وأعلن: «تحدّثتُ إلى فريق المراقبة. دوغ فوكس في منزله في سكارسدايل. أمّا جاي ستراتون ففي بارك لاين، مع سيّدة عجوز».

«ما يُبعد عنهما الشبهات.» فكّر فينس «إنّ مسار الأحداث منطقيّ. ليلة خروج ناش مع إيرين، ترك لها رسالة على آلة تسجيل المكالمات بضرورة الاتّصال به في شقّته. لم أفكّر يومًا في التحقّق من ذلك. قدّم عذرًا تافهًا لسكرتيرة دارسي، وتدبّر أمره ليعرف مكان وجودها. نحن نعرف أنّ دارسي تثق به ولن تتردّد في ركوب سيّارته. لو لم يلحق بها ذاك المخبول باركر، لكانت هي أيضًا اختفت.»

سأل كريس، وقد تملّكه اليأس: «كيف سنجد دارسي؟» أخذه خوف شديد انقبض له صدره. ففي الأيّام القليلة الماضية، اتّضح له أنّه مغرم بها بجنون.

كان فينس يتحدّث عبر الهاتف ويصدر الأوامر إلى المحقّقين في المقرّ الرئيسيّ للأف. بي. أي.

«بلّغوا شرطة بريدج واتر. أطلبوا منهم موافاتنا إلى هناك.»

نبّهه إيرني قائلًا: «إنتبه، فينس. ليس بحوزتنا أيّ إثبات. والشاهد الوحيد مخبول.»

إلتفت إليه كريس فجأة وقال: «بل أنتَ انتبه!». أحسّ بويس يمسك بذراعه.

قال فينس: «أودّ لو ترشدوني إلى منزل ناش. حضّروا لي مروحيّة، على الشارع الثالث عشر، بعد عشر دقائق.»

بعد خمس دقائق، إنطلقوا جميعًا في سيّارة للشرطة، وقد شغّلت صفّارتها وأضيئت مصابيحها. سلكوا الجادة التاسعة. جلس فينس في المقعد الأماميّ مع السائق فيما جلس نونا وكريس وإيرني سيزيك في المقعد الخلفيّ. فكريس كان مصرًّا على مرافقة فينس، بينما نظرت إليه نونا متوسّلة.

لم يبُح فينس بالمعلومة الخطيرة التي تبلّغها من شرطة بريدج واتر. فقد توزّعت مبانٍ كثيرة على مساحة المئتي هكتار حيث يربض منزل ناش، ومن بينها بعض المباني المختفية في الغابات المجاورة. بالتالي، قد يستغرق البحث وقتًا طويلًا.

قال في نفسه «مع انقضاء كلّ دقيقة، تقترب دارسي من المصير الذي كتبه لها ناش.»

«وصلنا، صغيرتي.»

تمطّت دارسي وقالت: «لقد غفوت». تثاءبت وأضافت: «أعذرني، لست بالرفيقة المسلّية».

«سُررتُ لرؤيتك نائمة. فالراحة مفيدة للذهن كما للجسد.»

نظرت دارسي من النافذة، وسألته: «أين نحن؟»

«على بعد عشرة أميال من منزلي. فأنا أملك في الجوار خلوةً أقصدها للعمل. نسيت فيها مؤخّرًا مسوّدة كتابي. هل تمانعين إن توقّفنا لبرهة؟ يمكننا تناول كأس.»

«ما دمنا لن نتأخّر. فأنا أودّ الرجوع إلى المنزل في ساعة مبكّرة، مايكل.»

«لا عليك. أعدك بألّا نتأخّر. هيّا تفضّلي. آسف، المكان مظلم.»

أمسك بها من تحت ذراعها. سألته، فيما كان يفتح الباب: «كيف عثرت على هذا المكان؟»

«بالصدفة. أعرف أنّ المنزل لا يبدو جميلًا من الخارج لكنّ الداخل أنيق.»

فتح الباب وبحث عن مفتاح الضوء. تحته، انتبهت دارسي لزرّ كتب عليه «إنذار».

جالت بنظرها في أرجاء القاعة الواسعة. قالت: «رائع!» وراحت تتأمّل المقاعد المريحة المحيطة بالموقد والمطبخ المفتوح على الغرفة والأرضيّة الملمّعة. ثمّ لاحظت التلفاز بشاشته العملاقة وجهاز الستيريو المتطوّر.

«التجهيزات مذهلة. ألا ترى أنّها بلا فائدة في منزل يختلي فيه كاتبٌ لإنجاز عمله؟»

«لا، ليست كذلك.»

إقترب منها ليساعدها على خلع المعطف. على الرغم من الجوّ الدافئ الذي ساد الغرفة، أحسّت دارسي برعشة تسري في جسدها. إنتبهت إلى زجاجة من النبيذ محفوظة في إناء من الفضّة، وموضوعة على الطاولة الصغيرة القريبة من الكنبة.

سألته: «هل السيدة هاغز هي من تهتمّ بترتيب المكان؟»

«لا. فهي لا تعرف حتّى بوجوده.» إتّجه نحو جهاز الستيريو وشغّله. انبعثت النغمات الأولى لأغنية «تيل ثير واز يو» من مكبّرات الصوت المركّبة في الجدران.

قال لها: «إقتربي دارسي». سكب القليل من المشروب في كأس وأعطاها إياها. سألها: «أليس طعم المشروب لذيذًا في ليلة باردة كالليلة؟»

كان يبتسم لها بحنان ورقّة. ما الذي كان يزعجها ويشغل بالها إذًا؟ لماذا شعرت فجأة بتغيير في تصرّفاته؟ كان يُحدّثها كمن ثَمِل، ويتمتم كلامًا غير واضح. أمّا عيناه - السرّ في تلك العينين - فقد كانتا ترمقانها بنظرة غريبة مختلفة.

كانت غريزتها تأمرها بالإسراع نحو الباب، لكنّها تماسكت وطردت الفكرة من رأسها. راحت تبحث، في محاولة يائسة، عمّا تقوله. نظرت إلى بيت الدرج وسألته: «كم غرفة في الطابق العلويّ؟» سرعان ما أدركت غرابة السؤال وتفاهته.

أجاب ولمّا ينتبه لارتباكها: «غرفة نوم صغيرة وحمّام. فالمنزل من الطراز القديم».

لم تفارق البسمة ثغره، لكنّ دارسي انتبهت لنظرته تتغيّر ولبؤبؤ العينين يتّسع. أين جهاز الكمبيوتر والطابعة والكتب ولوازم الكاتب المعروفة؟

شعرت دارسي بالعرق يتصّبب من جبينها. ما الذي دهاها؟ هل أصبحت مهووسة في الشكّ... أو ماذا؟ كانت مشدودة الأعصاب. لا داعٍ للتوتّر، فهي مع مايكل.

جلس مايكل في المقعد العريض المقابل للكنبة ومدّ ساقيه، وفي يده كأس المشروب. لم يحد بنظره عنها.

قالت له: «أودّ أن أجول في المكان.» راحت تمشي في الغرفة، على غير هدى، وتتوقّف بين الفينة والأخرى كأنّها تتفحّص غرضًا أم قطعة أثاث.

مرّرت يدها على الطاولة التي كانت تفصل بين المطبخ وأرجاء الغرفة الأخرى.

«الخزائن رائعة!»

«لقد أوصيت أحدهم بصناعتها لكنّني ركّبتها بنفسي.»

«حقًّا؟ لا أصدّق.»

صحيح أنّه حافظ على نبرته اللطيفة في الردّ على أسئلتها، لكنّه بدأ يشعر بالاستياء. أجابها: «سبق وأخبرتك أنّ والدي كان رجلًا عصاميًّا، جنى ثروته بذاته ومن عرق جبينه. أصرّ على أن أكون مثله بارعًا في الأعمال اليدويّة.»

«يبدو أنّه نجح.» لم تعد تتحمّل البقاء في ذاك المكان. إستدارت واتّجهت نحو الكنبة. مشت فوق قطعة صلبة اختفت تحت ذؤابات سجّادة غرفة الجلوس. ما الذي انتابها؟ لماذا كانت خائفة؟

ذاك كان مايكل اللطيف والودود.

حاولت في تلك اللحظة طرد إيرين من فكرها، غير أنّ طيف هذه الأخيرة أبى مفارقتها. إرتشفت جرعة من المشروب لترطيب حلقها الجافّ.

فجأة، توقّفت الموسيقى. بدا الانزعاج على مايكل، فقام من مكانه واتّجه نحو جهاز الستيريو. مدّ يده إلى الرفّ فوق الجهاز، وأخذ رزمة من الشرائط، وراح يتفحّصها الواحد تلو الآخر. قال: «لم أنتبه للشريط يشارف على نهايته.»

لكأنّه كان يكلّم نفسه. أمّا دارسي فتمسّكت بالكأس، وقد ارتجفت يداها. إنسكب على الأرض القليل من المشروب. أخذت المنديل وانحنت تمسحه.

فيما كانت ترفع رأسها، لاحظت شيئًا عالقًا تحت ذؤابات السجّادة، شيئًا كان يلمع على ضوء المصباح الموضوع بجوار الكنبة. لا بدّ أنّه الغرض نفسه الذي داست عليه منذ بعض الوقت. ربّما كان

زرًا. إنحنت تلمّه، فأيقنت أنّه خاتم. إلتقطته. نظرت إليه. أخذها الذهول.

كان خاتمًا نُقِش عليه حرف «إ» بالعقيق. إنّه خاتم إيرين.

لقد جاءت إيرين إلى هذا المنزل. لقد ردّت إيرين على إعلان مايكل ناش.

إنتاب دارسي رعب شديد. فقد كذب عليها مايكل عندما أكّد أنّه لم يلتقِ إيرين سوى مرّة واحدة في حانة بيار لتناول المشروب.

فجأة سمعت الموسيقى تصدح عالية من جهاز الستيريو. تأسّف مايكل لذلك وهو لا يزال يدير لها ظهره.

«غيّري شريك الرقص وراقصيني.» خفّض الصوت والتفت إليها وهو يدندن النغمات الأولى مع الأوركسترا.

راحت دارسي تصلّي وتتوسّل الله لمساعدتها. قالت لنفسها «يجب ألّا يرى الخاتم». وقف يحدّق فيها. شبكت يديها ودسّت الخاتم في إصبعها فيما اقترب مايكل منها وقد مدّ ذراعيه.

«لم يسبق لنا أن رقصنا معًا دارسي. أعرف أنّك راقصة ماهرة.»

«لقد وجدت جثّة إيرين وقدمها في حذاء للرقص. فهل رقصت معه، هنا، في هذه الغرفة؟ هل لقيت حتفها في هذه الغرفة؟»

أسندت دارسي ظهرها وغرقت في الكنبة. قالت له: «مايكل، لم أكن أعرف أنّك تهتمّ للرقص. فعندما تحدّثتُ عن صفوف الرقص التي حضرتُها مع نونا وإيرين، لم يبدُ لي أنّك مهتمّ للموضوع.»

أنزل ذراعيه وتناول كأس المشروب. جلس على طرف الكرسيّ وقد ثبّت ساقيه في الأرض وكأنّه ليمنع نفسه من الوقوع.

كان في وضعيّة تؤهّله الانقضاض عليها في أيّ لحظة.

قال لها: «أنا أحبّ الرقص. لم أجد من الملائم أن أذكّرك باستمتاعك في صفوف الرقص مع إيرين.»

خفضت دارسي رأسها بعض الشيء، لكأنّها تفكّر في جوابها.

«أنت لن تعتزل القيادة لمجرّد أنّ شخصًا قريبًا منك قد تعرّض لحادث، ألا تظنّ؟»

لم تنتظر منه ردّة فعل على ملاحظتها، لكنّها حاولت تغيير الموضوع. «إنّ مجموعة الكؤوس التي تملكها رائعة.»

فأجاب: «لقد اشتريتها من فيينّا. بفضلها يصبح مذاق المشروب أطيب.»

إبتسم كلاهما. فبدا لها مايكل الذي تعرفه. لوهلة، اختفت من عينيه تلك النظرة الغريبة. أنبأها حدسها بضرورة أن تواصل التحدّث إليه، فتكسب ثقته وتنتزع منه بعض الاعترافات.

«مايكل. هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالًا؟» قالتها بنبرة متردّدة ومَشوبة بشيء من الثقة.

بدا حينها مهتمًّا وأجابها: «بكلّ تأكيد».

«لقد فهمتُ منك، في ذاك اليوم، أنّني لطالما حقدت على والديّ بسبب تلك الملاحظة التي أذتني في طفولتي. فهل أنا أنانيّة إلى هذا الحدّ؟»

لم ينبس أحد ببنت شفة خلال الدقائق العشرين التي استغرقتها الرحلة على متن المروحيّة. إستعرض فينس في ذهنه تفاصيل التحقيق. مايكل ناش. «لقد جلستُ في عيادته واعتبرتُه واحدًا من المحلّلين النفسيّين الذين يسهل علينا فهمهم.» هل كانت مطاردة عقيمة؟ ما

المانع في أن يملك رجل ثريّ مثل مايكل ناش منزلًا آخر يُنشد فيه العزلة في كونيكتيكوت أو نيويورك؟»

ربّما. لكنّ الغريب أنّه، ومع كلّ تلك الممتلكات، كان يجلب ضحاياه إلى ذاك المكان. تردّدت في ذهن فينس أسماء المجرمين الذين دفنوا ضحاياهم في علّية منزلهم أو في قبوه.

حلّقت المروحيّة فوق الطريق الجبليّ. قال فينس: «هناك»، وأشار بإصبعه إلى اليمين حيث عكس مصباحان ضوءهما إلى الأعلى، وقد شقّا عتمة المكان.

«عرفنا من شرطة بريدج واتر أنّ رجالها سيتموضعون خارج منزل ناش. إهبط هنا من فضلك.»

كان المنزل هادئًا من الخارج وبدت نوافذ الطابق الأرضيّ مضاءة بمعظمها. أجبر فينس نونا على البقاء في الخارج مع ربّان المروحيّة. أما كريس وإيرني فلحقا به. إجتاز الممرّ ودقّ الباب.

قال لهما: «لا تتدخّلا.»

ردّت سيّدة على جرس الهاتف الداخليّ، وسألت: «مَن الطارق؟»

صرّ فينس أسنانه. في حال كان ناش في الداخل، فوجودهم سينبّهه. قال لها: «أنا العميل فينسنت دامبروزيو من الأف. بي. أي.، من الضروري أن أقابل الدكتور ناش.»

ما لبث الباب أن أنفتح قليلًا فيما لم تتحرّك سلسلة الأمان.

بادره واحد من الخدم بنبرة لا تخلو من التهذيب واللياقة: «هل لي أن أتأكّد من بطاقتك، سيّدي؟»

مرّر له فينس بطاقته. أمّا كريس، فقال له: «إستعجلهم.»

إنفكّت سلسلة الأمان وانفتح الباب. فكّر فينس «إنهما الزوجان اللذان يُعنيان بتدبير المنزل». سألهما التعريف بنفسيهما.

«جون وإيرما هاغز، في خدمة الدكتور ناش.»

«هل هو هنا؟»

أجابت السيدة هاغز: «نعم، إنّه هنا. لم يترك المنزل هذا المساء. فقد أتى يُنجز كتابه وطلب ألّا يزعجه أحد.»

قال لها مايكل: «دارسي، أنت موهوبة في قراءة الأفكار. لقد قلت لك ذلك الأسبوع الماضي. ينتابك شعور بالذنب مصدره موقفك من والديك، ألست محقًّا في استنتاجي؟»

«أظنّ ذلك.» إنتبهت دارسي لعينيه وقد استعاد البؤبؤ فيهما حجمه الطبيعي وبرز من جديد لونهما الأزرق الرمادي بوضوح.

صدحت ألحان الأغنية الثانية من أغاني الشريط «الورود الحمراء للسيدة الزرقاء» وراح مايكل يحرّك قدمه اليمنى على إيقاع الموسيقى.

عاجلته بالسؤال: «هل يجدر بي أن أشعر بالذنب؟»

سأل فينس: «أين غرفة الدكتور ناش؟ أتحمّل شخصيًّا مسؤوليّة إزعاجه.»

«اعتاد أن يوصد الباب بالمفتاح عندما يُنشد الهدوء. لن يردّ علينا، فهو يمنع أيًّا كان من دخول غرفته أثناء تواجده فيها. لم نره منذ عدنا، بعد الظهر، من السوق في وسط المدينة. سيّارته مركونة في الممرّ.»

طفح الكيل مع كريس فقال: «هو ليس في الطابق العلويّ. إنّه يتجوّل في سيّارة ستايشن، ولا أحد يعرف ما يفعل».

توجّه نحو السلالم.

«أين غرفته، بحقّ الله؟»

نظرت السيدة هاغز إلى زوجها نظرة يائسة ثمّ قادتهم إلى الطابق الأوّل. طرقت الباب مرّات عدّة، لكنّ أحدًا لم يفتح.

سأل فينس: «ألديك مفتاح للغرفة؟»

«منعني الدكتور من استعماله عندما يكون الباب مغلقًا.»

«إجلبي المفتاح.»

كما توقّع فينس، كانت الغرفة الكبيرة خالية. «سيّدة هاغز، لدينا شاهد يؤكّد رؤية دارسي سكوت وهي تركب سيّارة الدكتور الليلة. إنّها بخطر. هل يملك الدكتور بيتًا صغيرًا هنا، أو في أيّ مكان آخر، قد يكون اصطحبها إليه؟»

قالت المرأة بما يشِبه الاعتراض: «لا بدّ أنّك مخطئ. لقد اصطحب الآنسة سكوت مرّتين إلى هنا. هما صديقان حميمان».

«سيدة هاغز، لم تجيبي عن سؤالي.»

«يضمّ العقار هذا حظائر للماشية وإسطبلًا وبعض المخازن. لا مكان يصلح ليستقبل فيه الدكتور أي شابّة. وهو يملك أيضًا شقّة ومكتبًا في نيويورك.»

وقف زوجها يهزّ رأسه موافقًا على كلامها. كان فينس واثقًا من أنّهما صادقان.

أمّا السيدة هاغز فبادرته بشيء من الخجل: «سيّدي، نحن في خدمة الدكتور ناش منذ أربعة عشر عامًا. لا داع للقلق في حال كانت الآنسة سكوت معه. فالدكتور ناش لا يؤذي نملة».

منذ متى كانا يتحدّثان؟ لم تستطع دارسي تحديد الوقت. صدحت في الغرفة نغمات هادئة ناعمة. كانت أغنية «بيغين ثي بيغوين». كم مرّة شاهدت والديها يرقصان على ألحان تلك الأغنية؟

قالت لناش: «والداي علّماني الرقص. لقد اعتادا تشغيل أسطوانة ورقص الفالس أو الفوكس تروت. كانا راقصين بارعين.»

لمحت في نظرته لطفًا وأرسلت لها عيناه الودّ نفسه الذي لمحته فيهما في أثناء لقاءاتهما السابقة. من يدري؟ في حال لم يشكّ في أنّها قد كشفت أمره وفضحت نواياه، قد يترك هذه الغرفة برفقتها ويدعوها إلى العشاء في منزله. قرّرت أن تشجّعه على مواصلة الحديث معها. في تلك اللحظة تذكّرت كلام والدتها: «دارسي، أنت تتمتّعين بموهبة التمثيل، لماذا تُصرّين على إنكار ذلك؟» حان الوقت لتُثبت دارسي أنّ والدتها على حقّ.

طوال السنوات التي أمضتها مع والديها، إعتادت سماعهما يتناقشان في موضوع تمثيل هذا المشهد أو ذاك. لا بدّ أنّ شيئًا من كلامهما قد رسخ في ذهنها.

يجدر بها إخفاء الخوف الذي اعتراها والتحكّم بالتوتّر الذي استولى عليها. فكّرت «كيف كانت أمّي لتمثّل هذا المشهد؟ كيف كانت لتؤدي دور امرأة وقعت في مصيدة قاتل بالجملة؟ كانت أمّي لتكفّ عن التفكير في خاتم إيرين وتحاول الخروج من الورطة.» تمامًا كما تفعل دارسي. سوف تكون المريضة التي قصدت المحلّل النفسي مايكل ناش لتبوح له بما يخالجها من مخاوف.

ماذا كان مايكل يقول؟

«هل انتبهتِ دارسي للحيوية التي تغمركِ ما إن تتحدّثي عن والديك؟ برأيي، لقد استمتعتِ بطفولتك أكثر ممّا تتصوّرين.»

لطالما تحلّق من حولهما الكثير من الناس. أتذكرين يوم أحاط بهما حشد غفير، فاضطرت والدتك إلى أن تفلت يدك؟

«قولي لي، دارسي، ما الذي يشغل بالك؟ بوحي بما يزعجك.»

«لقد أُصبت بالذعر. فقد اختفيا عن ناظري. في تلك اللحظة أدركت أنّني أكره...»

«تكرهين ماذا؟»

«الناس المحتشدين الذين فرّقوني عنهما...»

«لم يكن الذنب ذنبهما...»

«لو لم يكونا من المشاهير...»

«لقد أخذتِ عليهما تلك الشهرة...»

«لا.»

كان المشهد التمثيليّ يسير على ما يرام. فقد استعاد صوته الطبيعيّ. قالت في نفسها «لا أرغب في استرجاع هذا كلّه، لكن يجب عليّ القيام بذلك. يجب أن أبوح له بمشاكلي. يجب أن أكون صادقة معه. إنّها فرصتي الوحيدة. أمّي، أبي، ساعداني. كونا معي هنا».

«إنّهما بعيدان.»

لم تدرك أنّها قالت ذلك بصوت عالٍ.

«عمّن تتحدّثين؟»

«عن والديّ.»

«تقصدين أنّهما بعيدان في الوقت الحاضر؟»

«نعم. إنّهما في جولة في أستراليا لعرض مسرحيّتهما.»

«تبدين لي تعيسة ومذعورة. هل أنت خائفة، دارسي؟»

لا يجب أن يدرك خوفها.

«لا، كلّ ما في الأمر أنّني حزينة لفراقهما. فأنا لم أرَهما منذ ستّة أشهر.»

«هل شعرتِ في ذاك اليوم، عندما فرّقك عنهما حشد الناس، أنّهما قد تخليّا عنك، وأنّك وحيدة للمرّة الأولى؟»

إنتابتها رغبة شديدة في الصراخ. «في هذه اللحظة بالذات، أشعر بالوحدة!» مع ذلك، نجحت في توجيه أفكارها نحو الماضي.

أجابت: «نعم، إنتابني هذا الشعور.»

«لقد تردّدتِ في الإجابة.»

«الآن تذكّرتُ حادثة أخرى... عندما كنت في السادسة من عمري، أُدخلتُ المستشفى. برأي الجميع كنت على شفير الموت...»

تجنّبت النظر إليه خشية أن تلمح في عينيه ذاك الطيف الأسود. في تلك اللحظة، تذكّرت بطلة قصص ألف ليلة وليلة التي سهرت ليالي طوالًا تُخبر الحكايات لتُبعد عنها شبح الموت.

إستولى على كريس شعور بالعجز. فمنذ أيّام قليلة، أتت دارسي إلى هذا المنزل برفقة الرجل الذي قتل نان وإيرين كيلي والأخريات، وستكون هي ضحيّته التالية.

تجمّعوا في المطبخ حيث كان فينس على اتّصال مباشر بمكتب الأف. بي. أي كما بشرطة الولاية. لقد انضمّ سرب آخر من المروحيّات إلى مهمّة البحث.

كانت نونا واقفة إلى جانب فينس، شاحبة، لكأنّه سيُغمى عليها. أمّا الزوجان هاغز فجلسا متلاصقين إلى طاولة المطبخ، وقد اعتراهما الخوف والذهول. كانا يردّان على أسئلة رجل شرطة محلّيّ راح يستجوبهما عن أنشطة الدكتور ناش. من ناحيته، لازم إيرني

سيزيك المروحيّة التي واصلت تحليقها فوق المكان على علوّ منخفض. كان كريس يسمع هديرها عبر النافذة الموصدة. لقد انصبّ البحث على إيجاد سيّارة الستايشن السوداء العائدة لمايكل ناش. إنتشرت في الأرجاء سيّارات الشرطة التي حضرت لتفتيش المباني الخارجيّة.

في تلك اللحظة، تذكّر كريس بوجوم كم كان محظوظًا لشرائه سيّارة ستايشن من طراز مرسيدس السنة الماضية. فقد أقنعه البائع بضرورة حمايتها من السرقة، بتركيب جهاز للأمان. فسّر له: «جهاز الأمان موصول مباشرة بالكهرباء. في حال سُرقت سيّارتك، أمكن الشرطة رصد موقعها في غضون دقائق قليلة. يكفي أن تُعلم الشرطة برقمك السرّيّ فيُسجّل على الكمبيوتر وتُشغَّل إشارة الإنذار في سيّارتك. لقد جُهّز عدد كبير من سيّارات الشرطة بحيث يتبع إشارة الإنذار.»

لم يمضِ على اقتناء كريس سيّارة المرسيدس ستايشن سوى أسبوع واحد حين سُرقت من الشارع المقابل للمعرض، وعلى مقعدها الخلفيّ لوحة بقيمة مئة ألف دولار. كان قد عاد لهنيهة إلى مكتبه حيث نسي حقيبته. عندما خرج لم يجد السيّارة. إتّصل بالشرطة يُبلغ عن السرقة. في غضون ربع ساعة، تمّ تحديد مكانها واستعادتها.

تمنّى لو أنّ ناش قد اصطحب دارسي في سيارة مسروقة يسهل تحديد مكانها.

«يا إلهي!»

قطع كريس الغرفة بسرعة وأمسك السيّدة هاغز من ذراعها.

«أين يحتفظ ناش بملفّاته الشخصيّة؟ هنا أو في نيويورك؟»

بدا عليها الذهول وأجابته: «هنا. في غرفة محاذية للمكتبة.»

«أودّ الاطّلاع على الملفّات.»

أمّا فينس فبادر الشخص الذي حدّثه عبر الهاتف: «مهلًا، لا تقفل الخطّ»، والتفت إلى كريس قائلًا: «ماذا وجدتَ كريس؟»

لم يُجبه هذا الأخير، بل تابع: «منذ متى يمتلك الدكتور هذه السيّارة؟»

أجابه جون هاغز: «منذ حوالى ستّة أشهر. فهو يبدّل السيّارات بانتظام.»

«أنا واثق من أنّها مجهّزة بنظام الأمان ذاك.»

كانت الملفّات داخل خزانات رائعة من خشب الماهوغاني. عرفت السيدة هاغز المكان حيث وضعت مفاتيحها.

لم يصعب على كريس إيجاد ملفّ المرسيدس. أمسك به وأطلق صرخة ابتهاج سارع الجميع لمعرفة سببها. سحب من الملفّ الكُتيّب الخاص بجهاز الأمان حيث دوّن الرقم السرّيّ.

أدرك رجل شرطة بريدج واتر أهمّيّة الاكتشاف الذي توصّل إليه كريس، فقال له: «أعطني الرقم، سأقوم بنشره. فسيّارات الشرطة التابعة لنا مجهّزة بالنظام نفسه».

«أُدخلتِ المستشفى دارسي...»، قال مايكل بصوت هادئ.

شعرت دارسي بحلقها جافًّا وأرادت كوبًا من الماء، لكنّها لم تجرؤ على تشتيت انتباهه. أجابته: «نعم. لقد أصبتُ بالتهاب السحايا. ما زلت أذكر الألم الفظيع. خلت نفسي على شفير الموت. كان والداي إلى جانبي. سمعت الطبيب يقول لهما إنّني لن أنجو من المرض.»

«ما كانت ردّة فعل والديك؟»

«كانا متعانقين. قال والدي «باربرا، لن نفترق، أنتِ وأنا.»

«عذّبتك تلك الملاحظة؟»

همست: «أدركتُ أنّهما لم يكونا بحاجة إليّ.»

«دارسي، ألا تعلمين أنّ المرء، عندما يشعر بخسارة شخص يُحبّه، يتعلّق غريزيًّا بشخص أو بشيء آخر؟ حاولا التأقلم مع الوضع أو كانا يستعدّان للتأقلم معه، لأكون أكثر دقّة. صدّقيني، تلك ردّة فعل سليمة. مذّاك، لا توفّرين فرصة لإبعادهما عنك، أليس كذلك؟»

هل كانت تحاول إبعادهما عنها في الحقيقة؟ برفضها الملابس التي كانت والدتها تهديها إيّاها، والهدايا التي لطالما أمطرتها بها. هل كانت تحاول الانفصال عنهما عبر احتقار نمط عيشهما وكلّ ما أنجزاه طوال حياتهما؟ حتّى عملها. ألم تستخدمه وسيلة لتُثبت لهما شيئًا ما؟

«لا، لم يكن كذلك.»

«عمّ تتكلّمين؟»

«عن عملي. أنا أحبّ ما أفعله.»

«أحبّ ما أفعله.» كرّر مايكل الكلمات ببطء. كانت أغنية جديدة قد بدأت.

«وفّري الرقصة الأخيرة لي.»

قام من مكانه.

«وأنا أحبّ الرقص. الآن، دارسي. لكن، قبل ذلك، سوف أقدّم لك هديّة.»

راحت تنظر إليه مذعورة وهو يقوم من مكانه ويمدّ ذراعه وراء الكرسي. إستدار نحوها وبيده علبة أحذية. «دارسي، لقد ابتعتُ لك حذاء جميلًا للرقص.»

جثم على ركبتيه أمامها وسحب قدمها من الجزمة. تماسكت دارسي ولم تُبدِ أيّ احتجاج. غرزت أظافرها في راحة يدها لتخنق

صرخة علقت في حنجرتها. برم خاتم إيرين في إصبعها وشعرت بحرف «إ» ينطبع في جلدها.

فتح مايكل العلبة وأزاح ورقة الحرير التي لُفّ بها الحذاء. أخرج فردة وأراها إيّاها. كان خُفًّا من الساتان عالي الكعب مفتوحًا عند الأصابع. كانت الرباطات الرفيعة عند الكاحل شفّافة وباللونين الذهبي والفضّي. أمسك مايكل بقدم دارسي اليمنى ووضعها في الحذاء. عقد الرباطات الطويلة عقدتين. مدّ يده مجدّدًا إلى العلبة وأخرج الفردة الثانية. راح يداعب كاحلها فيما يُلبسها إيّاها.

بعد أن ألبسها الفردتين، رفع عينيه إليها وابتسم. سألها: «أتتخيّلين نفسك سيندريللا؟»

لم تقوَ على الردّ.

فيما كانت سيّارة الدوريّة تنطلق بسرعة على الطريق الجبليّ، أعلن الشرطي: «يُبيّن الرادار أنّ سيارة الستايشن مركونة على بعد عشرة أميال في الاتجاه الغربيّ الشماليّ». كان كلّ من فينس وكريس ونونا يرافقونه.

بعد بضع دقائق، أضاف: «الإشارات تتزايد. نحن نقترب.»

قال كريس بنبرة عصبيّة: «ما دمنا لم نصل بعد، فنحن لم نقترب من المكان. ألا يمكنك الإسراع؟»

إجتازت السيّارة منعطفًا. ضغط السائق بقوّة على الفرامل. إنزلقت السيّارة ثمّ توقّفت.

«تبًّا!»

سأل فينس ببرودة: «ما الخطب؟»

«الطريق مقطوع بسبب الأشغال. لا يمكننا المرور، والتحويلة ستُضيّع الوقت.»

ملأت الموسيقى أرجاء الغرفة من دون أن تُغطّي ضحكته المجنونة. لم تقوَ دارسي على مجاراة خطواته، بل كانت قدماها بالكاد تلامسان الأرض. قال بصوت عال: «لست خبيرًا في رقص الفالس لكنّها الرقصة التي أردت تأديتها معك الليلة.»

راحا يدوران ويدوران ويتمايلان. تطاير شعر دارسي حول وجهها. كانت تلهث لكنّه لم ينتبه لذلك.

مكتبة الرمحي أحمد

إنتهت الرقصة أخيرًا. لم يُفلتها. لمحت في عينيه بريقًا وذاك الطيف الأسود المخيف مرّة أخرى.

الآن رقصة الفوكس تروت. تبعت دارسي خطواته من دون أن تبذل أيّ جهد. أحكم الإمساك بها حتّى كاد يسحقها. صعب عليها التنفّس. هل هذا ما فعله مع الأخريات؟ كسب ثقتهنّ وأحضرهنّ إلى هذا المنزل المهجور؟ أين كانت جثثهنّ يا تُرى؟ هل كانت مدفونة في مكان ما في الغابة؟

ما كانت فرصها في الإفلات منه؟ فهو سيمنعها من الهرب قبل أن تبلغ الباب. عندما دخلا المنزل لاحظت زرّ الإنذار. هل كان موصولًا بجهاز أمان؟ فلو علم أنّ أحدهم في الطريق لإنقاذها، لعدل ربّما عن قتلها.

لم يكن مايكل يبالي بمخاوفها، بل أحكم قبضته فيما راح يدور على إيقاع الموسيقى.

همس في أذنها: «هل تودّين معرفة سرّي؟ هذا المنزل ليس منزلي. إنه منزل تشارلي.»

«تشارلي؟»

خطوة إلى الوراء، وأخرى جانبيّة، فاستدارة.

«نعم. إنه اسمي الحقيقيّ. كان إدوارد وجانيس ناش عمّي وزوجته. هما والداي بالتبنّي مذ كنتُ في السنة الأولى من عمري. غيّرا اسمي من تشارلي إلى مايكل.»

كان يُحدّق بها بنظرة لم تستطع دارسي تحمّلها.

خطوة إلى الوراء، وأخرى جانبيّة، فانزلاق.

«ماذا حلّ بوالديك الطبيعيّين؟»

«والـدي قتل والـدتـي. حُكم عليه بـالإعـدام على الكرسيّ الكهربائيّ. كان عمّي، كلّما غضب منّي، يُشبّهني بوالدي. لكنّ زوجته أحسنت معاملتي في طفولتي ثمّ كفّت عن ذلك مع مرور الزمن. قالت إنّهما نفّذا ضربًا من الجنون عندما تبنيّاني، وإنّني كنتُ من نسل فاسد.»

بدأت أغنية جديدة لفرانك سيناترا. «هيّا يا جميلتي، إنتعلي حذاء الرقص وراقصيني.»

«يسرّني أنّك تبوح لي بهذا كلّه مايكل. ألا تشعر بالراحة عندما تُفصح عن مكنوناتك؟»

«أريد منك أن تناديني تشارلي.»

«حسنًا، لك ما تُريد.»

حاولت أن تبدو متماسكة. يجب ألّا يلاحظ خوفها.

«ألا يهمّكِ أن تعرفي ما حلّ بوالدي ووالدتي؟ أعني، بالزوجين اللذين ربّياني؟»

«بلى يهمّني.» شعرت بألم قويّ في ساقيها. لم تكن معتادة انتعال الأحذية العالية الكعب. لكأنّ الرباطات الضيّقة على الكاحل كانت تعيق الدورة الدمويّة.

خطوة جانبيّة، فاستدارة.

تابع سيناترا «هيا حدّثيني عن الحبّ، وسط الحشود.»

«كنت في الحادية والعشرين من عمري عندما تعرّض والداي لحادث في البحر. فقد انفجر مركبهما.»

«آسفة.»

«أنا لستُ كذلك. فأنا من وضع القنبلة. أنا أشبه والدي الطبيعيّ. تبدين لي متعبة، دارسي.»

«لا. لا. أنا بخير، أستمتع بمراقصتك.»

دارسي، حافظي على هدوئك، حافظي على هدوئك.

«سترتاحين بعد قليل. هل تفاجأت باستلام حذاء إيرين؟»

«نعم، كثيرًا.»

«كانت جميلة ومُعجبة بي. خلال لقائنا، حدّثتها عن الكتاب الذي أؤلّفه وباحت لي بأنّكما تردّان على الإعلانات الشخصيّة خدمة للبرنامج الذي تُعدّه صديقتكما. أعجبتني الفكرة. وكنت، في ذلك الوقت، قد قرّرتُ أنّك ستكونين التالية من بعدها.

التالية من بعدها.

«لماذا اخترتنا نحن الإثنتين؟»

تابع سيناترا الغناء.

«لقد رددتما على الإعلان الذي وضعتُه. الفتيات جميعًا اللواتي صحبتهنّ إلى هذا المكان قمن بالردّ على إعلاني. لكنّ إيرين ردّت أيضًا على إعلان آخر لي، ذاك الذي أريته لعميل الأف. بي. أي.»

«أنت خارق الذكاء تشارلي.»

«هل يعجبكِ الحذاء العالي الكعب الذي اشتريتُه لإيرين؟ إنّه يتلاءم مع فستانها.»

«أعرف ذلك.»

«كنتُ أيضًا في العشاء الخيريّ. تعرّفتُ بإيرين من خلال الصورة التي أرسلتها لي وتحقّقت من اسمها على لائحة الجالسين إلى الطاولة، لمزيد من التأكيد. شاء القدر أن أكون قد حدّدت موعدًا للقائها في اليوم التالي.»

خطوة، وبعدها خطوة. إنزلاق فاستدارة.

«كيف عرفتَ مقاس حذاء إيرين؟ ومقاس حذائي؟»

«كان الأمر سهلًا. اشتريت حذاء إيرين بمقاسات مختلفة. أعجبني هذا الزوج لها. أتذكرين، الأسبوع الماضي، عندما دخلت حصاة في جزمتك وساعدتك على إخراجها؟ رأيت مقاس قدمك يومها.»

«ماذا عن الأخريات؟»

«الفتيات يُحببن الإطراء عادة. «قدماك ناعمتان، ما هو مقاس الحذاء الذي تنتعلين؟» في بعض الأحيان، كنت أشتري الأحذية الجديدة، وفي أحيان أخرى، كنت أستعمل أحذية سبق لي أن اشتريتها.»

«لم يحصل أن وضع تشارلز نورث الحقيقي أيّ إعلان، أليس كذلك؟»

«لا، لم يفعل. لقد التقيتُه، هو أيضًا، في ذاك العشاء. أمضى السهرة يتحدّث عن نفسه فطلبت منه بطاقته. أنا لا أستعمل أبدًا اسمي الحقيقيّ عندما أتّصل بالأشخاص الذين يردّون على الإعلان. أنتِ سهّلت عليّ المهمّة. فقد اتّصلتِ بي.»

أجل، هي من اتّصلت به.

«قلتَ لي إنّ إيرين قد أُعجبت بك منذ لقائكما الأوّل. ألم تخشَ أن تتعرّف إلى صوتك عندما اتّصلت بها وانتحلت هويّة تشارلز نورث؟»

«اتّصلتُ من محطّة القطار حيث سادت الجلبة والضوضاء. أخبرتُها بأنّني كنت في انتظار القطار إلى فيلادلفيا. خفضت صوتي وتكلّمت أسرع من المعتاد، مثلما فعلت يوم اتّصلت بسكرتيرتك.» تغيّرت نبرة صوته واستحالت عالية. سألها: «ألا أبدو الآن امرأة؟»

«لنفترض أنّني لم أقدر على موافاتك إلى تلك الحانة الليلة. ماذا كنت ستفعل؟»

«سبق وأخبرتني بأنّك غير مرتبطة هذا المساء. كنت متأكّدًا من أنّك ستقومين بالمستحيل لإيجاد الرجل الذي التقته إيرين ليلة اختفائها. وكنت محقًّا.»

«نعم تشارلي، لقد كنتَ محقًّا.»

قبّلها في عنقها.

خطوة، وأخرى، فانزلاق.

«يسرّني أنّكما قد رددتما على الإعلان الذي وضعته. أتعرفين ما هو؟ يبدأ بعبارة «مطلوب فتاة تهوى الموسيقى، تهوى الرقص».

تابع سيناترا الغناء.

همس مايكل في أذنها: «إنها واحدة من أغنياتي المفضّلة». أدارها على نفسها من دون أن يخفّف إحكام قبضته.

ثمّ أعادها إليه وقال لها، كمن يُفشي سرًّا، لا بل بشيء من الندم.

«بسبب نان، بدأت أقتل الفتيات.»

«نان شيريدان؟»

فجأة، تذكّرت دارسي وجه كريس والحزن في عينيه كلّما تحدّث عن أخته. تذكّرت ثقته بنفسه، في العمل والتفاني الذي يظهره موظّفوه له. تذكّرت والدته والعلاقة الحميمة الوثيقة التي تجمعهما.

كانت تسمعه يقول: «آمل أنك لستِ نباتيّة، دارسي. فالطعام أميركيّ بامتياز». تذكّرت المخاوف التي أبداها بشأن ردّها على الإعلانات. لقد كان محقًّا! «آه، لو تسنّت لي الفرصة لأعمّق معرفتي بك كريس. ليتني حظيت بالفرصة لأقول لوالديّ إنّني أحبّهما.»

«نعم. نان شيريدان. بعد تخرّجي من ستانفورد، أمضيت سنة في بوسطن قبل أن أبدأ تخصّصي في كليّة الطبّ. كنت أقصد جامعة براون باستمرار. هناك التقيت نان. كانت راقصة بارعة. أنت تحسنين الرقص، لكنّها كانت مذهلة.»

بدأت الفواصل الموسيقيّة الأولى لأغنية «ليلة سعيدة، حبيبتي».

فكّرت دارسي «يا إلهي، أرجوك أبعد عنّي هذه الكأس».

خطوة إلى الوراء، فأخرى جانبيّة، فانزلاق.

قالت له: «مايكل، أريد أن أسألك بعد في موضوع والدتي.»

أجابها بلهجة آمرة: «قلت لك أن تناديني تشارلي. كُفّي عن الكلام ولنرقص.»

«الوقت سيمحو حزنك...» ملأت كلمات الأغنية الغرفة. لم تتعرّف دارسي إلى صوت المغنّي.

«ليلة سعيدة حبيبتي.» وتلاشت النغمات الأخيرة.

أنزل مايكل ذراعيه وابتسم لدارسي. قال لها بصوت ودود، مع أنّ تعابير وجهه كانت مرعبة: «لقد دقّت الساعة. سوف أعدّ إلى العشرة لتحاولي الهرب. ألستُ عادلًا؟»

سلكوا الطريق العام من جديد. قال شرطي بريدج واتر: «الإشارة تأتي من اليسار. مهلًا، لقد ابتعدنا. لا بدّ من وجود مفترق طرق قريب.»

عادوا على أعقابهم وسط صرير العجلات.

استولى على كريس شعور بخطر داهم وشيك. فتح نافذة السيّارة وصرخ: «من هنا، حبًّا بالله! ثمّة ممرّ على اليمين».

توقّفت سيّارة الشرطة في مكانها، ثمّ رجعت إلى الوراء، واستدارت إلى اليمين لتسلك الطريق الوعر.

أفلتت دارسي من قبضته وانزلقت على الأرضيّة الملمّعة. لم يسعفها الحذاء العالي الكعب فيما كانت تركض نحو الباب. توقّفت وحاولت خلع الحذاء. عبثًا، فقد كانت عُقد الرباطات مشدودة بإحكام.

بدأ تشارلي العدّ.

«واحِد.»

بلغت الباب وحاولت فتح القفل، لكنّه لم يفتح. حاولت أن تدير المسكة لكنّها لم تتحرّك.

«إثنان. ثلاثة. أربعة. خمسة. ستّة. أنا أعدّ، دارسي.»

زرّ الإنذار. ضغطت عليه، وإذ به يصدر ضحكة ساخرة عميقة ملأت أرجاء الغرفة. صرخت دارسي ورجعت إلى الوراء. كان تشارلي قد بدأ يضحك هو أيضًا.

«سبعة. ثمانية. تسعة.»

إستدارت، رأت السلالم، وركضت نحوها.

«عشرة!»

رأت تشارلي يتّجه إليها مادًّا يديه وقد تصلّبت أصابعه.

«لا! لا!» حاولت دارسي الوصول إلى السلالم، لكنّها انزلقت والتوى كاحلها. أحسّت بألم فظيع. راحت تنتحب وجرّت خطاها إلى الدرجة الأولى، لكنّها أحسّت بيد تسحبها إلى الوراء.

لم تدرك أنّها كانت تصرخ.

هتف فينس: «ها هي سيّارة المرسيدس.» توقّفت سيّارة الشرطة وراءها وخرج فينس من السيّارة بسرعة ومعه كريس والشرطي. أمر نونا: «لا تتقدّمي، إبقي في مكانك.»

رفع كريس يده وقال: «هل تسمعون الصراخ؟ إنّها دارسي!» وارتمى وفينس على باب السنديان الثخين، لكنّ الباب لم ينفتح.

أخرج الشرطي مسدّسه وأطلق ستّ رصاصات على القفل، فانفتح الباب.

حاولت دارسي رفس تشارلي بالكعب الرفيع، لكنّه شدّها إليه غير آبه بالضربات على ساقيه. طوّق عنقها بيديه فحاولت إبعادهما. «إيرين، إيرين هل هذا ما تعرّضت له؟» لم يعد بوسعها الصراخ. فتحت فاها تحاول تنشّق الهواء. هل كان النحيب صادرًا عنها؟ أرادت المقاومة، لكنّها لم تعد قادرة على رفع ذراعيها.

تناهت إلى مسمعها فجأة ضربات متقطّعة على الباب. هل أتى أحدهم لإنقاذها؟ «لقد فات الأوان...» وأغمي عليها.

كان كريس أوّل من اجتاز عتبة الباب. رأى دارسي وهي تترنّح كالدمية، وقد ارتخت ذراعاها والتوت ساقاها تحت ثقلها. رأى أصابع غليظة تُطبق على حنجرتها. كانت قد توقّفت عن الصراخ.

أطلق كريس صرخة غضب واجتاز الغرفة كالبرق. إنقضّ على ناش الذي تعثّر ووقع أرضًا وقد جرّ معه دارسي. إرتجفت يدا ناش بهستيرية وأحكمتا القبضة حول عنقها.

رمى فينس بنفسه على ناش. طوّق رقبته بذراعه شادًّا رأسه إلى الوراء فيما أمسك الشرطي بقدميه.

بدت يدا ناش وكأنّهما تلبّيان إرادة منفردة! استحال على كريس أن يفكّ أصابعه ويبعدها عن حنجرة دارسي. لكأنّ ناش يتمتّع بقوًى خارقة، لكأنّه لا يتأثّر بالألم. غرز كريس أسنانه في يد ناش اليمنى، تلك اليد التي كانت تحاول خنق دارسي.

أطلق ناش صرخة ألم وسحب يده اليمنى وأرخى اليُسرى.

ما كان من فينس والشرطي إلّا أن لويا ذراعيه وراء ظهره وأطبقا الأصفاد على معصميه، وأمسك كريس بدارسي.

كانت نونا تتابع الأحداث عند المدخل. دخلت الغرفة مسرعة وركعت أمام دارسي. كانت عينا الفتاة جامدتين، وعلى عنقها الهزيل كدمات حمراء.

حاول كريس إنعاشها بالتنفّس الاصطناعيّ وراح ينفخ الهواء في رئتيها.

نظر فينس إلى عيني دارسي المفتوحتين الجامدتين، وراح يجري لها إنعاشًا للقلب. كان شرطي بريدج واتر يراقب مايكل ناش المكبّل إلى درابزين السلالم، يُردّد أغنية للأطفال.

«يا إلهي، إنّها لا تتجاوب!» أمسكت نونا بكاحلي دارسي وانتبهت فجأة لحذاء الرقص الذي كانت تنتعله. «لا يمكنني تحمّله. لا يمكنني تحمّله.» لم تعِ نونا ما تفعل، وإذ بها تُصارع رباطات الحذاء المعقودة بإحكام.

تابع مايكل الغناء.

«آمل أنّنا لم نتأخّر في الوصول إليها»، فكّر فينس وهو يلتمس، يائسًا، ردّة فعل من دارسي. «أيّها الحقير الخسيس! لا تظنّن أن الغناء سوف يساعدك على إثبات جنونك!»

رفع كريس رأسه ليلتقط أنفاسه وتأمّل لهنيهة وجه دارسي. تبيّن النظرة نفسها التي رآها في عيني نان يوم اكتشف جثّتها. الكدمات نفسها على العنق. الآثار الزرقاء على البشرة البيضاء. «لا! لا أريد أن تتكرّر الفاجعة نفسها! دارسي، تنفّسي!»

نجحت نونا في فكّ أحد الرباطات وهي تجهش في البكاء. بدأت تسحب الفردة اليمنى عن قدم دارسي.

أحسّت بحركة. هل كانت تتوهّم؟ لا. صرخت: «إنّها تُحرّك قدمها. تحاول خلع الحذاء!»

في اللحظة نفسها، لاحظ فينس نبضًا في عنق دارسي، وسمع كريس تنهّدًا طويلًا أجشّ يصدر من بين شفتيها.

الخميس 14 مارس

في صباح اليوم التالي، اتّصل فينس بسوزان وقال لها: «سيدة فوكس، قد يكون زوجك زير نساء لكنّه ليس قاتلًا. لقد اعتقلنا المجرم الذي كنّا نتعقبّه، ولدينا الإثبات الحسّي على أنّه المسؤول الوحيد عن حالات القتل المرتبطة بأحذية الرقص، بدءًا بمقتل نان شيريدان».

«شكرًا لك. أنت تُدرك حتمًا أهميّة هذه المعلومة بالنسبة إليّ.»

«مَن المتّصل؟»

كان دوغ قد لازم المنزل يومها. شعر بانزعاج. لم يكن مريضًا بل منزعجًا.

أطلعته سوزان على حديثها مع فينس.

جلس يُحدّق فيها مذهولًا. «أفهم من كلامك أنّك شككت في كوني القاتل وأبلغت الأف. بي. أي. بذلك؟ خطر ببالك أن أكون قاتل نان شيريدان والفتيات الأخريات!» بدا على وجهه الامتعاض والغضب.

نظرت سوزان إليه وقالت: «خطر لي هذا الاحتمال. فكّرت أنّني قد أكون مسؤولة إلى حدّ ما عن جرائم القتل تلك، عندما كذبتُ من أجلك منذ خمس عشرة سنة».

«أقسم لك بأنّني لم أرَ نان صباح اليوم الذي قُتلت فيه، لا من قريب ولا من بعيد.»

«على ما يبدو. إذًا، أين كنت، دوغ؟ أرجوك أن تبوح بالحقيقة اليوم.»

لم تعد تتبيّن أيّ أثر للغضب على وجهه. نظر بعيدًا ثمّ التفت إليها وقد ارتسمت على ثغره ابتسامة متملّقة: «سوزان، في ذاك اليوم، قلت لك الحقيقة، وأنا أكرّرها الآن. لقد تعطّلت السيّارة.»

«أنا أريد الحقيقة. تَدين لي بها!»

تردّد دوغ قليلًا وتمتم ببطء: «كنتُ مع بيني نولز. سوزان، أنا آسف. لم أخبرك بذلك خوفًا أن أخسرك».

«تقصد أنّ بيني نولز كانت على وشك أن تُخطَب لبوب كارفر وأنها لم تُرد المخاطرة بثروته. فضّلت أن تدعك في دائرة الشبهات وأن تتّهمك الشرطة بمقتل نان على أن تشهد لمصلحتك.»

«أعرف أنّني كنت زير نساء في تلك الحقبة...»

«في تلك الحقبة؟» وأطلقت سوزان ضحكة جافّة. «كنت زير نساء في تلك الحقبة؟ إسمعني دوغ جيّدًا. طوال تلك السنوات، لم يسامحني والدي على شهادة الزور التي أدليت بها لإنقاذك. هيّا وضّب حقائبك واذهب للعيش في شقّة العزوبيّة. لقد طلبتُ الطلاق!»

أمضى دوغ اليوم بطوله يتوسّلها أن تمنحه فرصة أخرى.

«أعدك بتحسين سلوكي.»

«ارحل، هيّا!»

مكتبة الرمحي أحمد

لن يغادر قبل عودة دوني وبيث من المدرسة.

«سوف آتي لرؤيتكم، يا أولاد. أعدكم بذلك.»

إجتاز الممرّ. لحقت به تريش وأمسكته بركبتيه. حملها إلى المنزل وسلّمها لسوزان.

«سوزان، أرجوك أن تمنحيني فرصة أخرى.»

«إلى اللقاء، دوغ.»

وقفوا ينظرون إليه وهو يبتعد في سيّارته. كان دوني يجهش بالبكاء. «أمّـي، ليته يتصرّف دومًـا كما فعل خـلال عطلة نهاية الأسبوع الفائتة.»

حاولت سوزان كبح دموعها. «لا تُفرط في التفاؤل، دوني. ما زال والدك في بداية مسيرة النضوج، وسوف تُثبت لنا الأيّام إذا كان بإمكانه أن يتغيّر.»

عندما اتّصل فينس بنونا بعد ظهر الخميس، سألها : «هل ستشاهدين البرنامج؟»

«بالطبع لا. لقد أعددنا خاتمة خاصّة. كتبتها. عايشتها.»

«ماذا تودّين أن تأكلي الليلة؟»

مكتبة الرمحي أحمد

«شريحة من الستيك.»

«وأنا أيضًا. ما هي مخطّطاتك لعطلة نهاية الأسبوع؟»

«الطقس جميل بحسب الأرصاد الجوّية. كنت أفكّر في الذهاب إلى هامبتون. فبعد معاناة الأسابيع المنصرمة أرغب في رؤية البحر.»

«تملكين منزلًا هناك؟»

«نعم. أظنّ أنّني غيّرت رأيي وسوف أشتريه من مات. أنا أعشق ذاك المكان. أدرك الآن أنّني بدأت أنسى مات. هل تودّ مرافقتي؟»

«يسرّني ذلك.»

جلب كريس عصًا قديمة لدارسي كي تتّكئ إليها بانتظار أن يشفى كاحلها.

قالت له: «إنّها عصا رائعة.» غمرها بذراعيه وقال: «هل حضّرت كلّ ما يلزمك؟ أين أغراضك؟»

«لا أحمل سوى هذه الحقيبة.»

اتّصلت غريتا في وقت سابق وأصرّت على أن يذهب كريس لإحضار دارسي إلى داريين لتمضية عطلة نهاية الأسبوع.

رنّ الهاتف. «لن أردّ. لحظة! حاولت الاتّصال بوالديّ في أستراليا، لربّما نجح عامل الهاتف في أن يصلني بهما.»

بالفعل كان والداها على الخطّ.

«أنا بخير. أريد أن أقول...» تردّدت ثمّ أضافت: «إنّني مشتاقة إليكما. أحبّكما...» ضحكت دارسي. «لماذا استنتجتما أنّني وجدت فارس الأحلام؟»

غمزت كريس وأضافت: «الحقيقة أنّني التقيت رجلًا رائعًا. إسمه كريس شيريدان. واثقة من أنّكما ستحبّانه. نعمل في المجال نفسه لكنّه في مرتبة أعلى. يملك معرضًا للتحف القديمة. إنّه وسيم ولطيف، جاهز دومًا للمساعدة... كيف التقيتُه؟»

وحدها إيرين كانت لتتفهّم السخرية التي ينطوي عليها جوابي: «التقيته عن طريق الإعلانات الشخصيّة.»

رفعت رأسها والتقت عيناهما. إبتسم لها، فقالت في نفسها: «أنا مخطئة، فكريس يفهم أيضًا...»

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

***@ktabpdf** أو قناتنا على تيليجرام ..*

مكتبة الرمحي أحمد
تابعونا على فيسبوك .. تيليجرام
@ktabpdf

ماري هيغينز كلارك – ملكة التشويق وواحدةٌ من أغزر الكتّاب الأميركيّين إنتاجًا. أصدرت حتّى الآن 43 رواية من أكثر الكتب رواجًا، وبيع منها في الولايات المتّحدة وحدها أكثرُ من 100 مليون نسخة. تتّسم كتاباتها، التي اقتُبِسَت للعديد من الأفلام السينمائيّة والتلفزيونيّة، بأسلوبٍ مميّزٍ يذكّر بكتابات أغاثا كريستي التي تتقن التشويق من دون الإنزلاق في الإبتذال.

على غرار ألفريد هيتشكوك، تتميّز ماري هيغينز كلارك بذلك النوع من التخويف المرعب للغاية، لأنّه يَبقى تحت سطح الحياة العاديّة – كوزموبوليتان

مطلوب فتاة تهوى الموسيقى، تهوى الرقص – لمن يتقن القراءة بين الأسطر، قد تحمل صفحات التعارف في مجلّة نيويوركيّة ترفيهيّة خطر الموت. ولِمَ لا إذا كان القاتل متمرّسًا يهوى مراقصة ضحاياه؟ ففي تلك المدينة المجنونة، كلّ شيء ممكن. لذلك تحديدًا انتقلت إليها الصديقتان الحميمتان، إيرين كيلي ودارسي سكوت، بدافع العمل... والتسلية. هكذا، عندما دعتهما صديقتهما الإعلاميّة التي تجري بحثًا حول الإعلانات الشخصيّة لمساعدتها، تجاوبتا فورًا. فالمغامرة بدت ممتعة... إلى حين تمّ العثور على إيرين جثّة هامدة وهي تنتعل فردة حذاء للرقص. لعلّها لن تكون الضحيّة الأخيرة، فدارسي أيضًا تهوى الرقص.